المعجزة العظمى قصة

الإسراء والمعراج

من خواطر العلماء الأجلاء

فضيلة الإمام

محمد متولي الشعراوي

فضيلة الشيخ

الدكتور / عبد الحليم محمود

فضيلة الشيخ / أحمد حسن الباقوري

فضيلة الاستاذ الدكتور / أحمد الشرباصي

فضيلة الشيخ / محمد فتح الله بدران

إعداد

مجدى عبد المعطى

الناشر

دار الروضة للنشر والتوزيع

توزيع

مكتبة الصفا للنشر والتوزيع

تليفون ٢٥١٤٧٣٢٠ - تليفاكس ٢٥١٤٧٩٧٤



الناشر

دار الروضة للنشر والتوزيع

2 درب الأتراك - خلف الجامع الأزهر

سوق الكتاب الجديد - الأزبكية تليفون : 25913424



١٢٧ ميدان الأزهر / أمام الجامع الأزهر / القاهرة ت ٢٥١٤٧٣٢٠

١ درب الأتراك / خلف الجامع الأزهر ت ٠١٠١٤٣١١١٤ تليفاكس ٢٥١٤٧٩٧٤

رقم الإيداع : ١٤٨٩٩ / ٢٠١٥

الترقيم الدولي : 7 ـ 098 ـ 458 ـ 977 ـ 978

تمهيد

حدث الإسراء والمعراج واقعة أساسية حاسمة في تاريخ الدعوة الإسلامية، وبقى الحدث في حقيقته متضمنًا لونًا من التكامل بين البعدين المادي المكاني والروحى العلوي، فالحدث هو في حقيقته رحلتان.. رحلة أرضية مكانية من (المسجد الحرام) إلى (المسجد الأقصى) في مسافة تبلغ نحو ٢٥٠٠ كيلومتر تقريبًا على البراق الذي يضع حافره عند منتهى بصره.

وأما **الجزء الآخر** من الحدث فهو رحلة علوية تعرف (بالمعراج) حيث عُرج بالنبى ـ ﷺ ـ إلى السماوات العلا و"سدرة المنتهى" وهي شجرة عظيمة ينتهي عندها علم الملائكة.

ولأهمية هذه الرحلة غصت في نفحات العلماء الأجلاء لأرصد ما قدموه من تجليات عن هذه الرحلة المباركة ومنهم:

ـ فضيلة الشيخ / محمد متولي الشعراوي.

ـ فضيلة الشيخ / عبد الحليم محمود (شيخ الجامع الأزهر).

ـ فضيلة الأستاذ الدكتور / أحمد الشرباصي.

ـ فضيلة الشيخ / أحمد حسن الباقوري.

ـ فضيلة الشيخ / محمد فتح الله بدران.

نسأل الله لنا ولهم المغفرة والرحمة...

مجدي عبد المعطي

مقدمة

أحاديث الإسراء والمعراج

قال البخاري في صحيحه، باب المعراج، حدثنا هدبة بن خالد، حدثنا همام بن يحيى، حدثنا قتادة، عن أنس بن مالك، عن مالك بن صعصعة، رضي الله عنهما أن نبي الله ﷺ حدثهم عن ليلة أسري به: "بينما أنا في الحطيم -وربما قال في الحجر- مضجعًا؛ إذ أتاني آتٍ فقد قال وسمعته يقول: فشق ما بين هذه إلى هذه، فقلت للجارود ـ وهو إلى جانبي ـ: ما يعني به؟ قال: من ثغرة نحره إلى شعرته، وسمعته يقول: من قصه إلى شعرته، فاستخرج قلبي، ثم أتيت بدابة دون البغل وفوق الحمار ـ أبيض ـ فقال له الجارود: هو البراق يا أبا حمزة. قال أنس: نعم، يضع خطوه عند أقصى طرفه. فحملت عليه، فانطلق بي جبريل حتى أتى السماء الدنيا فاستفتح، فقيل: من هذا؟ قال: جبريل. قيل: محمد؟ قال: محمد. قيل: وقد أرسل إليه؟ قال: نعم. قيل: مرحبًا به، فنعم المجيء جاء. ففتح، فلما خلصت فإذا فيها آدم، فقال: هذا أبوك آدم فسلم عليه. فسلمت عليه، فرد السلام ثم قال: مرحبًا بالابن الصالح والنبي الصالح.

•ثم صعد حتى أتى السماء الثانية فاستفتح، قيل: من هذا؟ قال: جبريل. قيل: ومن معك. قال: محمد، قيل: وقد أرسل إليه؟ قيل: نعم. قيل: مرحبًا به، فنعم المجيء جاء، ففتح، فلما خلصت إذا يحيى وعيسى وهما ابنا الخالة. قال: هذا يحيى وعيسى فسلم عليهما. فسلمت، فردا، ثم قالا: مرحبًا بِالأخ الصالح والنبي الصالح.

•ثم صعد بي إلى السماء الثالثة، فاستفتح، قيل: من هذا؟ قال:

جبريل، قيل: ومن معك؟ فقال: محمد، قيل: وقد أرسل إليه؟ قال: نعم، قيل: مرحبًا به فنعم المجيء جاء، ففتح، فلما خلصت إذا يوسف قال: هذا يوسف فسلم عليه، فسلمت عليه فرد، ثم قال: مرحبًا بالأخ الصالح والنبي الصالح.

• ثم صعد بي حتى أتى السماء الرابعة، فاستفتح، قيل: من هذا؟ قال: جبريل. قيل: ومن معك؟ فقال: محمد، قيل: وقد أرسل إليه؟ قال: نعم، قيل: مرحبًا به فنعم المجيء جاء، ففتح، فلما خلصت إذا إدريس قال: هذا إدريس فسلم عليه، فسلمت عليه فرد، ثم قال: مرحبًا بالأخ الصالح والنبي الصالح.

• ثم صعد بي حتى أتى السماء الخامسة، فاستفتح، قيل: من هذا؟ قال: جبريل. قيل: ومن معك؟ فقال: محمد، قيل: وقد أرسل إليه؟ قال: نعم، قيل: مرحبًا به فنعم المجيء جاء، ففتح، فلما خلصت إذا هارون قال: هذا هارون فسلم عليه، فسلمت عليه فرد، ثم قال: مرحبًا بالأخ الصالح والنبي الصالح.

• ثم صعد بي حتى أتى السماء السادسة، فاستفتح، قيل: من هذا؟ قال: جبريل. قيل: ومن معك؟ فقال: محمد، قيل: وقد أرسل إليه؟ قال: نعم، قيل: مرحبًا به فنعم المجيء جاء، ففتح، فلما خلصت إذا موسى قال: هذا موسى فسلم عليه، فسلمت عليه فرد، ثم قال: مرحبًا بالأخ الصالح والنبي الصالح. فلما تجاوزت بكى، قيل له: ما يبكيك؟ قال: أبكيِ لأن غلامًا بعث بعدي يدخل الجنة من أمته أكثر ممن يدخلها من أمتي.

• ثم صعد إلى السماء السابعة، فاستفتح جبريل، قيل: من هذا؟

قال: جبريل. قيل: ومن معك؟ قال: محمد، قيل: وقد بعث إليه؟ قال: نعم، قيل: مرحبًا به فنعم المجيء جاء، فلما خلصت فإذا إبراهيم قال: هذا أبوك فسلم عليه، قال: فسلمت عليه فرد، فرد السلام قال: مرحبًا بالابن الصالح والنبي الصالح.

• ثم رفعت إلى سدرة المنتهى فإذا نَبقها مثل قلال هَجَر (**قلال جمع قلة وهي الجرة الكبيرة ـ هجر: قرية قريبة من المدينة، وليست هجر البحرين، وكانت تعمل بها القلال، وتأخذ الواحدة منها مزادة من الماء، سميت قلة لأنها تقل، أي ترفع وتحمل**)، وإذا ورقها مثل آذان الفيلة.

قال: هذه سدرة المنتهى، وإذا أربعة أنهار: نهران باطنان، ونهران ظاهران، فقلت: ما هذا يا جبريل؟ قال: أما الباطنان فنهران في الجنة، وأما الظاهران فالنيل والفرات، ثم رفع لي البيت المعمور، ثم أتيت بإناء من خمر، وإناء من لبن وإناء عسل، فأخذت اللبن، فقال: هي الفطرة أنت عليها وأمتك، ثم فرضت عليَّ الصلوات خمسين صلاة كل يوم، فرجعت فمررت على موسى، فقال: بما أمرت؟ قال: أمرت بخمسين صلاة كل يوم، قال: إن أمتك لا تستطيع خمسين صلاة كل يوم، وإني والله قد جربت الناس قبلك، وعالجت بني إسرائيل أشد المعالجة، فارجع إلى ربك فاسأله التخفيف لأمتك، فرجعت فوضع عني عشرًا، فرجعت إلى موسى فقال مثله، فرجعتَ فوضع عني عشرًا، فرجعت إلى موسى فقال مثله، فرجعت فوضع عني عشرًا، فرجعت إلى موسى فقال مثله، فرجعت فأمرت بعشر صلوات كل يوم، فرجعت فقال مثله، فرجعت فأمرت بخمس صلوات كل يوم، قال: إن أمتك لا تستطيع خمس صلوات كل يوم، وإني قد جربت الناس من قبلك وعالجت

بني إسرائيل أشد المعالجة فارجع إلى ربك فاسأله التخفيف لأمتك، قال: سألت ربي حتى استحييت، ولكن أرضى وأسلم، قال: فلما جَاوزت نادى منادِ أمضيت فريضتي، وخففت عن عبادي.

وروى البخاري في صحيحه في باب حديث الإسراء، وقول الله تعالى: ﴿ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١﴾ ﴾ (الإسراء). حدثنا يحيى بن بكير، حدثنا الليث عن عقيل، عن ابن شهاب، حدثني أبو مسلمة بن عبد الرحمن، سمعت جابر بن عبد الله رضي الله عنهما أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: لما كذبتني قريش قمت إلى الحجر، فجلا الله لي بيت المقدس، فطفقت أخبرهم عن آياته وأنا أنظر إليه. وفي رواية البخاري أيضاً، حدثنا الحميدي، حدثنا سفيان، حدثنا عمرو بن عكرمة، عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى: ﴿ وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّءْيَا ٱلَّتِىٓ أَرَيْنَٰكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ ﴾ (الإسراء: ٦٠). قال: هي رؤيا عين أريها رسول الله ليلة أسري به إلى بيت المقَدس. قال: والشجرة الملعونة في القرآن، قال: هي شجرة الزقوم.

تلك بعض الأحاديث التي وردت حول حدث الإسراء والمعراج، ولقد حرصنا على إيرادها معنعنة، رغم علمنا أن بعض الناس يملون من القول: حدثنا فلان عن فلان...، وربما كان دافعنا هو الحرص على معرفة السند ـ لتوثيق الحديث ـ وقيمته في حياة هذه الأمة. وليس هنا مجال التأكيد على أهمية الأسانيد في الحفاظ على تاريخنا الصحيح في مجالاته الحياتية والتشيعية وغيرها.

وحتى لا أطيل على قارئنا فإن هذا الكتيب الذي بين أيديكم أردت به أمرين:

الأول: أن لا أستهدف تناول القصة بتفاصيلها فهي موجودة في كتب السيرة والتفسير والحديث، ويمكن الرجوع إليها في مصادرها، وإنما كان الهدف محاولة قراءة تلك الأحداث والتفاصيل من زوايا جديدة كما سيستشعرها قارئنا العزيز.

الثاني: أننا حين عرضنا لمرائي الإسراء والمعراج لم نعرض لها على سبيل الحصر؛ لأن المجال لم يتسع إلا لنماذج فقط، ومن هنا كان الانتقاء، وهو انتقاء لا يجرؤ على الزعم بأهمية لمشهد ما أكثر مما لغيره، فكلها تأتي في إطار النسق الإلهي الذي يوحي بما لتلك الصورة من دلالات في الحياة الفردية والاجتماعية الإسلامية.

وأخيرًا، فإنه مما يفيد -ولا شك- أن ورد مختصرًا لتلك المرائي التي سوف يعرض لبعضها فضيلة الشيخ الشعراوي، والتي شاهدها رسول الله ﷺ، وكان يسأل عن كل مشهد حين يراه: ما هذا يا جبريل؟ ومن هؤلاء يا جبريل؟ فيجيب الروح الأمين بما يشرح تلك الصورة ودلالتها ومغزاها ومعناها.

• فهؤلاء قوم يزرعون في يوم ويحصدون في يوم، وكلما حصدوا عاد كما كان. إنهم المجاهدون في سبيل الله، تضاعف لهم الحسنة بسبعمائة ضعف.

• وهؤلاء قوم ترضخ رءوسهم بالصخر، وكلما رضخت عادت كما كانت، ولا يفتر عنهم من ذلك شيء.

إنهم أولئك الذين تتثاقل رءوسهم عن الصلاة المكتوبة.

• وقوم على أقبالهم رقاع وعلى أدبارهم رقاع، يسرحون كما تسرح الإبل والنعم، ويأكلون الضريع والزقوم ورضف جهنم وحجارتها.

إنهم الذين لا يؤدون صدقات أموالهم.

*وهؤلاء قوم بين أيديهم لحم نضيج في قدر، ولحم آخر نيئ قذر خبيث، فجعلوا يأكلون من اللحم النيئ الخبيث ويدعون النضيج الطيب.

قال جبريل: هذا الرجل من أمتك تكون عنده المرأة الطيبة فيأتي امرأة خبيثة فيبيت عندها حتى يصبح، والمرأة تقوم من عند زوجها حلالا طيبًا فتأتي رجلا خبيثًا فتبيت معه حتى تصبح.

• ثم أتى على خشبة على الطريق لا يمر بها ثوب إلا شقته، ولا شيء إلا خرقته، قال: ما هذا يا جبريل؟ قال: هذا مثل أقوام من أمتك يقعدون على الطريق فيقطعونها.

• ورجل قد جمع حزمة عظيمة لا يستطيع حملها، وهو يزيد عليها.

• وقوم تقرض ألسنتهم وشفاههم بمقاريض من حديد، وكلما قرضت عادت كما كانت لا يفتر عنهم من ذلك شيء. هؤلاء خطباء الفتنة.

• ثم أتى على جحر صغير يخرج منه ثور عظيم، فجعل الثور يريد أن يرجع من حيث خرج فلا يستطيع. فقال: ما هذا يا جبريل؟ فقال:

هذا الرجل يتكلم بالكلمة العظيمة ثم يندم عليها فلا يستطيع أن يردها.

● وأقوام بطونهم كأمثال البيوت كلما نهض أحدهم خر. إنهم الذين يأكلون الربا لا يقومون إلا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس.

●وأقوام مشافرهم كمشافر الإبل تفتح أفواههم فيلقمون كرات من نار ثم تخرج من أسافلهم. إنهم ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلْيَتَٰمَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ نَارًا ۖ وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا ﴾ (النساء: ١٠).

إن التأمل في تلك المشاهد يبين لكل ذي عقل وبصيرة دعائم سلامة الفرد والمجتمع، وعوامل الهدم والتحطيم فيه، ويؤكد منها ـ على وجه الخصوص ـ صورة رائعة الدلالة على مكانة الجهاد في حياة الأمة الإسلامية.

إن المجتمع الإسلامي العظيم الذي يقوم على أسس فاضلة من قيم الحق والخير ومبادئ الأخوة والكرامة والمساواة والعدل، مجتمع لا يمكن أن يكون لقمة سائغة للطامعين والمغامرين، ولكن الجهاد هو الفريضة التي تمثل السياج الذي يحمي به الإسلام بنيانه، ويربى المسلمين على قيمته العظمى في حياتهم، فالأمة الإسلامية أمة دعوة وأمة جهاد موصول إلى يوم الدين، بل إنه من مات فيها ولم يغز أو ينو الغزو فقد مات ميتة جاهلية.

إن الجهاد ـ وهو يتضح بين مرائي الإسراء بصورة رائعة ـ تذكير دائم للمسلمين أنهم الأعلون دائماً ما بقى الجهاد حقيقة نابضة بالحياة في وجودهم وليس بين الأمة الإسلامية وبين النيل منها إلا الوهن الذي يؤذن بتداعي الأمم عليها كما تتداعى الأكلة على

قصعتها، وما الوهن إلا " حب الدنيا وكراهية الموت " فأما الإيمان بالله والعمل وفق هذا الإيمان والجهاد الحق لإعلاء كلمة الله فهو سبيل أمة المسلمين إلى الخير والنصر والبركة دائماً وأبداً ﴿ وَجَٰهِدُواْ فِي ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦ ﴾ (الحج:٧٨).

قصة الإسراء

فضيلة الأستاذ الشيخ أحمد الشرباصي

جمهرة علماء المسلمين على أن حادث الإسراء والمعراج قد وقع قبل حادث الهجرة بنحو سنة، وإذا كان هناك من يرى أو من يقول: إن الإسراء قد وقع قبل البعثة، أو قد تكرر وقوعه في حياة النبي، إنما هي أقوال أفراد، ورأي الأغلبية من العلماء والفقهاء هو أن حدث الإسراء كان قبيل الهجرة بنحو سنة، ولكي نتابع قصة الإسراء ينبغي لنا أن نعرف - باختصار - الظروف التي وقع خلالها هذا الحادث الإسلامي المحمدي الخالد الذكر والأثر في تاريخ الإسلام والمسلمين، فالمعروف من سيرة المصطفى عليه الصلاة والسلام أنه ظل يدعو قومه سنوات إلى شرعة الحق والعدل والخير والقسطاس المستقيم، ولكن الذين استجابوا له كانوا قلة في العدد؛ لأن أهل الخير غالباً ما يكونون قلة في أول الأمر، فأخذ الرسول ﷺ يعرض نفسه على قبائل العرب، ويعرض عليهم دعوته، فالقليل منهم من آمن، والكثير من عارض وعاند، حرصاً على مكاسب موروثه ومراكز مأخوذة عن الآباء والأجداد.... ثم بعد ذلك حدث الحصار الذي حاصر المشركون فيه المسلمين داخل الشعب ما يقرب من ثلاث سنوات، ثم خرج المسلمون من الشعب ليعاودوا الدعوة إلى الله تعالى، وما هي إلا برهة من الزمن حتى مات أبو طالب عم النبي الذي كان يدافع عنه ويصد عنه أذى المشركين، وما كاد حزن الرسول يخف على عمه أبي طالب حتى اختار الله سبحانه وتعالى زوجته الحبيبة الغالية العزيزة السيدة خديجة التي كانت له سكناً ورفيقاً

وصديقًا ومعينًا على الشدائد؛ فاشتد حزن الرسول؛ حتى سمِي العام الذي ماتت فيه السيدة خديجة رضي الله عنها وقد ازداد تعذيب المشركين لأتباعه ـ إلى الطائف؛ راجيًا أن يجد في أهلها ما لم يجده في قبائل العرب الأخرى من الاستجابة وحسن الاستماع، ولكن أهل الطائف أساءوا استقبال الرسول عليه الصلاة والسلام، وعاد وهو يردد في الطريق قوله: " اللهم إليك أشكو ضعف قوتي، وقلة حيلتي، وهواني على الناس، يا أرحم الراحمين، أنت رب المستضعفين، وأنت ربي، إلى من تكلني؟ إلى بعيد يتجهمني؟ أم إلى عدو ملكته أمري؟ إن لم يكن بك علي غضب فلا أبالي، ولكن عافيتك هي أوسع لي، أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات، وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة من أن تُنزل بي غضبك، أو يحل علي سخطك، لك العتبى حتى ترضى، ولا حول ولا قوة إلا بك "

بعد هذا الحادث الأليم الذي خاف الرسول عليه الصلاة والسلام أن يكون من غضب الله عليه، وأنه ابتعد ولو قدر شبر عن رضا الله ورحمته... أنعم الله على نبيه ﷺ فكانت رحلة الإسراء والمعراج؛ تخفيفًا عنه ﷺ، وتفريجًا لكربته، وتثبيتًا لفؤاده.

ففي ليلة هدأ فيها كل شيء، ونامت العيون إلا عين الذي لا تنام عينه، وهو الحي القيوم الذي لا تأخذه سنة ولا نوم، أرسل الله تبارك وتعالى رسوله سيدنا جبريل عليه السلام إلى خاتم الأنبياء وإمام رسله سيدنا محمد ﷺ، فأيقظه من نومه الهادئ، وقد أعد له ركابًا سمي في السيرة النبوية باسم البراق، يضع حافره إلى حيث ينتهي طرفه.

ومادة البراق تذكرنا بمادة البرق، وهي تشير إلى السرعة، وقطع

المسافات في أقل وقت... فركب سيدنا محمد ﷺ هذا البراق الذي أعده الله لرحلته الطويلة المباركة، وسار سيدنا جبريل ومن معه من الملائكة في خدمة رحمة الله للعالمين سيدنا محمد ﷺ؛ حتى بلغ بيت المقدس في فلسطين، كما يقول الله تعالى صريح القرآن الكريم: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١﴾﴾ (الإسراء:١).

وهناك حيث ارتفع سيدنا محمد ﷺ إلى قمة السمو الروحي في قلبه وعواطفه ومشاعره، وحيث شفِ جسمه؛ حتى كأنه قطعة من نور وليس كتلة من أعصاب ودماء ولحم، هناك حيث ارتفع سيدنا محمد ﷺ عن المستوى البشري المعهود لسائر الناس... جمع الله له إخوته من الأنبياء والمرسلين؛ حيث صلى بهم صلاة رمزت إلى إخوة الأنبياء وإلى إمامة الإسلام وختمه للدعوات في الأرض.

وبعد أن صلى رسول الله ﷺ بأنبياء الله ورسله وإخوته وأشقائه في الدعوات الإلهية... أراد الله تعالى أن يوسع الفضل لنبيه فارتفع به إلى حيث تتقاصر العقول البشرية، وحيث لا تتطاول الهمم الإنسانية إلا بعد أن يصطفي الله فردًا من أفرادها فيصنعه على عينه، ويجعله خاتم أنبيائه ورسله.

وبعد أن رأى رسول الله ﷺ من آيات ربه الكبرى عاد إلى سيدنا جبريل حيث وقف به مقامه دون المقام الذي خلص فيه خاتم الأنبياء والمرسلين للقاء ربه، بعدها عاد فهبط مرة ثانية إلى دنيا الناس، حيث عاد إلى بيت المقدس عاصمة فلسطين، ومنه إلى مكة المكرمة، كل هذا تم في ظلام الليل، والقرآن يقول: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ

بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا ﴾ (الإسراء:١) ... ليشير إلى أن هذه الرحلة الطويلة التي وصلت بين أبعاد الأرض، ووصلت بين أقطار الأرض وأقطار السماء تمت في ساعات من الليل.

وفي الصباح حدث النبي ﷺ بنت أبي طالب المكناة بأم هانئ، حدثها - ولقد كان يبيت في بيتها - عما فعل الله به، وعما تم له من معجزة في أثناء الليل، فأشفقت أم هانئ على رسول الله ﷺ من مدى المقابلة التي يقابل بها المشركون الخبر، فنصحت إليه بألا يقص هذه القصة على قومه، ولكن النبي ﷺ الصادق المعصوم من ربه، المصر على مبدئه وعقيدته، الواثق من نصر الله له وإظهار دينه على غيره، أبى إلا أن يخرج إلى القوم ويلقى مشركهم قبل أن يلقى مؤمنهم ليحدثهم فيما ساق الله إليه من فضل، وما أتم عليه من نعمة، وكأنما المشركون كانوا يترقبون هذه الفرصة ليظهروا تمام الشماتة وتمام الفرح؛ فظنوا أن هذه سقطة سقط فيها الرسول ﷺ، وهي سقطة كفيلة بالقضاء على دعوته التي لم يستطيعوا بكل قوتهم أن يقضوا عليها؛ ولذلك حينما أخبرهم الرسول بالخبر أرادوا أن يستوثقوا من أنه يقصد تمامًا ما يقول، وأكد لهم ﷺ أنه يعي ما يقول، واستشهدوا عليه الشهود، فقالوا: أإذا جئنا لك بالمؤمنين لك تقرر هذا أمامهم؟ قال: نعم.

وطار طائرهم إلى أقرب الناس إلى سول الله، إلى سيدنا أبي بكر، طاروا إليه واثقين أنه لن يصدق سيدنا محمدًا ﷺ هذه المرة، فقد زاد سيدنا محمد في زعمه، وخرج عن حده، ولكن سيدنا أبا بكر رضوان الله عليه مثَّل لنا رد الفعل الذي يقع في قلب المؤمن عندما يأتيه الخبر من الصادق الأمين الذي لا يكذب ولا يتقول ولا ينحرف، فلما قالوا

له: إن محمدًا يزعم أنه أسري به إلى بيت المقدس وعاد من ليلته. قال سيدنا أبو بكر ﷺ بلغة المؤمن الواثق الموقن: إن كان قد قال هذا فقد صدق... إني أصدقه فيما هو أبعد من ذلك، أصدقه في الخبر يأتيه من السماء - يشير بذلك إلى الوحي - أفلا أصدقه في هذه. أمرين

فإذا كان سيدنا أبو بكر ﷺ قد صدق سيدنا محمدًا ﷺ في أن سيدنا جبريل عليه السلام يأتيه من قبل الله تعالى ومعه وحي العلي الكبير ليلقنه إياه، فإن الإله القادر على إنزال سيدنا جبريل عليه السلام ومعه وحيه... لا يعجز عن الانتقال بسيدنا محمد ﷺ من مكة إلى بيت المقدس وإعادته في ليلة واحدة.

سؤال:

في فترة نكاد نتصور فيها أن المسلمين لم تتكامل قواهم في المجتمع الصغير الذي كانوا يعيشون فيه في ذلك الوقت، وكأن الإسراء إلى جانب ما فيه من نعمة الله ومن فضله على الرسول ﷺ وعلى المسلمين جميعًا هو امتحان. نود أن نعرف هل يمكن أن يكون هناك مغزى أو حكمة لِلإسراء في تلك الفترة بالذات؟

يقول فضيلة الأستاذ الشيخ محمد بن فتح الله بدران

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله، وسلام على عباده الذين اصطفى، وسلام على محمد ﷺ الذي قال له ربه: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴾ (الأنبياء:١٠٧).

نكرر دائمًا في صلواتنا: ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾، ويقول رب العالمين لسيدنا محمد ﷺ: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً

﴿لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ (الأنبياء:١٠٧)؛ فسيدنا محمد ﷺ رحمة للعالمين جميعًا، والله به أرحم، وعليه أكرم، لابد بعد هذه الحوادث الفاجعة التي مرت به ﷺ وبالقلة المؤمنة ـ كما ذكر أخي الشرباصي ـ لابد أن يثبت الله سبحانه وتعالى فؤاد هذا النبي الكريم ﷺ، ولابد ان يريه من آياته الكبرى، ولابد من أن يؤويه إليه تصديقًا لقوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَـَٔاوَىٰ﴾، فإذا ما جاء وقت أي وقت، وشعر فيه النبي ﷺ بأي شيء من الاحتياج آواه الله إليه، ولكن في هذه المرة، وقبل الهجرة إلى المدينة حيث استقر الإسلام وانتشر.

وبما أن سيدنا محمد ﷺ رحمة للعالمين، وبما أنه ﷺ خاتم المرسلين، وبما أنه ﷺ رسول الإنسانية كلها، لابد أن يطلعه الله على ما لم يطلع عليه أحدًا من قبل، ولم يطلع عليه أحدًا من بعد، فكان لابد من أن ينتقل به من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي بارك الله حوله.

من الذي انتقل إلى المسجد الأقصى محمد العربي، محمد الإسلامي... محمد رسول الإسلام، محمد سيد العرب، وبهذين الوصفين انتقل محمد من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، ولكن التعبير القرآني فيه غرابة غريبة، فلم يقل الله (سبحان الذي أسرى بمحمد من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى) وإنما قال: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا﴾، قال: (بِعَبْدِهِۦ) ولم يذكر اسمه، ولم يذكر شيئًا من أوصافه؛ من أنه رحمة للعالمين، ومن أنه مصطفى، ومن أنه خاتم المرسلين، وإنما قال: (بِعَبْدِهِۦ)؛ ليشعرنا أن المفتاح إلى بيت المقدس، إلى المسجد الأقصى.. إنما هو تحقيق العبودية لله.

ومن العجيب أن يكون التعبير القرآني (بِعَبْدِهِۦ) ولم يكن ـ مثلا ـ (بمحمد)، في حين أنه في أول سورة مريم قال عن زكريا: ﴿كٓهيعٓصٓ ۞ ذِكۡرُ رَحۡمَتِ رَبِّكَ عَبۡدَهُۥ زَكَرِيَّآ ۞﴾ (مريم)، فصرح بالاسم مع ذكر كلمة (عَبۡدَهُۥ)، لكن حين تكلم عن سيدنا محمد في الآية السابقة لم يصرح بالاسم... ونستفيد من هذا أنه ليس هناك إلا فرد واحد قد اكتملت فيه العبودية لله سبحانه وتعالى، هو سيدنا محمد ﷺ، وإذا أطلق لفظ (عَبۡدَهُۥ) فإنه لا ينصرف أبدًا إلا إلى واحد فرد هو سيدنا محمد ﷺ، كما تقول عن أبيك: أبي فقط، أما إن قلت: أبي عن عمك أو خالك أو أستاذك، فإنك تضيف اسمه إلى كلمة (عمي) أو (أبي) فتقول: عمي مصطفى... عمي خالد، أو أبي مصطفى... أبي خالد، لكن إذا تكلمت عن والدك الحقيقي فلا تقول إلا أبي؛ لأنه اكتملت فيه الأبوة الحقيقية.

إذن سيدنا محمد ﷺ ـ وقد اكتملت فيه العبودية لله سبحانه ـ لابد وهو رحمة للعالمين من أن يطلعه الله على آياته، ولابد من أن ينتقل به من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، وهنا يجب أن نتساءل: لِمَ لم يكن المعراج مباشرة من المسجد لأقصى، و لِمَ لم يكن إلى المدينة حيث تنتقل الدعوة إليها فيما بعد؟ و لِمَ لم يكن المعراج مباشرة من المسجد الحرام وهو بيت الله الحرام، وأول بيت وضع للناس؟

أشار أخي الأستاذ الشرباصي إلى لمحة طيبة جدًا، وهي أن الله سبحانه وتعالى جمع لرسوله محمد جميع أنبيائه ومرسليه، وصلى بهم رسول الله سيدنا محمد ﷺ إمامًا، لماذا صلى بهم إمامًا؟ وماذا نستطيع

أن نستفيد من هذا؟ وكيف نربط هذا بواقعنا الآن؟ صلى بهم إمامًا وكأنهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين بايعوا محمدًا بزمام الأرض وزمام الإنسانية الديني؛ لأنه خاتم المرسلين، ولأن الدين واحد عند الله هو الإسلام ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلۡإِسۡلَٰمُ ﴾ (آل عمران:١٩). فسيدنا محمد ﷺ إذن هو رسول الإنسانية من بدئها إلى ختامها، جاء ـ كما قال أخي الشرباصي ـ متممًا رسالات إخوانه المرسلين صلوات الله وسلامه عليهم.

إذن جميع المرسلين سلموا زمام الأرض وسلموا اللواء لمحمد ﷺ في المسجد الأقصى. وإذا كان سيدنا محمد ﷺ قد تسلم اللواء في المسجد الأقصى، وهو العربي وهو الإسلامي، فقد وجب على كل عربي وكل مسلم أن يفتدي هذا المكان الذي تسلم فيه سيدنا محمد ﷺ اللواء... أن يفتديه بماله وعرضه ونفسه نفيسة؛ ليحافظ على المكان القدسي المبارك الذي تسلم فيه سيدنا محمد ﷺ اللواء من جميع الأنبياء والمرسلين.

ثم إذا ما رجعنا مرة أخرى إلى (عبده)، إلى مفتاح من مفاتيح المسجد الأقصى وهو العبودية، لعلمنا أنه ما دامت هناك عبودية لله فإذن يتساوى العبيد كلهم في عبوديتهم لله، وإذن لابد من الإخوة، ولابد من التعاون، ولابد من الاتحاد، ولعل مؤتمرات القمة تبشر بخير أن يتحد المسلمون والعرب، وأن يتعاونوا على البر، حتى يرجعوا اللواء إلى اللواء، وأن يحافظوا على هذا البلد القدسي الطيب الطاهر الذي بارك الله حوله، والذي أطلع فيه سيدنا محمدًا ﷺ على آياته الكبرى، كما قال سبحانه: ﴿ لِنُرِيَهُۥ مِنۡ ءَايَٰتِنَآ ﴾ (الإسراء:١)

هناك عند سدرة المنتهى؛ حيث قال له: ﴿ لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ ﴾ (النجم: ١٨)، فصلى الله وسلم على حبيبه المصطفى ورضي الله عن المسلمين وعن العرب الذين يأخذون بيد الاتحاد والقوة ليجمعوا أمرهم ليتوجهوا إلى المسجد الأقصى؛ تحقيقًا لأمر الله سبحانه وتعالى وأمر رسوله ﷺ.

سؤال:

الإسراء جاء في القرآن الكريم في موضع، والمعراج جاء في موضع آخر، مع أن الإسراء والمعراج وقعا لرسول الله ﷺ في ليلة واحدة، فما الحكمة من ذلك؟ وهل صحيح أن أصحاب رسول الله ﷺ سألوه عن رؤيته لربه، فقال ﷺ: " لقد رأيت ربي حقًّا، كالقمر ليلة البدر، فانعكس بصري في بصيرتي، فرأيت من ليس كمثله شيء " أرجو بيان ذلك واضحًا؟

يقول فضيلة الأستاذ أحمد الشرباصي:

الواقع أن القرآن الكريم لم يذكر الإسراء في موضع واحد، فقد ذكره في موضعين: موضع بالتصريح، وهو الآية رقم الأولى في سورة الإسراء: ﴿ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١﴾ ﴾ ثم عاد فتحدث عن الإسراء في آية أخرى ـ باختصار ـ عندما قال: ﴿ وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّءْيَا ٱلَّتِىٓ أَرَيْنَٰكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ وَٱلشَّجَرَةَ ٱلْمَلْعُونَةَ فِى ٱلْقُرْءَانِ ﴾ (الإسراء: ٦٠)، فقال جمهرة المفسرين: إن الرؤيا ـ هنا ـ هي رؤيا الإسراء التي كانت بالجسد والروح معًا.

وأشار القرآن الكريم إلى قصة المعراج في صدر سورة النجم:

﴿ وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ۝١ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ۝٢ وَمَا يَنطِقُ عَنِ
ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ۝٤ عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ ۝٥ ذُو مِرَّةٍ
فَٱسْتَوَىٰ ۝٦ وَهُوَ بِٱلْأُفُقِ ٱلْأَعْلَىٰ ۝٧ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ۝٨ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ
أَوْ أَدْنَىٰ ۝٩ فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ ۝١٠ مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ ۝١١
أَفَتُمَٰرُونَهُۥ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ ۝١٢ وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ۝١٣ عِندَ سِدْرَةِ
ٱلْمُنتَهَىٰ ۝١٤ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ ۝١٥ إِذْ يَغْشَى ٱلسِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ ۝١٦ مَا
زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ۝١٧ لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ ۝١٨ ﴾.

ونلاحظ هناك فرقًا جوهريًا بين حديث القرآن عن الإسراء وحديثه عن المعراج؛ ففي حديثه عن الإسراء يميل إلى التحديد والتفصيل نوعًا ما، أما في حديثه عن المعراج فإنه يميل إلى طريقة الرمز والإشارة، وهذا هو المناسب والأسلوب الحكيم ـ كما يقول البلغاء ـ فرحلة الإسراء؛ لأنها رحلة في الأرض، وإن كانت غير عادية، إلا إنها في المستوى الذي يعيش فيه الناس وهو الأرض والأفق الذي يلي الأرض، أما المعراج فهي الرحلة التي رأى فيها سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام ﴿ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ ﴾ ولم يُرَ من آياته كما جاء في الإسراء؛ فالمناسب أن يكون هذا شبيهًا بالسر الذي يكون بين الله سبحانه وتعالى وبين حبيبه وصفيه سيدنا محمد ﷺ، خاصة أن سيدنا محمد ﷺ عندما علا إلى المعراج لم يكن بالصورة ولا بالطبيعة الحسية البشرية الغليظة التي فينا نحن، وإنما شفافية الروح مع شفافية الجسم مع التقاء المعاني الأرضية بالمعاني السماوية على حقيقة لا يعلمها إلا القادر على المد الإلهي.

أما حينما قال الرسول ﷺ: إنه رأى ربه، فهذا ثابت حقًا في السنة

الصحيحة. وأما تشبيهه للرؤيا بأنها كالقمر ليلة البدر فإنما يريد بذلك إزالة الشك والريب، فكما أن القمر ليلة تمامه وليلة البدر يكون واضحًا لا شك في ظهوره لقوى البصر وضعيفه، فكذلك لاشك أن سيدنا محمدًا ﷺ قد رأى ربه ولقيه. أما كيف لقيه؟ وكيف رآه؟ فذلك فوق مستوى العقول وفوق مستوى الأبصار.

وإذا كان سيدنا محمد ﷺ قد رأى من آيات ربه الكبرى، فإنه لا يلزمنا أن نرتفع إلى المستوى الذي ارتفع إليه حتى نرى كيف رآه.... وهيهات هيهات.

سؤال:

" فانعكس بصري في بصيرتي "؟

هذا معنى الأرضية مع السماوية.

سؤال:

معلوم أن الله سبحانه فرض على سيدنا محمد ﷺ جميع الفرائض في الأرض، فما الحكمة في أنه فرض الصلاة في السماء؟ ولماذا سميت الصلاة بهذا الاسم؟

يجيب الأستاذ الدكتور محمد بن فتح الله بدران:

نعم، كان سيدنا جبريل عليه السلام على سنة الله سبحانه وتعالى الجارية في رسله... كان سفيرًا إلى سيدنا محمد ﷺ، ولكن نلمح عجبًا في قصة المعراج التي ذكرها الله سبحانه في صدر سورة " النجم " فقصة الإسراء ذكرت في صدر سورة الإسراء، وتعددت مواضع ذكر القصتين بالرغم من كونهما حادثة واحدة لأسباب متعددة أهمها:

العبـرة؛ لأن القـرآن الكـريم حـين يحكـي قـصة أو يـشير إلى قـصة فإنمـا يهـدف إلى تثبيـت العبـرة في نفـوس المـؤمنين.... فللإسـراء عبـر، وللمعـراج عبـر... فالإسـراء مبايعـة لـسيدنا محمـد ﷺ بزمـام الأرض وختم الرسـالات... ثـم عقـب ذلـك مباشـرة بـالكلام عـن بنـي إسـرائيل، وأنهـم سيفـسدون في الأرض مـرتين، وأنهـم وأنهـم... إذن إلى المـسجد الأقـصى، هنـا انتهـت الرحلـة الأرضـية... تبـدأ قـصة المعـراج في أول سـورة الـنجم وهـي الرحلـة الـسماوية مـن المـسجد الأقـصى إلى سدرة المنتهى... وتم ذلك على مراحل ثلاث:

المرحلة الأولى: كان فيها سيدنا جبريل مـع النبـي ﷺ خادمًـا في ركابـه: ﴿ وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ۝١ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ۝٢ ﴾ .. إذا سـقط النجم، واندست جميع الكائنـات؛ يجـوز هـذا في منطـق الألوهيـة، ولا يجـوز لسيدنا محمـد ﷺ أن يـضل ولا أن يغـوى: ﴿ وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ۝١ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ۝٢ ﴾ والتعبير في الافتتاح بـ " النجم " تنبيه للناس، أي انتبهوا أيها الناس إنكم ستسمعون كلامًا فوقيًّا علويًّا... من السماوات، لا مـن الأرض، ولا يتعلـق بـالأرض: ﴿ وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ۝١ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ۝٢ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ۝٤ عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ ۝٥ ذُو مِرَّةٍ فَٱسْتَوَىٰ ۝٦ ﴾.

جميـل، فمـا دام الأمـر عـلى الأرض، ومـا دام في الـدائرة التـي يـستطيع سـيدنا جبريـل عليه السلام أن يتحـرك فيهـا... يبقـى سـيدنا جبريـل سـفير الوحي من الله إلى سيدنا محمد.

والمرحلـة الثانيـة: ﴿ فَٱسْتَوَىٰ ﴾.. اسـتوى سـيدنا محمـد ﷺ، وفي ركابـه سـيدنا جبريـل عليه السلام، اسـتوى سـيدنا محمـد ﷺ ومعـه سـيدنا جبريـل

عليه السلام إلى الأفق الأعلى، استوى وهو بالأفق الأعلى... ولم يقل القرآن: استويا معًا حتى لا تكون درجة سيدنا جبريل عليه السلام كدرجة سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام، إنما أفرد سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام بالتكريم، استوى سيدنا محمد ﷺ بالأفق الأعلى، ومعه سيدنا جبريل عليه السلام، ثم وقف سيدنا جبريل وانتهى مقدار ما يستطيع أن يصل إليه، استوى وهو بالأفق الأعلى.

المرحلة الثالثة: (ثُمَّ دَنَا) وحده عليه الصلاة والسلام؛ فتقدم سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام ووقف سيدنا جبريل: ﴿ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ﴿٨﴾ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ﴿٩﴾ فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ ﴿١٠﴾ ﴾ من الذي أوحى؟ الله سبحانه وتعالى قطعًا... (إِلَىٰ عَبْدِهِۦ)... من عبده؟ سيدنا محمد ﷺ قطعًا، ولفظ عَبْدِهِ تعني الجسد والروح معًا... ﴿ فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ ﴾ مما لا يستطيع سيدنا جبريل أن يحيط به، فبين الله وحبيبه أسرار لا يعلمها إلا الحبيب والمحبوب، لا يعلمها إلا رحمة الله للعالمين، وما دام سيدنا جبريل عليه السلام من العالمين، فإذن هو مرحوم بسيدنا محمد ﷺ؛ لأن صريح القرآن الكريم يقول: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَـٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَـٰلَمِينَ ﴾ (الأنبياء:١٠٧).

ولكن كيف يُعَلِّمُ المرحوم راحمه... يعني كيف يُعَلِّمُ سيدنا جبريل عليه السلام سيدنا محمد ﷺ؟

نعم سيدنا جبريل كان سفيرًا لسيدنا محمد عليه الصلاة والسلام ما دام سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام على الأرض، ولكن الوحي الأكمل، ولكن الوحي المحمدي الحق تلقاه سيدنا محمد ﷺ من ربه هناك لما كان ﴿ قَابَ

قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ﴿٩﴾ فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ ﴿١٠﴾ مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ ﴿١١﴾ أَفَتُمَـٰرُونَهُۥ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ ﴿١٢﴾ ﴾ ثم: ﴿ وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴾.

أو لما كان ﴿ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ﴾... وأوحى الله إلى عبده ما أوحى.... رأى سيدنا محمد ﷺ ربه حتى يستقيم الفهم. ﴿ وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾ عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴿١٤﴾ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ ﴿١٥﴾ إِذْ يَغْشَى ٱلسِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ ﴿١٦﴾ مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ﴿١٧﴾ لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَـٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ ﴿١٨﴾ ﴾ هناك إذن عندما أوحى الله إلى عبده ما أوحى... أوحى الله إليه ما شاء من فرائض؛ ومنها الصلاة، وإنما سميت الصلاة بأنها الصلة بين العبد وربه؛ لأنها هي العاصم الذي يعصم الإنسان في إنسانيته، وتكمل له سعادته الدنيوية والأخروية؛ لأنه سيكون دائم الاتصال بربه خمس مرات في اليوم... إذن لا يضل ولا يشقى، (إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر).

ويرى فضيلة الأستاذ الشيخ أحمد الشرباصي أنه قد فهم فهما في تخصيص الصلاة بفرضيتها ليلة الإسراء... ويقول: يخيل إليَّ أن الإسراء والمعراج اللذين تما لسيدنا محمد ﷺ كانا في المستوى الرفيع العالي الذي يتناسب مع مقام خاتم الأنبياء وسيد المرسلين، والصلاة إسراء من المؤمنين إلى الله على المستوى وعلى القدر الذي يطيقه عامة المؤمنين... فأنا أسري إلى الله بصلاتي كل يوم خمس مرات، بمعنى أنني أخرج من شواغلي الدنيوية وأرحل إلى الله لأقف بين يديه، أناجيه وأدعوه، ليس بيني وبينه وسيط أ رقيب، أطلب منه وأرتضيه... فهذا إسراء على قدر حالي أنا الفرد العادي... بينما إسراء الرسول ﷺ ومعراجه على مستوى أعلى وأكبر؛ ولذلك جعل الإسلام الصلاة في نص القرآن الكريم أداة فعلية للنهي عن الفحشاء والمنكر، ومتى

انتهى الإنسان عن الفحشاء والمنكر فقد تطهر، ومتى تطهر فقد صلح لكي يسري إلى ربه، ولكن يعرج معراجًا على قدره ليلقى الله كل يوم خمس مرات.

سؤال:

من المقرر واتفق عليه علماء المسلمين جميعًا أن الإسراء والمعراج كانا بالجسد والروح، وأن المغزى الأساسي من هذه الرحلة (لنريه من آياتنا)... والمعروف لغة أن الرؤيا غير الرؤية، فالرؤية هي للبصر، والرؤيا تكون منامية... فالآية الكريمة التي ساقها فضيلة الأستاذ الشرباصي: ﴿وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّءْيَا ٱلَّتِىٓ أَرَيْنَٰكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ﴾ (الإسراء: ٦٠) لا علاقة لها بالموضوع؛ لأن الرؤيا - هنا - منامية، ولو كانت مسوقة لحادث الإسراء والمعراج لما كان فيها أي فتنة، أي أن الإسراء والمعراج لو كانا رؤيا منامية ما كان فيها فتنة، إنما جمهور المفسرين تقريبًا مجمعون على أن هذه الآية متعلقة بالرؤيا التي ذكرت في سورة الفتح: آية:٢٧: ﴿لَّقَدْ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءْيَا بِٱلْحَقِّ﴾ التي رأى فيها الرسول ﷺ أنه يدخل المسجد هو والمسلمون محلقين ومقصرين، وكانت فعلا فتنة للناس، لدرجة أن سيدنا عمر ﷺ في صلح (الحديبية) ناقش الرسول ﷺ وكاد المسلمون أن يفتنوا... فالمفسرون متفقون على أن هذه الآية لا علاقة لها بحادث الإسراء والمعراج.

ويقول فضيلة الأستاذ الشيخ أحمد الشرباصي:

الواقع أن المسلمين لم يجمعوا على أن الإسراء كان بالروح والجسد، فهناك من يقول: إن الإسراء كان بالروح فقط، وهناك من

يقول: إنه كان بالجسد والروح، وهناك من يقول: إن الإسراء كان بالروح والجسد، والمعراج بالروح فقط، ولكن ـ كما ذكرت في صدر حديثي ـ الإسراء والمعراج كانا بالروح والجسد بعد أن صلح الروح والجسد في خاتم الأنبياء لهذه الرحلة الإلهية العجيبة.

أما فيما يتعلق بالآية التي يقول الله تبارك وتعالى فيها: ﴿ وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّءْيَا ٱلَّتِىٓ أَرَيْنَٰكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ ﴾(الإسراء: ٦٠). فليس بصحيح أن جمهور المفسرين قالوا: إنها الرؤيا الواردة في سورة الفتح، وأنا على ثقة مما أقول... ولو كان القول ـ كما قال الأخ ـ لما ذكر الله تعالى كلمة (للناس)؛ لأن الفتنة في الواقع ـ التي قد يظن أنها فتنة في صلح الحديبية ـ لم تكن متعلقة بدخول المؤمنين البيت الحرام محلقين رءوسهم ومقصرين.. والحكمة التي أشار إليها والتي حسب أن لها علاقة بموقف سيدنا عمر ﷺ لم تكن متصلة بدخول البيت الحرام، إنما الواقع أن الاضطراب الذي حدث كان بسبب الشروط السمحة الكريمة التي أعطاها الرسول في صلح الحديبية ببعد نظره، ولأنه كان يعمل على مستوى السياسة البعيدة المدى، فكان سيدنا عمر ﷺ يقول لرسول الله: " ألسنا على الحق وهم على الباطل فلماذا نعطيهم هذه الشروط "... وفي العودة نزلت سورة " الفتح " بعد توسيع هذه الشروط.

فالرؤيا التي أريناك لا يصح أن تكون فتنة للناس إلا إذا كانت فعلاً مثار فتنة. أما إذا وعد الرسول عليه الصلاة والسلام أتباعه المؤمنين أن الله سينصرهم وسيدخلون مكة بعد أن خرجوا منها فلا يصح ولا يصلح أن يكون هذا مكانًا للفتنة بين الناس.

سؤال:

حكى الله سبحانه وتعالى الإسراء والمعراج في القرآن الكريم، ولكن معظم الفقهاء يفرقون بين الإسراء والمعراج من ناحية الإنكار... فمنكر الإسراء يقولون عنه: كافر ومنكر المعراج يقولون عنه: فاسق، مع أن الصلاة قد فرضت في المعراج.. فرضت في السماء في رحلة المعراج، والقرآن الكريم يقول: ﴿ مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ﴿١٧﴾ لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ ﴿١٨﴾ ﴾ (النجم). كل ذلك كان في المعراج ولم يكن في الإسراء... فكيف يكون منكر المعراج فاسقًا ومنكر الإسراء كافرًا؟

يجيب فضيلة الأستاذ الدكتور محمد فتح الله بدران فيقول: الذين يقولون بذلك يريدون أن يقولوا: إن الإسراء رد في القرآن الكريم، أما المعراج فثبت في السنة الصحيحة، لكن وقد ثبت المعراج بالقرآن، إذن من اعتقد بثبوت المعراج بالقرآن الكريم، وأنكره فكأنه أنكر جزءًا من القرآن الكريم فقد كفر.

سؤال:

تقول الآية الكريمة: ﴿ وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴾ فهل معنى ذلك أن فيه رؤية كانت قبل ذلك وهذه أخرى؟ وما معنى (نزلة)؟ ومن ضمن الآيات وعرض الآيات أنها كانت آيات كبرى... فهذا يدل على أن الرؤيا كانت لسيدنا جبريل ولبعض الآيات التي رآها الرسول عليه الصلاة والسلام.

يجيب فضيلة الأستاذ الدكتور محمد فتح الله بدران فيقول: ﴿ وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾ عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴿١٤﴾ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ ﴿١٥﴾ ﴾

وكأن المعراج نزلات ثلاثة أو محطات ثلاثة، نزلة ونزلة ونزلة... نزلة عند سدرة المنتهى، ونزلة عند الأفق الأعلى ونزلة هناك عندما كان سيدنا محمد ﴿ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ﴿٩﴾ فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ ﴿١٠﴾ ﴾ لم يكذب فؤاد سيدنا محمد ﴿ مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ ﴿١١﴾ ﴾ ما الذي رآه فؤاد سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام؟ أو يرى ما أوحى إليه؟ قد يكون الموحى به لا يرى... يفهم من هذا أنه قد رأى ربه في هذه النزلة إذن يستقيم الكلام ﴿ وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾ ﴾ لما أوحى إليه ما أوحى ما كذب فؤاده ما رأى ﴿ وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾ عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴿١٤﴾ ﴾.

أما الذين يقولون: إن الذي رآه سيدنا محمد ﷺ هو سيدنا جبريل عليه السلام إنما يتمسكون بقوله: ﴿ وَلَقَدْ رَءَاهُ بِٱلْأُفُقِ ٱلْمُبِينِ ﴿٢٣﴾ ﴾ (التكوير). وهذه نص في سيدنا جبريل عليه السلام قطعًا... لكن فرق كبير بين الأفق المبين (الأفق الظاهر الواضح المكشوف للكل الذي رأى سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام فيه سيدنا جبريل عليه السلام وبين الأفق الأعلى الذي وقف عنده سيدنا جبريل، وتقدم سيدنا محمد ﷺ وحده ﴿ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ﴾ ... وبعد أن تقدم وحده أوحى إلى عبده.. لا يكون الموحي إلا الله سبحانه وتعالى، ولا يكون العبد إلا سيدنا محمدًا ﷺ.. إذن هنا ليس إلا الله سبحانه وتعالى وسيدنا محمد ﷺ.

سؤال

وقع في يدي كتيب صغير منذ سنوات يروي حديث الإسراء والمعراج، وينسبه ـ على ما أظن ـ إلى ابن عباس رضي الله عنهما، وهذا الكتاب يربو على العشر صفحات، وفيه كثير من ألوان التعذيب للعصاة، وألوان التنعيم للمؤمنين الطيبين، وأذكر أن فيه على سبيل

المثال ـ أن بعض الناس في يدهم لحم خبيث ولحم طيب، فيتركون هذا اللحم الطيب ليأكلوا الخبيث... وسأل عليه الصلاة والسلام عن هذا فقال له جبريل ما معناه: إن هذا الصنف هو الذي يترك الطيب الحلال من ماله ثم يتجه إلى الحرام والذي أحب أن أعرفه هل هذا الحديث صحيح؟

ثم ما هي الآيات الكبرى التي رآها النبي ﷺ، والتي يقول القرآن الكريم فيها: (لنريه من آياتنا) وكأن العلة في هذا العمل هو أن يرى النبي ﷺ آيات كبرى، أريد بسطًا إن أمكن... وشكرًا.

يجيب فضيلة الأستاذ الشيخ أحمد الشرباصي فيقول: الواقع أن الذي يكاد يجمع عليه العلماء في حادث الإسراء أن الرسول ﷺ في أثناء الإسراء رأى بعض الشواهد والأدلة التي تؤيد صدقه في الإسراء، ولما عاد إلى قومه وقص عليهم القصة وطالبوه بالدليل وصف لهم بيت المقدس على حقيقته، وكثير منهم زاروه من قبل، وحدثهم عن عير لهم تقدم عند الصباح، فكان الأمر كما قال، وحدثهم عن إناء كان فيه ماء فشرب منه، ثم وضع غطاءه عليه، وأن سيدنا جبريل عليه السلام في أثناء الإسراء عرض عليه إناء من لبن وإناء من خمر وإناء من ماء ليختار أحدها... فاختار اللبن ولم يختر الخمر، فقال له: لقد اخترت الفطرة التي فطر الله نفسك وأمتك عليها، ولو اخترت الخمر لغويت وغوت أمتك.

أما الحديث الذي أشار إليه الأخ السائل الكريم، وفيه هذه الصور التي يتحدث فيها الرسول عن أجزية الصالحين وعن أجزية الطالحين، وعن الصور التمثيلية المؤذية لهؤلاء العصاة والصور

المحببة لهؤلاء الطائعين، فقد أثبت المحققون في علم السنة أن هذا يتعلق برؤيا أخرى رآها الرسول ﷺ، ولم تكن بالفعل ليلة الإسراء، فالحديث الذي ذكرته ورد في السنة ولا غبار عليه، وهو تقرير بصور حسية لبعض المعاني المرذولة التي ينهى الإسلام عنها وبعض المعاني الجميلة التي يدعو إليها.

ويعود فضيلة الأستاذ الدكتور محمد بن فتح الله بدران ليوضح أن في الإسراء قال: (لنريه من آياتنا) ولكن هناك عند سدرة المنتهى في نهاية مرحلة المعراج قال الله سبحانه وتعالى: (لَقَدْ رَأَى) هناك فرق بين (لنريه) و (لقد رأى)... ﴿ لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَـٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ ﴾ ثم نحاول أن نتفهم ما هي آيات الله الكبرى التي أطلع عليها سيدنا محمد ﷺ فهذا شيء كثير ولا نقدر عليه.

يتحدث فضيلة الأستاذ الشيخ أحمد حسن الباقوري عن الإسراء والمعراج فيقول:

بعد السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، فمنذ خمس سنوات أو أقل دعاني قاضي قضاة الأردن الإمام الشيبي، ودعا معي تقريبًا جميع البلاد العربية إلى حضر حفل الإسراء والمعراج في المسجد الأقصى، وحضر هذا الحفل ـ فيما أذكر ـ مندوبون عن العالم الإسلامي كله، بعضهم من العراق، وقد لحق هذا الرجل بالرفيق العلي، وقد كان ـ رحمه الله ـ رجلاً مؤمنًا، لا وطن له إلا حيث كان الإسلام وكانت العروبة، وبعض المدعوين كان من بلاد الخليج العربي... وهم أصدقاء وأخوة أعزاء، والتقينا حول منبر الشهيد نور الدين زنكي، والمنبر موجود بالمسجد الأقصى، هذا المنبر الذي صنعه المجاهد

الشهيد محمود نور الدين زنكي، والذي أحرقته العصبة اليهودية في العام الماضي أو فيما قبله، فتلاقى الإخوة المسلمون في هذا المكان الطيب مسرى رسول الله ﷺ، ولم يكن يدور بخلد واحد منا أنه بعد خمس سنوات سيتصدع بنيان هذا المسجد، وسيحترق هذا المنبر، وستكون الأرض المقدسة الطهور في سلطان عدو لا تنام له عداوة، ولا تكف له بغضاء، ليس للإسلام والمسلمين فحسب، ولكن أيضًا للمسيحية والمسيحيين.

ومن أعجب العجب أن سيدنا عمر ﷺ حين فتح الله على المسلمين ببيت المقدس لقيه القساوسة والرهبان والشمامسة بحفاوة بالغة، ولقيهم هو ﷺ بالاحترام والأدب الإسلامي الرفيع، وشرط لهم الشرط الذي أرادوه، قال له بطريرك المسيحيين في المدينة المقدسة: " إننا نعاهدك على أن تفي لنا بشرط، هذا الشرط هو ألا يسكننا في هذا البلد أحد من اليهود ". وقد أجابهم عمر أمير المؤمنين إلى هذا، فنفذ الشرط،ولم يبق معهم أحد من اليهود في بيت المقدس.

ووجه العجب هنا، أنه إذا كان المسيحيون القدامى المخلصون اشترطوا ألا يساكنهم بيت المقدس أحد من اليهود؛ كراهية لهم، فاليوم من يظاهر اليهود ضد المسلمين وضد المسيحيين جميعًا... هم فئة ممن ينتسبون إلى المسيحية.

هذه عبرة من الحق علينا أن نذكرها وأن نذكر بها... وهي مسألة أقدمها بين يدي هذا الحديث.

ما هو فوق العقل وما هو ضده:

ثم أمر آخر نقدمه بين يدي هذا الحديث، هو أن كل دعوة في دنيا الناس بعد أن بلغت الإنسانية رشدها كانت ترتكز على الدين وتؤمن بالغيب، والفلسفة الإصلاحية التي لا ترتكز على الديانات وتؤمن بما تحس وتشاهد فقط، مكتوب عليها الفشل.

وهنا ينبغي؟ أن نعرف حقيقة لابد منها، وواجب على كل مسلم أن يفقهها، وهي أن هناك فرقًا بين أمرين: أحدهما: ما يكون ضد العقل، والآخر: ما يكون فوق العقل، فالذي هو فوق العقل هو ما وراء هذا الكون المادي: الصراط والميزان والحساب والعقاب في لمحة الطرف، والجنة والنار، وأهوال القيامة، وغيرها من الأمور الغيبية؛ فكلها أمور فوق العقل، لكنها مع ذلك ليست أمورًا ضد العقل، وعلينا أن نؤمن بها وإن كانت فوق عقولنا؛ لذلك كان أسلافنا يقولون دائمًا: " آمنا بكتاب الله على ما أراد مثلاً قول الله تعالى: ﴿ ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ﴾(طه:٥)... العرش هو الكرسي، فكيف نؤمن بأن الله تعالى استوى - يعني جلس - على الكرسي؟ نعم، إن الإسلام يأمرنا بأن نؤمن بهذا؛ لأن الاستواء ليس ضد العقل، ولكنه فوق العقل؛ ولذلك حينما سئل الإمام مالك ﷺ عن معنى الاستواء قال: " الاستواء معلوم، والكيف مجهول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة "... يعني أن الله تعالى قال: ﴿ ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ﴾ هذا الاستواء معلوم؛ لأن الله أمر به، أما كيفية الاستواء، هل جلس؟ وهل له يدين وقدمين؟ وهل بعد أن جلس اتكأ؟ هذه أمور غيبية، فنحن يجب أن نقول فيها كما قال الإمام مالك

ﷺ: "الاستواء معلوم، والكيف مجهول، والإيمان به واجب" مع كونه فوق العقل، "والسؤال عنه بدعة" فهذا ـ مثلاً ـ أمر من الغيب أمرنا الله تعالى أن نؤمن به وهو فوق العقل، ولكنه ليس ضد العقل؛ لأن كل أمر من الأمور التي لا قياس لها نقيسها عليه هي من الأمور الغيبية وإن كانت فوق العقل... وعلينا أن نؤمن بها.

أما الأمور التي هي ضد العقل، والمسلمون المتدينون لا يؤمنون بها، وأهل الفلسفة والمنطق يؤمنون بها، فمنها ـ مثلاً ـ أن هذا العالم أوجد نفسه بنفسه، أو أنه وجد مصادفة، يعني هذا النظام البديع في تكوينه على هذا الترتيب العجيب الكريم الدقيق.. كل هذا العالم بصورته وجد مصادفة، أو وجد بغير موجد، هذا شيء لا يمكن أن يكون مسايرًا للعقل، ولا هو فوق العقل، ولكنه ضد العقل... وهذا الذي هو ضد العقل يرفضه المتدينون ويقبله أهل الفلسفة، والذي هو فوق العقل يقبله المتدينون ويرفضه أهل الفلسفة، وهذا منطق في حقيقة الأمر عجيب.

تلك هي المقدمة التي أريد أن أخلص منها إلى الحديث عن الإسراء، فإن الإسراء ذكره الله تبارك وتعالى في سورة تسمى سورة الإسراء في القرآن، والمصاحف تكتبها أحيانًا سورة بني إسرائيل.. وعلى ذكر بني إسرائيل واليهود ينبغي أن نقدم دائمًا أننا لسنا أعداء لليهودية كدين، ولا نحن أعداء للمسيحية كدين، إنما نحن نعادي من يعادينا ومن يعتدي على أرضنا وعلى حقوقنا، أما اليهودية كدين، فإننا مأمورون أن نحترمها، ومأمورون أن نعتبر موسى عليه السلام كمحمد ﷺ، فنحن لا نعادي اليهودية من حيث هي دين، ولا نعادي المسيحية من

حيث هي دين، ولكننا نعادي من يعادينا....

قال الله تعالى: ﴿ سُبْحَـٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَـٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَـٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ۝١ ﴾ (الإسراء).

المسجد الحرام: إما هو المسجد، وإما هو مكة بكل ما فيها من الحرم، أو مكة وما جاورها من الحرم كله. أو المسجد الحرام يعني المسجد الجامع...فاله تعالى أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى.

وهناك ثلاثة مذاهب في كيفية إسراء الله تعالى بنبيه ﷺ من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى.

فالمذهب الأول يقول فيه بعض أهل العلم: إن إسراء الله بنبيه ﷺ كان بجسده وروحه، وهذا هو ظاهر القرآن، وهذا هو الصحيح، وهذا ما نؤمن به وندين الله عليه، ولا نرى فيه معجبًا؛ لأنه وإن كان فوق العقل فنحن مأمورون بأن نؤمن به، وهو ـ على كل حال ـ ليس ضد العقل.

والمذهب الثاني يقول: إن إسراء الله بنبيه ﷺ لم يكن بجسمه وروحه، ولكنه كان بروحه فقط، وليس معنى ذلك أنها رؤية رآها في المنام.. لا، لم يقل من المسلمين: إن الإسراء كان منامًا؛ ولذلك فالناس يخطئون حين يقولون: إنها رؤية رآها رسول الله ﷺ في المنام، فإن هناك فرقًا بين الرؤية المنامية والإسراء بالروح، فالإسراء بالروح معناه أن تنفصل الروح عن الجسد، وأن تذهب مذاهب المكوث الأعلى؛ حيث لا يستطيع عقلنا أن يتصور، وحيث لا يستطيع عقلنا أن

يجمد أيضًا، ولكن في الرؤية المنامية... الروح لم تفارق الجسد، فهي بداخله، فهو حي وبروحه حي، فالذين قالوا: إن رسول الله ﷺ أسرى بروحه لم يقصدوا ـ كما يقول ابن القيم ـ أنه أسرى به بمعنى أنه رأى منامًا... لا إنما يقصدون أنه أسري بروح رسول الله ﷺ، وطاف الملكوت والملك ﴿ لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ ﴿١٨﴾ ﴾ (النجم).

وهناك **المذهب الثالث يقول**: إنه لم يسر به لا بروحه ولا بجسده، وإنما هي حالة كشف... كشف الله عنه الحجب، فرأى بعد أن دمرت الحواجز المادية التي تحجب عنه الرؤيا: بيت المقدس، ورأى الطريق ذهابًا وعودة.

وقالوا أن الدليل على ذلك أنه ﷺ حين عاد إلى مكة سألته قريش إذا كان الله قد أسرى بك كما تقول فهلا وصفت لنا بيت المقدس؟ قال رسول الله ﷺ ـ بأبي أنت وأمي يا رسول الله ـ: " حين سألتني قريش هذا السؤال كربت كربًا شديدًا... ضاقت به نفسي وأتعبت، قال: فرفع الله لي بيت المقدس وصوره لي حتى كأنني أنظر إليه، والطريق إليه كذلك، فرحت أصف لهم بيت المقدس مكانًا مكانًا ".

وسئل عن إبل كانت لهم في الطريق فقال لهم: " إن الإبل في مكان كذا، وستحضر يوم كذا "... وكان صادقًا في كل كلمة قالها رسول الله ﷺ.

فالذين قالوا: بجسمه وروحه لهم دليل، وهو قول الله تعالى: ﴿ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ ﴾.

والذين قالوا: بروحه فقط، دليلهم أن العبد يمكن أن يقصد به

الروح. أما الذين قالوا: إنه كشف له الحجب، فدليلهم هو وصف رسول الله ﷺ لبيت المقدس والطريق إليه حين سألته قريش عن ذلك.

فإذا كان لكل مذهب من المذاهب الثلاثة دليل على ما ذهب إليه، والكل مؤمن، والكل حريص على شرف رسول الله ﷺ، والكل صادق الإيمان، والكل مرضي عليه عند الله؛ لأن الله تعالى أمر المسلمين أن يتآخوا، وأن يتعارفوا، وأن يتحابوا، وألا يفسد اختلاف الرأي بينهم قضية الود ما دام الاختلاف قائمًا على حجة وبرهان، وليس قائمًا على هوى وشهوة.

سؤال :معنى المسجد؟

بقي أن الله سمي المسجد الحرام مسجدًا؛ والسجود هو وضع الجبهة على الأرض، وفي الحرم صلى وسجد رسول الله ﷺ كما سجد غيره، فتسمية المسجد الحرام بالمسجد أمر واضح الدلالة، لكن المسجد الأقصى في بيت المقدس كيف سمي مسجدًا؟ هل كان فيه سجود؟

هنا يقول أهل اللغة: إن السجود له إطلاقان: إطلاق بالمعنى اللغوي، وهو يعني الخضوع والتذلل، وما عبد الله تعالى بشيء أحب إليه الخضوع والخشوع والتذلل والانحناء، والانقياد لأمره، والقرآن فيه: ﴿ **وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلَٰلُهُم** ﴾ (الرعد:١٥)... فالشجر يسجد، والنجوم تسجد، والنبات يسجد، والحيوان يسجد، الكون كله يسجد.. ليس بمعنى أن يضع جبهته على الأرض.

والإطلاق الثاني بمعنى أن يضع جبهته على الأرض... فمن أي

الإطلاقين سمي المسجد الأقصى بالمسجد؟

المسجد الأقصى في قوله: ﴿ مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ﴾.. جاء بالمعنى اللغوي، وقد ورد هذا في الشعر العربي... فذكر الشاعر في هذا المعنى أن الإنسان حينما يمسك خطام الجمل ويشده إليه، فإنه يعطيه جرانه أي رقبته... أي يمد رقبته، وكل إنسان منا رأى الجمل في الريف وهو يمد رقبته حتى يركبه الراكب، هذا يسميه العرب سجودًا:

وقلنا له اسجد لليلي فسجد ....

أي جذبنا خطام البعير إلينا، وقلنا له: اسجد، فانحنى برقبته، وركبت ليلى على رقبته، ومن رقبته قذفت إلى ظهره.

وفي هذا الموضوع أظن أن الراعي -أو غيره- من شعراء الجاهلية قال شعرًا طيبًا لا بأس به، فهو يصور نسوة أردن ركوب الجمال، فقال:

فلما لوين على معصم وكف خضيب وأسوارها

أي جذب النسوة خطام الجمل فانحنى، ولووه على معاصمهن، ووضعن عليه الخضاب... أي الحنة والأسورة.

فلما لوين على معصم وكف خضيب وأسوارها

فضول أذمتها أسجدت سجود النصارى لأحبارها

فإن النصارى في الزمن الماضي كانوا إذا لقوا قساوستهم، ورهابينهم وشمامیسهم، وكبارهم يتخاضعون لهم وينحنون كما تنحني الناقة حين يأخذ الإنسان بخطامها ويجذبها إليه، والشاعر هنا

يقصد هذا المعنى، إن هؤلاء النسوة حين أردن ركوب الإبل، أخذن بأذمة الجمال وجذبنها إليهن، فأمالت الإبل أعناقها، وركبن الإبل عن هذا الطريق، والشعر مرة أخرى:

فلما لوين على معصم   وكف خضيب وأسوارها
فضول أذمتها أسجدت   سجود النصارى لأحبارها

والنصارى كانوا كذلك... كل يخضع لله ويعبده، والله تبارك وتعالى قد ذكر لهم مواطن عبادتهم في آية أخرى في كتابه العزيز في سورة الحج فقال: ﴿ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَٰجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًا ﴾ (الحج: ٤٠).

وعلى ذلك فإن المسجد الأقصى الذي ذكره الله تعالى مسرًّى لمحمد ﷺ في المدينة المقدسة هو بمعنى مكان العبادة، ومكان الخضوع.

سؤال:

إذا رجوت فضيلة الأستاذ الباقوري أن يتحدث عن المعراج فإنما أرجوه أن يكون الحديث متجهًا قدر الإمكان إلى مواطن العبرة فيما رأى رسول الله ﷺ من مشاهد في تلك الليلة... ليلة الإسراء والمعراج؟

الحديث عن المعراج

يجيب فضيلة الأستاذ الباقوري قائلاً: تلك هي كانت خلاصة الإسراء... والإسراء معناه: انتقال رسول الله ﷺ من مكة إلى بيت المقدس عن طريق ما يسمى (البراق) فقدرة الله على ما يقول شوقي:

.... فوق الشك والتهم.......

أما المعراج فهو: صعود رسول الله ﷺ بروحه إلى السماوات ورؤيته من عجائب خلق الله، وتصوير الله تبارك وتعالى له الأمور على صورة تدعوه إلى الجد في العمل لتخليص البشرية من أوشاب الشرك وشوائبه، بعد ذلك السمو والترقي في عالم الملكوت.

فالمعراج هو العروج بروح رسول الله عليه الصلاة والسلام... وأكثر الناس على هذا، وبعض الناس يرى أنه بالجسد والروح، ولكن الحقيقة أن الإنسان يؤثر في هذا المقام أن يختار ما اختاره علماء المسلمين مع أن المعراج كان بالروح، وأن الإسراء كان بالروح والجسد جميعًا.

وبعض الناس يطيب له أن يحتج للمعراج من سورة النجم، حيث يقول الله تعالى: ﴿ وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ۝١ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ۝٢ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ۝٤ عَلَّمَهُۥ.....﴾ ومعنى: ﴿ عَلَّمَهُۥ ﴾ أي هو ﴿ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ ﴾ علم صاحبكم ﴿ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ ﴾ الذي هو جبريل ﴿ ذُو مِرَّةٍ فَٱسْتَوَىٰ ﴾ الذي هو جبريل، والذي هو ذو المرة... وذو المرة هو القوي الشديد، فاستوى ﴿ وَهُوَ بِٱلْأُفُقِ ٱلْأَعْلَىٰ ﴾ أي جبريل بالأفق الأعلى على صورته التي خلقه الله تعالى عليها، ﴿ ثُمَّ دَنَا ﴾ أي جبريل ﴿ فَتَدَلَّىٰ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ﴾.. اقترب جدًا من محمد ﴿ فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ ﴾ والضمير ـ هنا ـ في كلمة (عبده) يتعين فيه أنه عبد الله.. فأوحى إلى عبد الله ما أوحى.. يرفعه إلى منزلة الكرامة التي كرمه بها رب العالمين... وهذا كله ينطوي تحت قول الله تعالى: ﴿ فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ ﴾ أي أوحى إلى عبده أشياء كثيرة وخطيرة لا يمكن أن يحيطها الحصر،

ولا أن يعرفها أحد... صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم.. والذي أوحى هنا هو جبريل عليه السلام.. فقد أوحى إلى رسول الله ما أوحى، وليس المراد أن الله سبحانه وتعالى دنا فتدلى بهذه الصورة، وهذا هو رأي إمام من أئمة المسلمين، وهو ابن تيمية، وتابعه ابن القيم، وهذان الإمامان لا يمكن أن تحوم حولهما شبهة، بالعكس بل إن كثيرًا من الناس يأخذ عليهما الغلو والتزمت في الدين، ونحن من الذين يقتدون بالإمام ابن تيمية والإمام ابن القيم في هذا المعنى على أن الذي دنا وتدلى، وأوحى إلى رسول الله ما أوحى هو جبريل، ثم في الآية بعد ذلك ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ﴾.. يعني ولقد رأى محمد ﷺ سيدنا جبريل عليه السلام نازلاً نزلة أخرى على صورته الحقيقية أيضًا ﴿عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴿١٤﴾ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ ﴿١٥﴾ إِذْ يَغْشَى ٱلسِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ﴾..

وقد شاهد رسول الله ﷺ في رحلته: السماوية هذه رسل الله وأنبيائه: رأى سيدنا آدم أبا البشر وأباه، ورأى موسى، ورأى عيسى، ورأى هارون، ورأى أبا الأنبياء إبراهيم، عليهم جميعًا أفضل الصلاة والسلام؛ حتى إذا بلغ سدرة المنتهى سئل ﷺ بعد ذلك: هل رأيت ربك؟ فقال ﷺ - وهذا حديث صحيح -: " أَنَّى أراه هو نور " يعني كيف أراه، فقد حال بيني وبين أن أراه نور لا يمكن للإنسان مهما أوتي من قوته البشرية والملكية أن ينفذ إلى أن يرى الله تبارك وتعالى، هنا أراه الله تعالى - أرى نبيه - الآيات الكبرى، كما يقول الله: ﴿أَفَتُمَٰرُونَهُۥ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ ﴿١٢﴾ وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾ عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴿١٤﴾ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ ﴿١٥﴾ إِذْ يَغْشَى ٱلسِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ ﴿١٦﴾ مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ﴿١٧﴾ لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ ﴿١٨﴾﴾ الآيات التي رآها شيء لا يحيط به حصر، ولا يمكن أن يصل إليه بيان.

من مرائي رسول الله في الإسراء والمعراج

من هذه الصور: انتقاله فعلاً من مكة إلى بيت المقدس.. ومنها ـ أيضًا ـ عروج روحه ﷺ إلى السماء.

ومن هذه الآيات الكبرى: رؤية أنبياء الله ورسله: إبراهيم وموسى وعيسى ويحي عليهم جميعًا أفضل الصلاة والسلام.

ومن هذه الصور ـ أيضًا ـ أن الله تعالى صور له المجاهدين لإعلاء كلمة الحق ورفع خسيسة الإنسانية.. الجهاد الذي يراد به أن تكون كلمة الله هي العليا، وأن تكون كلمة الباطل هي السفلى.

هؤلاء المجاهدون رآهم ﷺ، فقد رأى جماعة من الناس يزرعون ويحصدون وكلما حصدوا الزرع عاد كما كان، فيعودون للحصاد مرة أخرى، فسأل جبريل عليه السلام: " من هؤلاء يا أخي جبريل؟ قال: أولئك هم المجاهدون " دائمًا أعمالهم في نمو، ودائمًا ثوابهم في تقدم، هذه صورة من الصور وآية من آيات الله التي أراها الله تعالى لنبيه الكريم.

الصورة الثانية: رأى فيها جماعة من الناس تضرب رءوسهم بالحجارة حتى تشدخ ثم تعود، ثم تضرب مرة أخرى وتعود... وهكذا، فسأل عن هؤلاء وقال: " من هؤلاء يا جبريل؟ " فقال: " أولئك الذين يتثاقلون عما فرضه الله تعالى عليهم من أداء الصلاة ".

ثم رأى صورة أخرى.. جماعة من الناس مشافرهم أي شفاههم غليظة جدًا مثل شفاه الإبل، يلقمون الحجر من النار في أفواههم، ثم يخرج هذا الحجر من النار ملتهبًا من أسافلهم، فسأل عن هؤلاء فقال له: " يا محمد هؤلاء هم الذين يأكلون أموال اليتامى ".. وذلك مصداقًا لقول الله تعالى:

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأۡكُلُونَ أَمۡوَٰلَ ٱلۡيَتَٰمَىٰ ظُلۡمًا إِنَّمَا يَأۡكُلُونَ فِي بُطُونِهِمۡ نَارًا وَسَيَصۡلَوۡنَ سَعِيرًا ﴾ (النساء: ١٠) وقوله تعالى: ﴿ وَلۡيَخۡشَ ٱلَّذِينَ لَوۡ تَرَكُواْ مِنۡ خَلۡفِهِمۡ ذُرِّيَّةً ضِعَٰفًا خَافُواْ عَلَيۡهِمۡ فَلۡيَتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلۡيَقُولُواْ قَوۡلًا سَدِيدًا ﴾ (النساء:٩) يعني لا تأكلوا أموال اليتامى؛ لأن الذين يأكلون أموال اليتامى هذه هي صفتهم.. يأكلون الحجر الملتهب نارًا، فإذا دخل بطونهم خرج من أسافلهم.

صورة رابعة: وهي صورة آكلي الربا.. رأى جماعة من الناس وقد انتفخت بطونهم انتفاخًا شديدًا، فسأل عن هؤلاء، فقال له جبريل: " يا محمد هؤلاء الذين يأكلون الربا كلما قام أحدهم خر على الأرض، وسقط عليها لأنه متثاقل ".

وهذه هي صورة المرابين في الواقع؛ لأن المرابي لا يعمل شيئًا.. فهو يعطي المال بالزيادة (الجنيه مثلاً بزيادة عشرة قروش)، ويستغل الناس وهو يجلس دون عمل ويربح من غير جهد.. ثم يأكل هذا المرابي ما يشاء من اللحم والطير وأطيب الطعام، ويشرب فتنفتح شهيته فيأكل ثانية، وتنتفخ بطنه، فهذه الصورة في الحقيقة صورة أقرب ما تكون إلى صورة أكلة الربا.

وبهذه المناسبة ـ فيما يتصل بالربا ـ يقول الله تبارك وتعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأۡكُلُونَ أَمۡوَٰلَ ٱلۡيَتَٰمَىٰ ظُلۡمًا إِنَّمَا يَأۡكُلُونَ فِي بُطُونِهِمۡ نَارًا وَسَيَصۡلَوۡنَ سَعِيرًا ﴾ (البقرة:٢٧٥). كلما قام سقط.. وتقول السيدة عائشة ـ رضي الله عنها ـ حين جاءت إليها جارية ذات يوم تزورها.. جارية لرجل من أصحاب رسول الله.. هذا الرجل كان يسمى زيد ابن أرقم.. فقالت لها: " يا أمة زيد بن أرقم إذا ذهبت إلى سيدك فقولي له: إنه قد أبطل جهاده مع رسول الله "، يعني جهاده كله مع رسول الله زال، لماذا؟ قال الفقهاء والعلماء هنا: "

لأن زيد بن أرقم كان يبيع الناس بيعًا هو أقرب ما يكون إلى الربا ".

ولكن كيف تبطل المعصية الجهاد؟ لم لا يكون للجهاد ثوابه وللمعصية عقابها؟ خاصة وأن الله تبارك وتعالى يقول: ﴿ إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ﴾ (هود:١١٤) ولم يقل: إن السيئات يذهبن الحسنات.. هذا هو منطق القرآن الكريم، وقد نص القرآن أن الحسنة تزيل السيئة، فمن أين لعائشة أن تقول: " لقد أبطل زيد بن أرقم جهاده مع رسول الله "؟

قال أهل العلم: ذلك أن الله تعالى قال في شأن الذي لا يرجع عن الربا: ﴿ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ فَأْذَنُواْ بِحَرْبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ﴾ (البقرة:٢٧٩) فالذي يتعاطى الربا هو يحارب الله ورسوله، والذي يحارب الله ورسوله لابد أن ينقض بذلك حربه لأعداء الله وأعداء رسول الله؛ لأن الحرب إذا اتجهت إلى الله ورسوله بالربا لا يمكن أن يستقيم معها أن يحارب أعداء الله، فلابد أن أحد الحربين تنجح، وأن الأخرى تسقط، فلما كان الربا حربًا لله ورسوله أسقط الحرب التي كانت لأعداء الله مع رسول الله، ومن هنا قالت عائشة رضي الله عنها: " قولي لسيدك زيد بن أرقم: إنه بأفعاله الربوية هذه قد أبطل جهاده مع رسول الله ﷺ "، وهو معنى دقيق وعميق، يحتاج إلى أن يديم الإنسان النظر إليه والتأمل فيه، نفعنا الله تعالى بذكرى رسول الله وبذكرى الإسراء والمعراج وبذكرى أصحابه الطيبين الطاهرين.. وأعاد هذه الذكرى الكريمة على أمتنا وهي في الحرية الكاملة والعدالة الشاملة والسلام العزيز..ز وجمع كلمة العرب على خير أمتهم وعلى خير تاريخهم.. فإن العرب قد أخرجهم خلافهم وحبهم لذواتهم وأنفسهم من كل مكان دخلوه.. أخرجهم من جنة الدنيا من الأندلس.. وأخرجهم من فلسطين، وسيخرجهم إذا ظلوا سائرين في غيهم وضلالهم من كل مكان هم فيه، فنسأل الله تعالى أن يرزقهم

الرشد وأن يرجع إليهم عقولهم، وأن يلهمهم صوابهم، وأن ينسيهم معانيهم الذاتية، وأن يفنيهم في المعاني العامة التي تتصل بأمتهم وبأمجادهم وبتاريخهم وبدينهم، وبخير الإنسانية جمعاء.. والله على كل شيء قدير، وهو بالإجابة جدير، وصلى الله على محمد وآله وعلى من اهتدى بهديه إلى يوم الدين.. أقول قولي هذا واستغفر الله لي ولكم، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

يقول السائل: أرجو أن يأذن لي فضيلة أستاذنا الجليل في حاشية ـ إذا جاز التعبير ـ أن أوضح موقف المشركين الذين سألوا الرسول عليه الصلاة والسلام أن يصف لهم البيت، وأرجو أن يصحح لي فضيلة الأستاذ الباقوري ما أذكره في هذا، فقد كان السؤال عن وصف البيت، وأما ما كان في الطريق من قوافل ومن رؤى فأظن أن الرسول عليه الصلاة والسلام هو الذي ذكرها من عنده ابتداء؛ لأنها لم تكن من ضمن الأسئلة التي تحدوه بها أو سألوه عنها.

فضيلة الأستاذ الشيخ أحمد حسن الباقوري

الواقع أن القصد كله أن أقول: إن الله تعالى كشف عنه الحجاب بقوله هو " لقد سألوني فكربت كربًا شديدًا، فرفع الله لي بيت المقدس فوصفته لهم ".. ثم هو نفسه ﷺ قال لهم: " إن لكم إبلاً في الطريق وصفها كذا وستصل يوم كذا " فالقصد هو أن الله تعالى قد كشف عن نبيه الحجاب، وشكر الله للأخ السائل أنه أذكر مني لهذه المسألة، والعلم ليس فيه كبير، وكل منا يصحح للآخر.

يقول السائل: والحقيقة أن بعض الصور التي تفضل بها الأستاذ الباقوري في مشاهد قصة الإسراء والمعراج هي على سبيل المثال، وليست على سبيل الحصر... بانتقاء هذه النماذج إنما نعطي الآثار الاجتماعية والعبر

التي يمكن أن يفيد منها المسلم في صلته بالله في صلاته وفي جهاد وفي جهاد الأمة ككل، وهو ذروة سنام الإسلام كما نعلم، وكذلك قضية الاستغلال في المجتمع في المثال الذي ذكرناه عن الربا، وقضية التكافل الاجتماعي ورعاية الضعيف بصفة عامة في مثال اليتامى.

******

أحداث في تاريخ الإسلام

السؤال:

نرجوا من فضيلة الشيخ محمد متولي الشعراوي أن يطوف بنا حول الفترة التي سبقت حدث الإسراء والمعراج في مكة المكرمة، ثم ننتقل إلى الإسراء والمعراج؟.

فضيلة الشيخ محمد متولي الشعراوي

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله كما علمنا أن نحمده، وأصلي وأسلم على خاتم الأنبياء سيدنا محمد.. وبعد:

فإن حدث الإسراء والمعراج يعتبر حدثًا ضخمًا من أحداث الدعوة الإسلامية، سبقته البعثة وجاءت بعده الهجرة.

الأحداث الثلاثة التي تعرضت لها الدعوة الإسلامية، حدث بعثة النبي ﷺ، ثم حادث الإسراء، ثم حادث الهجرة، ونحن نعرف أن الرسول ﷺ بعث على فترة من الرسل، وبعث بدين خاتم وبدين جامع يشمل الزمان كله والمكان كله؛ لأن الرسالات التي سبقته كانت محدودة الزمان ومحدودة المكان، ولكن الرسالة الإسلامية جاءت عالمية للناس كافة في كل زمان وفي كل مكان واختار الله سبحانه وتعالى لانطلاق هذا الدين أول بيت وضع للناس ليكون هو المكان الذي تنبعث منه الدعوة الجديدة.

وكما نعرف أن مكة قد أخذت على كل القرى في الجزيرة العربية مكان الصدارة ومكان السيادة، وبالتالي أخذ سكانها من قريش مكان السيادة والعزة والجاه، كانت هذه السيادة والعزة والجاه هي التي تجعل لقريش المهابة في الجزيرة كلها؛ لذلك أمنت رحلاتهم في الشتاء وفي الصيف أن تتعرض لأي

غارة من أي قبيلة من القبائل؛ لأن أي قبيلة من القبائل كانت عرضة أن تفد على مكة المكرمة في موسم الحج، فهي إذًا لابد أن تسالم القبيلة التي تسكن هذا البلد، وأن ترعى تجارتها، وألا تتعرض لها بسوء.

السيادة التي أخذتها قريش جعلت كلمتها نافذة، وسلطانها قاهرًا على الجزيرة كلها، وشاء الله أن تكون بداية الدعوة الإسلامية في مكة المكرمة، حتى تكون الدعوة في أذن هؤلاء السادة الذين لهم الجاه ولهم العظمة ولهم السيطرة، ولا يستطيع أحد أن يقف أمام جاههم ونفوذهم وسيطرتهم، فحين تجيء الدعوة في هذه الآذان، وحين تواجه الدعوة بهؤلاء القوم الذين لهم هذه المهابة المطلقة، يكون الإسلام قد اختار قمة الميادين لهذه الدعوة.

والرسول ﷺ حينما بعث مر بمراحل:

المرحلة الأولى: أن يقتنع هو بأنه رسول.

المرحلة الثانية: أن يقنع من حوله من عشيرته الأقربين.

والمرحلة الثالثة: أن ينذر المحيط كله.

وقد هيأ الله له النجاح في هذه المراحل، إلا أن الله سبحانه وتعالى هو خالق الأسباب وخالق المسببات، فهو يجعل للأشياء أسبابًا في عرف البشر تكون مقدمات لما يريدون من النتائج، وهذه الأسباب كان الله في غنى عنها، وكان من الممكن أن ينصر الله دينه بدون أن يجعل من أسباب البشر ولا من ماديات الحياة مقدمات، ولكن الرسول ﷺ جاء أسوة لأمة مؤمنة، والأمة المؤمنة كلها مطالبة بامتداد رسالته ﷺ، فحتى يكون لكل مؤمن انقطع عنه وحي السماء - بصر واجتهاد في أن يعد أسباب الأرض وأسباب المادة ليصل إلى منطلقه فيما يريده الله من تبليغ الدعوة والثبات عليها، فالحق سبحانه

وتعالى حينما أمر محمدًا أن يجهر بدعوته، عاداه القوم عداء بلا هوادة، ولكن هذا العداء لم يمنع أن يتسرب هدي الإيمان إلى نفوس كثير من الناس من عشيرته ﷺ الأقربين ومن قومه الذين يعلمون صدقه فيما سبق، فأخذوا صدقه فيما سبق، دليلاً على صدقه فيما جاء به، وأنه لم يكذب عليهم حتى في أمور بينهم، فكيف يكذب على الله.

وكان ﷺ في حاجة مادية إلى أن يحمي حمايتين؛ حماية من الكفار في الخارج، وحماية له في ساعة راحته وسكونه وهدوئه في البيت، فكانت السيدة خديجة رضوان الله عليها هي السكن الذي يلجأ إليه رسول الله ﷺ في البيت فتمسح بيدي الحنان، وبيدي العطف وبيدي الرعاية، وبيدي العناية على متاعبه من حركة الحياة التي يحياها.

وكان أبو طالب عمه يحميه في الخارج من أذى الكفار، وأذى المشركين، وكان كفر أبي طالب سبب من الأسباب التي جعلت الكفار يجاملونه بعض المجاملة، وقرابته من رسول الله ﷺ جعلته يحميه.

فكأن الحق سبحانه وتعالى هيأ لحمايته ﷺ ولنصرته ولمؤازرته مصدرًا إيمانيًا في البيت كان من خديجة، ومصدرًا كفريًا في الخارج كان من أبي طالب، فحين يكون هذان المصدران بجوار رسول الله ﷺ تكون حياته في الخارج مكفولة الحماية بسبب عمه، وفي الداخل مكفولة الأمن والاطمئنان والاستقرار والهدوء بواسطة زوجته.

ولكن قدر الله شاء أن تموت زوجه خديجة في العام الذي يموت فيه عمه أبو طالب، وهنا يفقد رسول الله ﷺ السكن الذي كان يأوي إلى حنانه وعطفه كما فقد الحماية الخارجية، ومع أن رسول الله ﷺ كان يعلم تمامًا أن الله لا يسلمه، إلا أنه مع ذلك أخذ يعمل فكره، ويعمل بصيرته، ويخطط لينطلق

بالدعوة بالسباب البشرية التي يقدر عليها، فما كان منه في هـذا الجـو الخـانق في مكة إلا أن يلتمس منطلقًا للدعوة لعله يجـد نـصيرًا خارجيًّـا، فقـام برحلتـه إلى الطائف؛ معتقدًا أنه سيجد النصير، لكنه وجد خلاف مـا اعتقـد، وحـدث أنهـم آذوه بالقول، وآذوه بالفعل واضطهدوه، وسلطوا عليـه سـفهاءهم حتـى أدمـوا عقبيه، فوقف موقفه الضارع إلى الله سبحانه وتعالى بعد أن فقد أسباب البشر.

******

الأسباب والتوكل

هنا نقف وقفة فإن الإنسان الذي يمده الله بالأسباب عليه أن يستعمل هذه الأسباب، وأن يجتهد وسعه في أن يستخدمها في الوصول إلى أغراضه، وحين يلجأ إلى الله ومعه الأسباب، يرد الله رجاءه؛ لأنه لا تزال معه الأسباب، ولكن إذا ما أصبح مضطرًّا، ولقد أعيته الأسباب، فله أن يلجأ إلى الله لينصره؛ لأن السبب قد امتنع، والمقدمات لم تعد في استطاعته، وهكذا فعل رسول الله ﷺ، فبعد أن لم يجد سببًا من الأسباب المادية يستمسك به وقف موقفه الضارع من الله، وقال دعاءه الذي قال فيه: " اللهم إليك أشكو ضعف قوتي، وقلة حيلتي، وهواني على الناس، يا أرحم الراحمين، أنت رب المستضعفين، وأنت ربي، إلى من تكلني إلى بعيد يتجهمني أم إلى عدو ملكته أمري، إن لم يكن بك علي غضب فلا أبالي، ولكن عافيتك أوسع لي، أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات، وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة، من أن تنزل بي غضبك، أو تحل عليَّ سخطك، لك العتبى حتى ترضى، ولا حول ولا قوة إلا بالله ".

دعاء فيه كل مقومات الإيمان واليقين؛ لأن الله الذي أرسله لن يخذله، ودعاء أيضًا يشمل أن رسول الله ﷺ قد استنفذ الأسباب، وأنه لم يجد إلا عدوًّا، وإلا بعيدًا، فلابد إذًا أن تتدخل السماء.

سمع الله ضراعة رسوله ﷺ، وأراد أن يبين له أن جفاء الأرض لا يعني أن السماء تخلت عنه، وكأن الحق يقول له بلسان الحال: سأعوضك عن جفاء الأرض بحفاوة السماء، وعن جفاء عالم الناس بعالم الملأ الأعلى، وأريك من آياتي ومن قدرتي ومن أسراري في كوني ما يعطيك طاقة وشحنة، ولتعلم أن الله الذي أراك هذه الآيات قادر على أن ينصرك، ولن يتخلى عنك،

ولكن الله تركك للأسباب أولاً لتجتهد فيها حتى تكون أسوة لأمتك في ألا تدع الأسباب وترفع أيديها إلى السماء.

إذًا فقد كان حدث الإسراء وحدث المعراج نتيجة لجفوة الأرض لرسول الله ونتيجة لفقد النصير، ونتيجة لفقد الحامي، ونتيجة لانقطاع الأسباب، فالله سبحانه وتعالى شاء أن يجعل لرسول الله ﷺ هذه الرحلة العلوية حتى يثبت له تكريمه، وحتى يثبت له أن في الله عوضًا عن كل فاقد، وأن الملكوت سيحتفي به حفاوة تمسح عنه كل عناء هذه المتاعب، وسيعطيه شحنة قوية لتكون أداته في منطلقه الجديد بإذن الله.

حديث القرآن عن الإسراء

حدث الإسراء يتكلم عنه القرآن في استهلال سورة الإسراء، فيقول: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، بسم الله الرحمن الرحيم: ﴿ سُبْحَـٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَـٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَـٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ۝١ ﴾ (الإسراء)

هذا النص القرآني هو عمدتنا في توثيق هذا الحدث، وحين يجيء النص القرآني بحدث، فليس لنا إلا أن نؤمن به؛ لأنه ورد من الله، وليس لعقولنا أن تبحث البحث الجاري في قوانين الأرض، وقوانين البشر لنحاول أن نفهم قوانين الله، ولكن ما دام الله هو الذي قال، فالأمر الذي يجب على المؤمن هو أن يسلم به، وبعد ذلك على عقله أن يبحث في قياسات هذا التسليم أو في مبررات هذا التسليم، فيجد المبرر الأول للتسليم، أنه آمن أولاً بالله، فالإنسان أول ما يدخل على الدين يؤمن إيمان القمة بربه.. بالله، وبعد ذلك يتلقى عن الله، إذن فتلقيه عن الله مشروط بأنه آمن بالله الذي يتلقى عنه، فما عليه بعد ذلك إلا أن يوثق الكلام: أصدر من الله أم لم يصدر، وإذن فَعِلَّة إيمان المؤمن بأي حكم أو بأي حدث صادر من الله هو توثيق صدوره من الله، بعد أن يوثق صدوره من الله ما عليه إلا أن يؤمن به وبأنه حدث، وبعد ذلك لعقله أن يجول بطاقاته حتى يمكن أن يؤنس عقله بأن الحدث يكون.

الحدث استهله الله سبحانه وتعالى بكلمة: ﴿ سُبْحَـٰنَ ﴾، و ﴿ سُبْحَـٰنَ ﴾ أول ما تقع على الذهن تعطي الإنسان طاقة قوية تبعد عنه كل شبه المقارنة التي تأتي بين قانون المادة الأرضي الإنساني البشري، وبين قانون الله، فمعنى ﴿ سُبْحَـٰنَ ﴾ الله: أن الله منزه في ذاته وفي صفاته وفي أفعاله، فإذا صدر فعل قال

الله: إنه صدر مني، فيجب أن أنزهه أنا عن قوانين البشرية، وإلا أخضع فعل الله إلى قانون فعلي؛ ولذلك استهل السورة بقوله: ﴿ سُبۡحَٰنَ ﴾ حتى يكون أول ما يقرع سمع الإنسان لذلك الحدث العجيب الغريب الذي قد تقف فيه العقول.

﴿ سُبۡحَٰنَ ﴾ أي تنزيه لفعلي عن أفعالكم، معنى ذلك أن قانون الله في الفعل ليس كقانوننا في الفعل، ثم بعد ذلك: ﴿ ٱلَّذِيٓ أَسۡرَىٰ ﴾ فالله هو الذي أسرى، محمد ﷺ هو الذي أسرى به، واختار الله لفظًا يعطي حيثية تلك التجربة، وهو ﴿ بِعَبۡدِهِۦ ﴾، وبعد ذلك بداية الإسراء: ﴿ مِّنَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ ﴾ ونهايته ﴿ إِلَى ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡأَقۡصَا ﴾. ثم قال العلة: ﴿ لِنُرِيَهُۥ مِنۡ ءَايَٰتِنَآ ﴾، ثم بعد ذلك قال العلة الدافعة لكل هذا، لماذا نريه من آياتنا؟ ﴿ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ﴾.. سميع لماذا؟ وبصير لماذا؟ كان من الممكن أن يقول ـ على نسق أساليب البشر ـ بعد أن يريه الآيات، و.. و.... إن الله على كل شيء قدير، إن الله وهاب، إن الله كذا، أما أن يأتي بأنه: ﴿ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ﴾ فهذا ليدلك على العلة الحقيقية التي استوجبت أن يسري الله سبحانه وتعالى برسوله ﷺ، فقد سمع الله الإيذاء الذي أوذي به رسوله ﷺ، وقد رأى الله ما تعرض له من الجفاء ومن الاستهزاء ومن السخرية ومن الإهانة، كل ذلك بمرأى ومسمع من الله، فحين رأى الله ذلك وسمع، أراد أن يريه الآيات، فأسرى به.

******

قانون الفاعل

فإذا جئنا لنأخذ عنصر الفعل في أي فاعل.. عن عنصر الفعل في أي فاعل ملحوظ في ذات الفعل، فإذا قيل مثلاً: خطب فلان، فسنأخذ الخطبة بمعيار فاعلية الخطيب الذي نعرفه، وإذا قيل: حمل فلان أثقالاً، نأخذ العملية الفعلية من حمل أثقال بقوة الذي حمل، فإذا حمل إنسان عادي فيكون له قوة معينة، وإذا حمل إنسان بطل وله رقم قياسي فيكون له قوة اكبر. وإذن فكل فعل من الأفعال يجب أن يقاس بفاعله هو، فلا تأخذ الفعل من فاعل، وتعطي قانون غير الفاعل، كيف؟ الله يقول: ﴿ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ ﴾ أي الذي أسرى هو الله، إذًا فالفعل واقع من الله، فلا يصح أن نؤاخذ محمدًا بفعل فعله الله به، ما دام الله قد فعل، فلماذا نستعجب على محمد أن يقول؟ محمد لم يقل: "أنا سريت".. حتى ترد محمدًا إلى قانون الفاعل الذي هو الله وتقول له كما قال الكفار: "أنضرب إليها أكباد الإبل شهرًا، وتدعى أنك أتيتها في ليلة؟" من الذي قال: إنه أتاها في ليلة؟ إنه لم يأتها، وإنما أتى به، وأنتم تقولون: "نضرب إليها أكباد الإبل".. أنتم تضربون أكباد الإبل، فإذا كنتم صادقين في القياس والمقارنة والمفاضلة العقلية، وتريدون أن تستشكلوا عليه، كان يجب أن تقارنوا فعلا منكم بفعل منه، أما أن تقارنوا فعلا منكم بشيء لم يفعله وهو لم يدعه، فهذه استحالة في المناقشة؛ لأنه إذا كان من الممكن أن يصعدوا المسألة في القياس فلابد أن يصعدوها إلى الله، ولا يقولوا له: " كيف تدعي أنك أتيتها في ليلة، ونحن نضرب إليها أكباد الإبل في خلال شهر " هذه لا تصح في القياس والمقارنة؛ لأن محمدًا قال: " أنا لم أسر، وإنما أسري بي ".

إذن محمد محمول على نطاق قوة أخرى، محمول على قوة الله الذي قوته لا حساب لها، مثلاً أنا سأقول: " لقد صعدت بابني الرضيع قمة جبل

هيمالايا ".. أيقول مجنون لي: كيف يصعد ابنك الرضيع قمة جبل هيمالايا؟ لا يعقل أن يقول لي أحد هذا، والذي يقول هذا يكون عقله مختلاً، إنما يقول لي: " كيف صعدت أنت " ومسألة الإسراء لم يردها المشركون حين ناقشوا فيها إلى الله، وإنما ردوها إلى محمد عليه الصلاة والسلام.

إذًا فالفعل من الله، وحين يوجد الفعل من الله يجب أن يلغي قانون البشر، فإنه غير موجود في هذه الحالة، لماذا؟ لأن كل فعل أيضًا كما يختلف باختلاف فاعله، يختلف بقوة ذلك الفاعل، فمثلاً الذي يسري من مكان إلى مكان في سيارة عادية غير الذي يسري في طائرة أو صاروخ ـ ومن يدري قد يكون هناك آلة أسرع من الصاروخ ـ إذًا فلابد أن تنسب الزمن إلى قوة الفاعل، فما دامت المسألة من الله، وهو الذي أسرى ومحمد مصاحب، ومحمول قانون ضعفه البشري على قانون قوة ربه القائد، وإذا قيست المسافة وزمنها بنسبة القوة التي فعلت نجد النتيجة لا زمن، وكما يقولون: " المسافة تتناسب مع القوة تناسبًا عكسيًّا، فكلما زادت القوة قلت المسافة " والقوة التي فعلت هنا هي قوة الله سبحانه وتعالى.

يأتي شخص ويقول لك: ما دام ليس هناك زمن، فلماذا أخذ ليلة؟ نقول له: لأن هناك فرقًا بين حدث الإسراء في ذاته كنقلة، وبين مرائي تعرض لها الرسول ﷺ... فالرسول عليه الصلاة والسلام حينما تعرض لمراءٍ، رآها هو ببشريته وبقانونه، فالمرائي التي تعرض لها هي التي احتاجت للزمن، أما النقلة في ذاتها فلم تحتج إلى زمن؛ لأنها محمولة على قانون من لا يتحكم فيه الزمن، إذًا فالجماعة الذين ناقشوا رسول الله ﷺ جماعة يعطون صورة من عقلهم في أنهم قارنوا مقارنة غير موضوعية.

سؤال

لا زالت تطرح المقارنة بعد بشكل حديث ومعاصر، وبعض الناس يقولون نفس هذا الكلام في عصرنا هذا... كيف يذهب، وكيف يرجع، وربما كان الإسراء بالروح وربما بالجسد والروح معًا؟

فضيلة الأستاذ الشيخ الشعراوي

هنا نناقشهم، نأتي فنقول: المسألة ليست حدثًا من محمد، إذا فاستبعدوا قوانين بشريتكم، بالنسبة لله، يقدر أو لا يقدر، قوته تحتاج إلى زمن أو لا تحتاج إلى زمن. هذه هي المسألة.

ولكي تعرفوا أن الحق سبحانه وتعالى هيأ لدين الإسلام جنودًا حتى من الكافرين ليعاونوه على دعوته... كيف؟ لو لم يقف كفار قريش من رسول الله ﷺ موقفهم هذا ليقولوا له: " أتدعي أنك أتيتها في ليلة، ونحن نضرب إليها أكباد الإبل شهرًا " ربما قال قائل بعد ذلك: " لقد ظنوه منامًا "، والمنام لا يمارى فيه، الحكم لا يمارى فيه، فإذا رأيت أنني قد ذهبت إلى لندن هذه الليلة، فلا يناقشني أحد لأن المسألة رؤيا، فإذًا موقفهم هذا الذي وقفوه قديمًا أمام رسول الله ليقولوا له: أتدعي أنك أتيتها في ليلة، ونحن نضرب إليها أكباد الإبل شهرًا " لَيؤكد أنهم فهموا أنها لم تكن لا منامًا ولا روحًا، وإنما كانت يقظة بروحه وبجسمه، وإلا لما صدر هذا الاعتراض، فالكافرون بتعنتهم أمام رسول الله ﷺ خدمونا خدمة كبيرة الآن؛ لأننا نقول: لو كانت رؤية منامية لما ناقش فيها أحد؛ لأن أي واحد يقص عليك رؤية، فقانون المرائي فوق قانون المادة اليقظية، فما دام قد ناقشوا فيها ووقفوا هذه الوقفة، فهم قد فهموا أنها يقظة وبالجسم وبالروح، والذي يقول هذا الكلام يحاول أن يسنده بشيء فيبحث حتى يجد نصًا قرآنيًا في قوله سبحانه وتعالى: ﴿ وَمَا

جَعَلْنَا ٱلرُّءْيَا ٱلَّتِىٓ أَرَيْنَٰكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ ﴾ (الإسراء: ٦٠) وعندهم أن كلمة الرؤيا لا تأتي مصدرًا إلا لرأى الحلمية، رأى المنام؛ لأن رأى البصرية يقولون فيها: " رأيت رؤية ".. إنما إذا رأيت منامًا تقول: " رأيت رؤيا ". فنص القرآن: ﴿ وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّءْيَا ٱلَّتِىٓ أَرَيْنَٰكَ ﴾ أنها منامية، ونحن نقول له: إذا كانت رؤيا منامية، فكيف تكون فتنة للناس؟ ومعنى ﴿ فِتْنَةً لِّلنَّاسِ ﴾ أن بعضهم يصدق، وبعضهم يكذب، ولو كانت رؤيا منامية فلا يناقشها أحد لا تصديقًا ولا تكذيبًا. ثم تعال في اللغة، قبل أن ترجع إلى الكلام، لا تأخذ بالشائع على ألسنة الناس، وإنما خذ بالتحقيق اللغوي الموجود في القوانين، ارجع إلى اللسان الجاهلي قبل أن ينزل القرآن تجد أن كلمة الرؤيا وردت أيضًا للبصرية، الراعي النميري أعرابي ساحر، قال في قصيدته:

فكبر للرؤيا، وهش فؤاده ... وبشر نفسًا كان قبل يلومها

والمتنبي نفسه وإن كان ممن لا يستشهد بشعره إلا أنه استئناس فقط، ويقول: **ورؤياك في العينين أحلى من الغمض**

إذًا، فقد استعملت الرؤيا بمعنى البصرية وبمعنى المنامية، ولكن عادة يستعملون الرؤيا في البصرية في الأشياء الغريبة العجيبة كأنها من الأشياء التي لا تحصل إلا منامًا، كما تقول أنت: أنا رأيت ذلك في الحلم.. أبدًا، رأيت رؤية، فهذه من العادات، إنما رأيت رؤيا وأنت تريدها بصرية، فمعنى ذلك أنها أمر عجيب مما لا يمكن أن يدرك إلا في الأحلام، فهي كأنها رؤية، وإلا لو كانت منامية، ما كانت فتنة للناس وما اختلف الناس فيها، وإلا فهل وجدتم قومًا اختلفوا مع واحد من الناس رأى رؤيا في أنه رأى الرؤيا وبأي شكل رآها، وبأي صورة، وبأي سرعة، وفي أي منظر؟ أبدًا، لم يوجد شخص ناقش في هذه المسألة، إذًا ما دام جعلت فتنة فهذا، دليل على أنها لم تكن رؤيا منامية.

ثم نحن نريد أن نناقش الناس الذين يقولون هذا الكلام مناقشة لغوية، كما يناقشونها لغويًّا، فنقول لهم: كيف تستعمل كلمة (جعل) في اللغة؟ أنا أرى في اللغة أن (جعل) هذه لو استعملت في شيء كان معدومًا فوجد، فتكون بمعنى خلق، قال تعالى: ﴿ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا ﴾ (الأعراف:١٨٩) أي وخلق منها زوجها، كان معدومًا فوجد.

لكن إذا استعملت ﴿ جَعَل ﴾ في شيء موجود تحول إلى شيء، فيكون عندي أمران اثنان: مجعول، ومجعول منه، جعلت الطين إبريقًا، جعلت الخشب مكتبًا، إذًا: كان هناك خشب قبل أن يكون هناك مكتب، ثم حولته وجعلته مكتبًا، إذًا: فهناك فرق بين ﴿ جَعَل ﴾ التي تتعدى إلى مفعول واحد، وهذه إيجاد من عدم، وجعل التي تتعدى إلى مفعولين، المجعول منه كان موجودًا، ثم صار إلى شيء آخر. فمثلاً ربنا يقول لإبراهيم: ﴿ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ﴾ (البقرة:١٢٤) فإبراهيم ـ هنا ـ موجود، أما الإمامية فهي شيء آخر.

﴿ وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّءْيَا ٱلَّتِىٓ أَرَيْنَٰكَ ﴾ ماذا جعلناها؟ فتنة، وكيف تصير الرؤيا فتنة؟ لابد أن تنقلب هذه الرؤيا حقيقة، إذًا لا مانع أن يكون رسول الله قد رأى الإسراء رؤيا، ثم رآه يقظة، كما حدث الله في بعض سور القرآن: ﴿ لَّقَدْ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءْيَا بِٱلْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ ﴾ (الفتح:٢٧) رآه في الرؤيا، ثم صار حقيقة وواقعًا، فما الذي يمنع أن يكون رسول الله آنس الله روحه، فرأى منامًا هذه المشاهد، وبعد ذلك رآها حقيقة، كما رأى أنه دخل المسجد الحرام رؤية وأصحابه محلقين ومقصرين، وبعد ذلك رآها حقيقة، وتكون " وما جعلنا الرؤيا التي رأيتها أنت في المنام إلا فتنة "، إي واقعًا يفتن فيه الناس، بعد أن كانت كذا، صارت كذا، إذًا فلا مانع أن

يكون الرسول تعرض لحدث الإسراء منامًا، وتعرض له روحًا، وتعرض له يقظة، والسيدة عائشة تأتينا في ذلك لتقول: " إنه ما رأى رؤية إلا جاءت كفلق الصبح "... فإذا كان قد رأى رؤيا، فهي ـ إذن ـ حقيقة.

بعد ذلك ننتقل إلى نقطة أخرى، فبعد أن تكلمنا عن أن الإمكان العقلي بإسناد الفعل إلى الحق سبحانه وتعالى، وإبعاد محمد عن مدار النقاش، فيكون محمد مصاحبًا لا علاقة له بالفعل. بعد ذلك تأتي الحيثية: ﴿ سُبْحَـٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ ﴾ (الإسراء:١). لم يقل: برسوله أو بمحمد، أتى بصفة العبودية لله التي هي باب العطاء من الله؛ لأن كل الديانات جاءت لكي تصحح عبوديتنا لله، وكل رسول من الرسل يريد أن يكون قدوة لنا، لابد أن يكون قدوة في العبودية، العبودية لمن؟ العبودية كلمة مرة.. كلمة صعبة.. كلمة يمقتها الناس حقًّا، ولكن متى تمقت العبودية؟ العبودية تمقت حينما تكون من خلق لخلق، أن يكون الخلق عبدًا لخلق، لماذا؟ لأن عبودية الخلق تعطي خير العبد لسيده، يمتص خيره، ولكن عبودية الخلق للحق، تعطي خير السيد له، إذًا فالعبودية هنا شرف، فكلما زادت العبودية، كلما ازدادت منن العطاء من الله سبحانه وتعالى، تخلص في العبودية، يفاض عليك أكثر، إذًا فالحق سبحانه حين قال: ﴿ سُبْحَـٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ ﴾ (الإسراء:١) أعطانا الحيثية، حتى يمكن الرد على الذين قالوا: إنه أسرى به بالروح؛ لأن كلمة (العبد) لا تطلق إلا على الروح والجسد، فلا يقال على الروح: عبد، ولا على الجسد وحده: عبد، وإنما تطلق على النفس حينما يوجد فيها المادة والروح.

﴿ مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ﴾ ابتدائية ـ هنا ـ في المسجد الحرام، وطبعًا المسجد الحرام هو (أول بيت وضع للناس)

ونحن نعرف قصته، وقصة سيدنا إبراهيم، وسيكون قبلتنا، وما دام هو أول بيت وضع للناس، وهو منطلق الدعوة، ومحل الإقامة لرسول الله ﷺ، فإذًا الإسراء ذو شأن، والإسراء منه إلى أين؟ إلى المسجد الأقصى، وهو مشهد مقدس من مشاهد الله في الأرض لكل الأنبياء والرسل؛ موسى وعيسى وداود وسليمان وزكريا ويحيا وغيرهم من الأنبياء والرسل، بل وغيرهم من الناس.

سؤال

المسجد الأقصى لم يكن مسجدًا بالمعنى المفهوم، أي أنه لم يكن مكانًا للصلاة كما نعرفها الآن، فلماذا سماه الله مسجدًا؟

يجيب فضيلة الشيخ الشعراوي فيقول: ما معنى كلمة (مسجد)، كلمة (مسجد) اسم مكان لمكان السجود، والسجود جاء في كل الرسالات، وهناك فرق بين الشيء حينما يستعمل وصفًا اشتقاقيًّا، وبين أن يستعمل علمًا، هي بقيت علمًا عندنا على المكان الخاص به، إنما المسجد هو كل مكان يسجد فيه لله، والسابقون من أهل اتخذوه مسجدًا لله، بدليل أن الله سبحانه قال لمريم: ﴿ يَٰمَرۡيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰكِ وَطَهَّرَكِ وَٱصۡطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٤٢﴾ يَٰمَرۡيَمُ ٱقۡنُتِي لِرَبِّكِ وَٱسۡجُدِي وَٱرۡكَعِي مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴿٤٣﴾ ﴾ (آل عمران) فكأن السجود موجود في الرسالات كلها. وأيضًا يقص سبحانه وتعالى علينا قصة أهل الكهف فيقول: ﴿ قَالَ ٱلَّذِينَ غَلَبُواْ عَلَىٰٓ أَمۡرِهِمۡ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيۡهِم مَّسۡجِدٗا ﴾ (الكهف:٢١) فكأن كلمة المسجد لم تأت مع الإسلام، وإنما شاع استعمالها في هذه الأماكن مع الإسلام، وإلا فكل مكان يسجد لله فيه يكون مسجدًا.

نأتي لآية: ﴿ سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِيٓ أَسۡرَىٰ بِعَبۡدِهِۦ لَيۡلٗا مِّنَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ ﴾ (الإسراء:١) قلنا: إن المسجد الحرام هذا هو أول بيت وضع

للناس، ويجب أن نفهم ذلك، فإن بعض الناس قالوا: هل الذي بناه هو سيدنا إبراهيم؟ ونقول لهم: لا.. هو موضوع للناس، إذًا ما دام هو موضوع للناس فيكون واضعه غير الناس، وما دام وجد ناس، وآدم من الناس، فلابد أن يكون هناك بيت الله، ولابد أن يكون هذا موضوع قبل سيدنا آدم ﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ ﴾ (آل عمران:٩٦) وآدم من الناس، وبنوه من الناس، فيكون البيت قد وضع لهم، وإنما إبراهيم فقط رفع القواعد منه، رفع القواعد من البيت، وأولاً: يجب أن نعلم أن إسماعيل عليه السلام عاون أباه إبراهيم في رفع قواعد البيت ﴿ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَـٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ ﴾ (البقرة:١٢٧) فإسماعيل كان في حال يعين أباه على البناء، لكن الحق سبحانه وتعالى يحكي لنا في سورة أخرى: ﴿ رَّبَّنَآ إِنِّىٓ أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِى بِوَادٍ غَيْرِ ذِى زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ ٱلْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾ (إبراهيم:٣٧) فساعة الإسكان كانت هاجر وابنها الرضيع، ولم يكن عنده هو، إذًا فالعنديات عند بيتك المحرم معلومة، قبل أن يرفع إبراهيم القواعد من البيت فيكون البيت ليس وضع إبراهيم ولا من تأسيس إبراهيم، البيت من قبل إبراهيم، وإبراهيم فقط هو الذي رفع القواعد؛ لأن الله قد قال له؛ اذهب عند البيت المحرم، ومعنى البيت المحرم أنه سيبنيه عندما يكبر إسماعيل، فإذا كانت العنديات في المسجد الحرام معلومة قبل هذا ﴿ مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ﴾.

يأتي شخص ويقول: لماذا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى؟ نقول له: لأن الكعبة كانت انطمرت كبيت من بيوت الله، لم يعد لها هذا المظهر، وسميت بيت العرب، وشحنت بالأصنام، هذا شيء، وبيت المقدس له قدسية مع موسى وعيسى، وأنبياء بني إسرائيل، ورسول الله ﷺ لم يبعث لقومه فقط، أي لم يخص العرب فقط كما يريدون هم أن يقولوا... لا، إنما

جاء عالميًّا، فإسراؤه من مكة إلى بيت المقدس أدخل بيت المقدس في مقدسات دينه الجديد، وهذه العملية توضح أن دينه مهيمن على كل البقع، وكل مقدسات البقع، وكذلك أيضًا كان اتجاهنا إليه كقبلة أولاً، فلا يأتي واحد ويقول: أنتم لكم دينكم، ونحن لنا ديننا... لا.. صحيح ديننا جاء في مكة، لكنه مهيمن على سائر الكتب، ورسولنا مهيمن على مقدساتنا، وهذه المقدسات داخلة أيضًا في مقدساتنا، وقد أصبح بيت المقدس في مقدساتنا؛ لأنه صار منتهى مسرى النبي، وبداية معراجه ﷺ.

نأتي هنا ونقول: إن حادثة الإسراء حادثة أرضية، ومعنى أرضية، أنه كان هناك أناس في بيت المقدس، وأناس ذهبوا إلى بيت المقدس، وأناس رأوا بيت المقدس، وأناس يعرفون الطريق إلى بيت المقدس، ظلت المسألة هي الإعجاز في اختصار الزمن، ولكن من الممكن أن يقام الدليل المادي للناس على صدقه ﷺ في هذا، حين قالوا له: صف المسجد.. فوصف المسجد، طلبهم وصف المسجد من رسول الله شهادة منهم بأنهم يعلمون جيدًا أنه لم يذهب إلى هناك في رحلاته، ولو كانت عندهم شبهة في أنه قد ذهب، لما سألوه أي سؤال، فمعنى طلبهم وصف المسجد أنهم متأكدون من عدم ذهابه إليه قبل ذلك، فوصف المسجد، والذين يسمعونه قوم رأوا المسجد، فوجدوا الوصف مطابقًا لما قال، وبعد ذلك لم يتكلم، ربما كان هناك إنسان حاذق وصفه لرسول الله، ورسول الله نقل وصف المسجد عنه، ولكني أقول: لا؛ وذلك لأن الأمر المادي ارتبط بتوقيت زمني يستحيل فيه أن يكون ذلك، كيف؟ إن الطريق الذي يعود منه رسول الله إلى مكة، حدثت فيه أحداث، والأحداث يراها رسول الله ﷺ، ويحدثها للقوم، رأى جماعة ومعهم جمل وصفه كذا، ويحدث لهم كذا وكذا وكذا، وحين يقبلون عليكم اليوم اسألوهم عما حدث، فهو قد وصف أشياء رآها في طريق العودة، وبعد ذلك يتربص

القوم القوافل التي ستجيء، فيجدون الأمر كما قال رسول الله في الطريق.

إذًا من الممكن أن يقام الدليل المادي الذي يقنع العقل على أن رسول الله ﷺ ذهب إلى بيت المقدس، فإذًا ما دام قد أقام الدليل في المكان فوصفه، وفي الطريق فتكلم عن أمارات فيه لم توجد إلا في الوقت الذي مر فيه، فهذا دليل على أنه صادق فيما قال، وما دام صادقًا، فما هي مسألة الزمن هذه؟

إذًا فالله قد خرق له القانون بالاستدلال عليه بالأدلة المادية التي نعرفها، ثم حدث بعد ذلك قائلاً: إنه خرق لي القانون، فصعدت إلى السماء فيكون إيماننا بما كان تحت أيدينا من الحجج التي نعرفها، وسيلة إلى أن نصدق ونقول: " الذي خرق له قانون المسافة فيما نعلم قادر على أن يخرق له قانون العلو فيما لا نعلم "، وحينئذ يكون الإسراء كمقدمة إيناسية للعقل البشري بصدق الرسول في إخباره عن المعراج؛ لأن المسألة ستنتهي منها، فالله خرق له قانون الزمن، وقانون المسافة فيما نعلم، وما دام الله خرق قانون الزمن، وقانون المسافة، وهو الفاعل وهو الحامل له بقوته، فيكون الذي فعل له ذلك فيما نعلم بالاستدلال من الوصف ومن الطريق، قادر على أن يخرق له قانون السماء وقانون الجو، وقانون كذا، وقانون كذا، فكأن حدث الإسراء كان مقدمة لتؤنس العقل بقبول حديث المعراج.

هنا نقف وقفة، فالقرآن حينما تعرض لحديث الإسراء تعرض له صراحة وحينما جاء لحدث المعراج، تعرض له ـ كما يقولون ـ التزامًا؛ لأنه لم يقل: سبحان الذي عرج به من بيت المقدس إلى سدرة المنتهى، لم يقل هذا، إنما قال لنا أشياء تستلزم أنه صعد، فمثلاً سورة: ﴿ وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ۝١ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ۝٢ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ۝٤ عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ ۝٥ ذُو مِرَّةٍ فَٱسْتَوَىٰ ۝٦ وَهُوَ بِٱلْأُفُقِ

ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٧﴾ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ﴿٨﴾ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ﴿٩﴾ فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ ﴿١٠﴾ مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ ﴿١١﴾ أَفَتُمَٰرُونَهُۥ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ ﴿١٢﴾ وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾ عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴿١٤﴾ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ ﴿١٥﴾ إِذْ يَغْشَى ٱلسِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ ﴿١٦﴾ مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ﴿١٧﴾ لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ ﴿١٨﴾﴾ (النجم).

إذًا يجب أن نعلم أن رسول الله ﷺ صعد إلى سدرة المنتهى، لكن لماذا لم يأت برحلة المعراج نصًّا كما بالإسراء نصًّا؟ قالوا: إن هذا من رحمة الله بخلقه، فالأمر الذي أمكن رسول الله أن يقيم الدليل المادي لسكان الأرض والذي قد تقف فيه العقول بعض الشيء أتى به نصًّا، أما الأمر الذي لا يستطيع أن يقيم فيه الدليل المادي فقد تركه لمدى يقينك الإيماني أو مدى تسليمك بالمقدمة التي تلي النتيجة الأخرى؛ لأنك أنت ما دمت مؤمنًا، فستقول: " ما دام صنع به كذا فيما أعلم، فإذًا يصنع به كذا فيما لا أعلم "؛ لأنه حين يكون قد خرق لي القانون في أمر، فما المانع ما دامت صيغة القانون هي هي أن يخرقه لي في أمر آخر؟ أيكون قانون السماء صعب على الله، وقوانين الأرض ليست صعبة عليه؟ ما دام غير القوانين، وغير النواميس فليس أمر يصعب عليه، وحاشا أن يعجز الله شيء في الأرض ولا في السماء... وهل المعجزات التي أمد الله بها رسله عليهم الصلاة والسلام إلا خرقًا لنواميس الكون، وخرقًا لقوانينه، وخرقًا لحقائقه الثابتة؟ وما دامت هي خرقًا، إذًا فلا أستبعدها أن تحدث لرسول الله ﷺ، وإلا فمثلاً حينما قال الفيلسوف: "صحيح أنا أؤمن بأن هناك ربًّا خلق هذا الكون، ولكني أقول: إن الله خلق الكون وخلق حقائقه، وترك الحقائق تعمل عملها، فالنواميس هي التي تعمل"، هذا معناه أن الله باشر سلطانه في ملكه مرة واحدة؛ خلق القوانين، ثم ترك القوانين تتحكم، هذا غير صحيح، فلقد شاء الله أن يخرق القوانين في

كثير من الأشياء، وأن يشذ الناموس في كثير من الأشياء لنعلم أن فوق القانون خالق القانون الذي يستطيع أن يجعل القانون يعطي، ويستطيع أن يجعل القانون لا يعطي، فجاءت المعجزات، كل المعجزات التي حدثت للرسل خرقًا للنواميس، وإلا فالناموس في المياه السيولة والاستطراق.

ليست هناك مياه تقف هكذا، ومياه تقف هكذا، لا يضرب موسى البحر فتغرق هذا، وذاك كالطود العظيم، فهذا خرق للناموس.

والنار التي طبيعتها أن تحرق، يلقي إبراهيم فيها، وإلقاء إبراهيم فيها ليس المقصود منه نجاة إبراهيم منها، وإلا لو كان المقصود نجاة إبراهيم، لما مكن الله الكفار من القبض عليه، أو كان أرسل سحابة مثلاً تغيم وتطفئ النار، ولكن المراد أن إبراهيم يطرح في النار، وتظل نارًا، ولكن ناموس الإحراق يتعطل فيها، وإلا فلو انطفئت بالمطر لقالوا: إن لم يكن هذا المطر قد جاء، لكنا قد أحرقناه..لا.. أمسكوه، وخذوه، وأوثقوه، وارموه في النار، والنار تظل نارًا، ومع ذلك لا تحرق، هذا هو خرق الناموس.

وما دام الحق هو خارق الناموس ويخرق الناموس، فيكون الذي آمن بأن رسول الله ﷺ أسرى به من مكة إلى بيت المقدس، واستطاع أن يقيم الدليل المادي الأرضي واجب عليه الإيمان بالمعراج دون دليل مادي، وإلا ففي المعراج، من الذي صعد إلى السماء ليعطي أماراتها هل سيقولون له: " صف لنا سدرة المنتهى؟ " فهم لا يعرفون شيئًا عن سدرة، هل سيقولون: صف لنا الطريق إليها؟ إنهم لا يعرفون وصف الطريق إليها، فالحق سبحانه وتعالى رحمة بنا، جعل النص على الإسراء الذي يقام عليه الدليل المادي ـ لأنه أرضي ـ بالنص الصريح، وجعل المعراج ـ لأنه سماوي ـ بالالتزام؛ ولذلك قال العلماء: الذي يكذب الإسراء يكون كافرًا؛ لأنه صادم النص، والذي يكذب

المعراج لا يكون كافرًا، ولكن يكون فاسقًا؛ لأن الإسراء بالنص الصريح، والمعراج بدلالة الالتزام.

سؤال:

الآيات التي تتناول الإسراء والمعراج في القرآن، بعضها يتحدث عن ﴿ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَـٰتِنَآ ﴾ (الإسراء:١) ثم في موضع آخر وهو في الحديث عن المعراج، يقول القرآن: ﴿ لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَـٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ ﴾ (النجم:١٨) فمرة فيه إراءة من الله، ومرة هو رأى بنفسه، فهذه مسألة تحتاج منا إلى وقفة، وكذلك المرائي نفسها نحن نعرف مثلاً الموقف الذي خير فيه الرسول عليه الصلاة والسلام بين اللبن والخمر، والمشهد الذي يبين ثواب المجاهدين، والمشهد الذي يبرز نتيجة أكل أموال اليتامى، والمشهد الذي يبين عاقبة الربا، والمرائي التي عبرت عن هذه الأوضاع والأمراض الاجتماعية والخلقية في المجتمع، كل هذه مسائل نحتاج إلى الحديث عنها، فضلاً عن صلاة الرسول عليه الصلاة والسلام مثلاً إمامًا بالأنبياء والمرسلين، وما معناها؟ وما دلالتها؟ ثم موضوع آخر خطير، وهو مسألة أن أكثر الأنبياء الذين مر عليهم الرسول في المعراج هم من أنبياء بني إسرائيل، ومسألة تردد الرسول بين ربه وبين موسى عليه السلام وما تصوره البعض (رغم صحة الحديث) من أن هذا قد يوحي بنوع من وصاية سيدنا موسى على أمة محمد عليه الصلاة والسلام، وهذا خاطر ربما مر ولو سرًّا في أذهان بعض الناس، ولم يرددوه بصوت عال، هذه بعض الخواطر التي رجونا أن يوضحها لنا فضيلة الشيخ الشعراوي.

فضيلة الشيخ الشعراوي.

الحمد لله على نعمة الإيمان به، وشرف الإسلام له، وأصلي وأسلم على سيدنا محمد النبي الخاتم الرحمة، وبعد:

لقد قلنا شرحنا سابقًا حدث الإسراء، وكيف عرضه الحق سبحانه وتعالى في كتابه الكريم مستهلاً له بكلمة (سبحان) وأعطينا الإشارة التي توصي بها هذه البداية في أن (سبحان) معناها التنزيه، ومعنى التنزيه: الارتفاع بفعل الحق عن مشابهته لفعل المخلوقين، والارتفاع بصفات الحق عن مشابهتها لصفات المخلوقين، وإذا كنا نأخذ فعل الله من هذه الزاوية، وهي زاوية التنزيه، فيجب أن ننسب الفعل الذي نسبه الله إليه، وقلنا: إن كل فعل من الأفعال يجب أن يؤخذ بقانون وقوة فاعله، فقوة الفاعل هي التي تصور لنا قدرته على الفعل من عدم قدرته، وقلنا: إن الله سبحانه وتعالى نسب الإسراء إلى نفسه، ولم ينسبه إلى رسوله، فقال: (سبحان الذي أسرى) أي أسرى هو بعبده، إذًا فقانون محمد وبشريته ملغية في الفعل وفي الحدث، وقلنا إن رسول الله محمول على قانون خالقه، وهو الحق سبحانه وتعالى، فإذا كان أمر الفعل من الله سبحانه وتعالى، فلا يجب أن تعترض على الفعل بقانون البشرية، بل يجب أن نرد الفعل إلى قانون فاعله، وما دام الفاعل هو الله، فلا تحكم للزمان فيه، ولا تحكم للمسافة فيه، ولا تحكم لشيء من ذلك حسب قانون البشر، ومحمد ﷺ كان محمولاً على قانون الحق أو مصاحبًا، وقلت ـ وأعطيت مثلاً: ـ إنني إذا قلت: لقد صعدت أنا وبني الرضيع قمة جبل هيمالايا، فلا يمكن لعاقل أن يقول: " وكيف يصعد ابنك الرضيع جبل هيمالايا "؛ لأنني لم أقل: صعد ابني الرضيع، إذًا فالقانون قانوني، لا قانون ولدي، كذلك ـ ولله المثل الأعلى ـ الله أسرى بعبده، إذًا فقانون محمد ﷺ وبشريته وارتباطه بالزمن والمسافة لا دخل له في شيء من ذلك، وقلنا أيضًا: إننا إذا نظرنا إلى القوة في العقل وإلى المسافة والزمن، وجدنا أن الزمن يتناسب مع القوة تناسبًا عكسيًا، بمعنى أن القوة إذا زادت قل الزمن، فمثلاً إذا قطعت المسافة من طنطا إلى القاهرة على بعير، تختلف عنها إذا قطعتها في سيارة أو طيارة أو في نفاثة أو في

صاروخ، إذًا فإذا زادت القوة يقل الزمن، فما دام الحدث بقوة الله فانسب الزمن إلى قوة الذي فعل وهو الله ، إذا نسبت الزمن إلى قوة الذي فعل تجد أن المسألة لا تحتاج لزمن أبدًا؛ لأنها قوة القوى، وقلنا: إنه ما دامت لا تحتاج إلى زمن فلماذا استغرقت الرحلة برسول الله ليلة؟ قلنا: لأن هناك فرقًا بين نقلة المسافة وبين مراءٍ رآها رسول الله، فإذا رأى منظرًا من المناظر، فرؤيته لذلك المنظر هو الذي يحتاج إلى زمن، وإذا تكلم مع أحد، فكلامه مع هذا المتكلم يحتاج إلى زمن، إذًا فالزمن وهو الليلة كان للمرائي التي رآها رسول الله ﷺ، وقلنا: إن الإسراء جاء آية أرضية، ومعنى آية أرضية، أن البشر يعلمون بيت المقدس، ويعلمون المسجد الحرام، ومنهم من ذهب إلى بيت المقدس، ومنهم من يعرف الطريق إليه، وقلنا: إن الحق سبحانه وتعالى ترك للدليل العقلي المادي في عرف البشر ما يمكن أن يكون مؤيدًا لوجهة نظر الرسول فيما قال، فإذا قالوا: " صف المسجد ".. وصفه كما رآه الناس، وقلت: إنهم بطلبهم وصف المسجد من رسول الله دليل منهم على أنهم يعتقدون أن رسول الله لم ير المسجد، فلو كانوا يشكون في أنه رآه ما سألوه وصفه، إذًا فهم مقتنعون جميعًا بأن رسول الله ﷺ لم يذهب إلى المسجد الأقصى، ومع ذلك استوصفوه، وقلنا: ربما أن رسول الله ﷺ سمع وصف المسجد من خبير بالوصف، والتقط منه الرسول ذلك الوصف ثم نقله إليهم، فلابد من وجود دليل آخر زمني لا يوجد فيه ذلك، ومن ثم ذكرنا الأدلة التي رآها في الطريق حين عودته، وأخبرهم بها، ساعة أن كانت القافلة في طريقها إلى مكة، إذًا فليس من المعقول أن يأتي واحد ليخبر الرسول بما كان في الطريق، فأخبرهم، فترصدوا القافلة، ووجدوا الأمر كما قال الرسول ﷺ، إذًا فالإسراء آية أرضية أمكن أن يقام الدليل عليها، وإذا ما أمكن إقامة الدليل المادي المرئي بواسطة البشر عليها فهمت العقول أولاً أن المسافة قد اختصرت لرسول الله، وأن

قانون الزمن قد ألغى عنه، إذًا فقد خُرِق له الناموس، فإذا عرفنا أن الناموس خُرق له في أمر مادي نعلمه ونستدل عليه بعقولنا، فإذا حدث رسول الله بعد ذلك أن قانون السماء قد خرق له فاخترقه، فمن الممكن للعقل أن يستأنس بأن الذي خرق له الناموس فيما نعلم، وفيما استدللنا عليه، قادر على أن يخرق له الناموس فيما لا نعلم.

إذًا فآية الإسراء كانت إيناسًا لعملية الإيمان بالمعراج، فالله الذي خرق القانون لمحمد في المسافة والزمن، خرق له القانون في المعراج للسماوات السبع ولما لم يكن أحد صعد إلى سدرة المنتهى أو في الطريق إليها قافلة، فلا يمكن أبدًا أن يقام الدليل للمخلوقين الذين يسمعون ذلك إلا بصفة أمر حسي له، وهو الإسراء؛ ولذلك كانت آية الإسراء إيناسًا للعقول بإمكانية الإيمان بما يحدث به الرسول ﷺ؛ لأنه انتقل إلى السماء بقانونه، لا بالقانون الذي نقله من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى في ذلك الزمن الوجيز بإقراركم، وقد وصف المسجد، ووصف ما في الطريق من بيت المقدس إلى مكة، كل هذا يؤنسنا بأن الرسول عليه الصلاة والسلام حين يحدثنا عن المعراج وعن مرائيه في المعراج يكون صادقًا فيما حدث به.

ونلاحظ أن القرآن حينما تعرض لآية أرضية وهي الإسراء، قال: ﴿ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ ﴾ فكأن الفعل هنا إراءة، وما هي الإراءة؟ الإراءة هي أن تجعل من لا يرى.. يرى، وذلك إما بتحويل المرئي إلى قانون الرائي أو بنقل الرائي لأن ينفذ إلى قانون المرئي.

ولنأخذ مثلاً توضيحيًا لذلك: هناك الميكروب الذي يكتشف، الميكروب كان موجودًا قبل أن يكتشف، وليس معنى اكتشافه أنهم أوجدوه،

ولكنه كان موجودًا دون أن يكون للحس طريق إليه، فلما اخترعت المجاهر أمكن للذي لا يرى وهو الميكروب أن يراه، فحصلت إراءة للميكروب الذي لم يكن يرى.. يرى بماذا؟ بعملية تحويل، وهي أننا أتينا بعدسة تكبر لنا الأشياء، فما لم يكن يرى أولاً أصبح يرى الآن.

المريض ببصره مثلاً يذهب إلى الطبيب يعطي له نظارة، والنظارة تكبر له الأشياء، فما لم يكن يراه أولاً، رآه ثانيًا، وقد تجري له عملية جراحية في عينه بحيث لا يحتاج إلى هذه النظارة، فإذا لم يحتج إليها ليرى، يقال: رأى هو.

إذًا، فالإراءة إما أن تكون بتغير ما فيه إلى قانون الرائي فيرى، أو بإعطاء شيء في المرئي ليرى بذاته، فلما جاء في حادث الإسراء، قال: (لِنُرِيَهُۥ) لأن محمدًا عليه الصلاة والسلام على الأرض، وبشري بقانون البشرية، وقانون الإبصار فيه خاضع لقانون الضوء، وقانون الضوء لا يختلف فيه أحد، فإذا كانت هناك آيات من غيب الله في الأرض، فلابد أن تحدث له إراءة؛ لأنه بطبيعته لا يرى هذه الأشياء، فالإراءة إذا كانت هناك في الأرض، لكن حينما ينتقل الرسول ﷺ إلى الملأ الأعلى، ويلتقي بالأنبياء الذين ماتوا قبله، ويلتقي بالملائكة، فقد تغير شيء في ذاتيته ﷺ، فكأنه طرح البشرية وأخذ شيئًا من الملائكية التي ترى بنفسها، فلما صعد إلى السماء قال ماذا؟ قال: (لَقَدْ رَأَىٰ) (النجم:١٨) ولم يقل: أريناه ﴿ لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰ ۝ وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴾ ولم يقل: أريناه.

ففي الإسراء قال: (أرينا)... وفي آيات السماء... في المعراج (رأى) و (يرى)، فكأن الرسول في بشريته في الأرض كان محتاجًا إلى أن يعدل القانون في ذاته بالنسبة للرائي والمرئي، وأما في السماء فقد أخذ وضعًا آخر، هذا الوضع الآخر أصبح بذاته يرى؛ لأنه أصبحت هناك ملكية، فالبشرية

طرحت في الأرض، والملائكية أصبحت هي المسيطرة على رسول الله، فأصبح يرى، لكن في الأرض كانت إراءة.

ورسول الله ﷺ في هذه المسألة تعرض لثلاث مراحل؛ المرحلة التي كان بشرًا وجبريل يرى محمدًا ﷺ الأشياء، ثم يقول: ما هذا يا جبريل؟ يسمع صوتًا فيقول: ما هذا يا جبريل؟ فيقول له: هذا كذا وكذا. لكنه لما صعد إلى السماء كان يرى المرائي، فلا يستفهم من جبريل عنها، ويسمع فيفهم، إذًا فقد تحول شيء في ذاتية محمد، وأصبحت له ذاتية فاهمة بلا واسطة جبريل، ورائية بلا واسطة أحد، ففي الأرض إراءة، وأما في السماء فقد رأى بالرؤية.

ثم بعد ذلك نجد أنه بعد أن انتقل إلى مرحلة يكون فيها ملائكيًّا يراهم ويتكلم معهم ويخاطبهم ويفهم، يأتي بعد ذلك في منطقة أخرى بعد سدرة المنتهى، فينتهي حد جبريل، ثم بعد ذلك يزج برسول الله في سبحات النور، ولم يكن جبريل معه، وهذا دليل على أن محمدًا عليه الصلاة والسلام قد ارتقى ارتقاء آخر، ونقل من ملائكية لا قدرة لها على ما وراء سدرة المنتهى، دون مصاحبة جبريل عليه السلام.

إذًا، فمحمد كان بشرًا في الأرض مع جبريل، وبعد ذلك كانت له ملائكية مع الرسل ومع جبريل في السماء، وبعد ذلك كان له وضع آخر ارتقى به عن الملكية حتى أن جبريل نفسه يقول له: أنا لو تقدمت لاحترقت... وأنت لو تقدمت لاخترقت... فذاتية محمد حصل فيها شيء من التغير، التغير الذي يناسب ذلك الملأ الأعلى.

وعلى هذا فثلاثة أشياء حدثت لمحمد، بشرية في الأرض معهودة بالمدد، وبعد ذلك ملائكية في السماء قبل سدرة المنتهى، ثم بعد ذلك ملائكية فوق الملائكية، وهي التي كانت بعد سدرة المنتهى يصير فيها:

﴿ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ﴾ (النجم: ٩) ويتعرض فيها إلى خطاب الله وإلى رؤية الله على خلاف بين العلماء في هذا.

سؤال:

هل هناك وجه شبه بين الكلام الذي تفضلت به يا فضيلة الشيخ الآن، وبين الآيات التي تتكلم عن سيدنا موسى عليه السلام، حين قال لربه: ﴿ رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِي ﴾ (الأعراف:١٤٣)؟.

فضيلة الشيخ الشعراوي:

نعم، هنا نلاحظ أن السؤال من موسى عليه السلام كان من عين البشرية التي لمحمد؛ لأن موسى لم يسأل الرؤيا، وإنما سأل الإراءة لأنه في الأرض ﴿ رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِي ﴾ وأرني، المطلوب فيها الإراءة بمعنى، ان ترني أنظر، وإن لم ترني لا أنظر، فكأنني بطبيعة تكويني لا أقدر أن أنظر إليك، ولكن إن عدلت في، وأريتني... أرى.

﴿ أَرِنِيٓ أَنظُرۡ ﴾ فكأن الذي طلبه موسى الإراءة وليست الرؤية؛ لأنه يعلم بطبيعة تكوينه أنه لا يرى، ولكن الذي خلقه يستطيع أن يريه، فطلب موسى كان الإراءة كالذي حدث لمحمد في آية الإسراء الأرضية ﴿ لِنُرِيَهُۥ ﴾ أيضًا هي إراءة.

وبعد ذلك نبحث بحثًا آخر في الجوانب... ﴿ رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَۚ ﴾ كأن موسى يقول: أنا بطبيعة تكويني لا أقدر على أن أراك، لكن أنت خالقي، وخالق القوانين، تستطيع عن مددتني بقوانين من عندك أن أرى، فإن أريتني أنظر، وإن لم ترني لا أستطيع، فماذا كان جواب الحق له؟ كان جواب الحق له: ﴿ لَن تَرَىٰنِي ﴾. إذًا، فالمانع ليس من جهة الحق، ولكن من جهة موسى، لم

يقل: لن أُرَى، بل قال: لـن تـراني... أي أن طبيعتـك التكوينيـة لا تقـوى عـلى رؤيتي، ولو أن الحق لا يرى لقال له: «لن أُرَى».. ولكن قال له: ﴿ لَن تَرَىٰنِي ﴾ وبعد ذلك قال له: ﴿ وَلَٰكِنِ ٱنظُرۡ إِلَى ٱلۡجَبَلِ فَإِنِ ٱسۡتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوۡفَ تَرَىٰنِي ﴾ علقه على شيء مادي موجود وهو الجبل، والجبل لا شك أنه موجود أمام موسى، الجبل عندنا وعند موسى أقوى بنية من موسى وأشد صلابة.

﴿ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلۡجَبَلِ ﴾. إذًا فلا مانع أن يـتجلى الحـق عـلى بعـض الخلق، وقد تجلى الحق على الجبل، ولكن الجبـل الـصلب القـوي لم يتحمـل هذا التجلي فتفتت مع صلابته ومع قوته، حينئذ نفهـم أن الـسر في قولـه: ﴿ لَن تَرَىٰنِي ﴾ أن طبيعة تكوينك لا تتحمل رؤيتي، بدليل أنك لو نظرت على الجبل، وأنا سأتجلى للجبل، فإن استقر مكانه، فاعلم أنـك تـراني. ﴿ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلۡجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا ﴾ فموسى صعق لرؤية المتجلَـى عليه ـ وهو الجبل ـ فكيف لو رأى المتجلِي؟ !!

إذًا، فقول الحق: ﴿ لَن تَرَىٰنِي ﴾ دليل على أن طبيعة تكوين البشر ليـست معدة إعدادًا بحيث تستطيع أن ترى ربها، أما الله سبحانه وتعالى فمـن الممكـن أن يُرَى، ولكن بعد تعديل طبيعتنا بحيث تقوى على رؤيته، والدليل عـلى ذلـك أن الله تجلى على الجبل، وما دام تجـلى عـلى الجبـل، والجبـل خلـق، إذًا فمـن الممكن أن يتجلى على بعض خلقه، ولكـن خلقـه لا يتحملـون الـتجلي، ولـذا فمن رحمته أنه لا يتجلى لنا؛ لأن طبيعة تكويننا لا تتحمل ذلك الـتجلي، الجبـل مع ضخامته ماذا صار؟ ﴿ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلۡجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا ﴾ فسؤال موسى لله ﴿ أَرِنِيٓ ﴾ دليل على أن ذلك ليس محـالاً؛ لأن كثيـرًا من الرسل تصرفوا تصرفات، ولم يقف الله منهم موقف موسى، ل قـال: ﴿ فَلَا تَسۡـَٔلۡنِ مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٌ ﴾ (هود:٤٦).. فإذا سأل نبـي سـؤالاً يكـون لا

جواب له، فيقول: ﴿ فَلَا تَسْـَٔلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ﴾... ولم يقل لموسى ﴿ فَلَا تَسْـَٔلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ﴾، وإنما قال له بالدليل المنطقي: ﴿ لَن تَرَىٰنِى ﴾ أنت، ﴿ وَلَٰكِنِ ٱنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ ﴾ فعدم تجلي الله على موسى رحمة به؛ حتى لا يتفتت تفتت الجبل، الجبل الذي هو أقوى من موسى ﴿ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا ﴾.

سؤال:

﴿ لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ ﴾ هل نفهم فهمًا آخر غير وصف آيات الله بالكبرى في هذه الآية؟

فضيلة الشيخ الشعراوي

نعم، نحن قد قلنا: إن الذي كان في الأرض إراءة؛ لأن فيه بشرية، فلما نقل إلى السماء انحلت البشرية بعض الشيء عن رسول الله ﷺ، وأصبحت الملائكية هي الطاغية، فأصبح يخاطب الملائكة، ويكلم الرسل الذين ماتوا، ويلتقي بهم، وجاءت بعد ذلك المرحلة الثالثة التي تكلمنا عنها وقلنا: إن جبريل نفسه وهو ملك من الملائكة العظام، لم يقدر عليها؛ حيث قال له: إلى هنا مكاني... وذلك يدل على أن محمدًا نقل نقلة أخرى فوق الملائكية، ليهيأ... لماذا؟ لكلام الرب المباشر وإلى الرؤية على الخلاف فيها، إذًا فالحق سبحانه وتعالى حينما تكلم ماذا قال؟ ﴿ وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ۝١ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ۝٢ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ۝٤ عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ ۝٥ ذُو مِرَّةٍ فَٱسْتَوَىٰ ۝٦ وَهُوَ بِٱلْأُفُقِ ٱلْأَعْلَىٰ ۝٧ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ۝٨ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ۝٩ فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ ۝١٠ مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ ۝١١ أَفَتُمَٰرُونَهُۥ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ ۝١٢ ﴾ تجادلونه على ما يرى ﴿ وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ۝١٣ عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ

﴿١٤﴾ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ ﴿١٥﴾ إِذْ يَغْشَى ٱلسِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ ﴿١٦﴾ مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ﴿١٧﴾ لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ ﴿١٨﴾ ﴾ (النجم).

وهنا وقفة؛ لأن نصوص القرآن من الله، فكل لفظ له إيحاؤه؛ فإذا قال الله: ﴿ أَفَتُمَٰرُونَهُۥ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ ﴾ أي أفتجادلونه إن قال لكم: رأيت كذا وكذا وكذا ﴿ وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾ عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴿١٤﴾ ﴾.

وبعد ذلك لما جاء في المرحلة الأخيرة، قال: ﴿ لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ ﴾ هذا إخبار من الله، ولم يكن من محمد... وكأن محمدًا قال ما تطيقه عقول البشر، فقال: ﴿ أَفَتُمَٰرُونَهُۥ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ ﴾... ﴿ وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴾.

لكن الموضوع الأخير الله سبحانه وتعالى ـ رحمة بالعقول ـ لم يعييها، جاء في شيء من الأشياء، وقال: لماذا تجادلونه في هذا؟ ﴿ لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ ﴾.. فكان ذلك إخبارًا من الله، وليس إخبارًا من محمد؛ حيث لم يقل محمد لهم: لَقَدْ رَأَيت مِنْ آياتِ رَبِّي الكُبْرَى.

و﴿ ٱلْكُبْرَىٰ ﴾ ـ هنا ـ المفسرون يجلونها وصفًا للآيات، فهو قد رأى من آيات ربه... الآيات الكبرى العظيمة، لكن التحقيق الذي يقبله الذوق السياقي أن قوله: ﴿ لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ ﴾.. أي أنه رأى الآية الكبرى من آيات ربه، فكأن آيات الله، لكن فيه آية كبرى، وهي التي تقف العقول فيها وقفة؛ لأنها إذا كانت الآيات العادية وقفت هذه الوقفة، فما بالكم بها مع الآية الموصوفة من الله بأنها الآية الكبرى... أي لقد رأى الكبرى من آيات ربه... فكأن الكبرى هي المفعول، وليست وصف الآيات، ولكن ﴿ لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ ﴾ ماذا رأى؟ رأى الآية الكبرى التي هي أعلى من هذه الآيات.

لا شك أن جبريل كان معه في الأرض، كان يشاركه في هذه المرائي، وفي السماء أيضًا كان معه جبريل، لكن في الآية الكبرى كانت المرحلة الأخيرة، التي لم يقدر عليها جبريل.. ولا أحد من الملائكة، وانفرد رسول الله ﷺ بها، وإذا نظرنا إلى قول الحق أيضًا: ﴿ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ۝ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ﴾... أنا شخصيًّا لست مع المفسرين حين يفسرون دنا، بأن الداني جبريل؛ لأن جبريل معه، وما دام جبريل معه، فماذا دنا؟ فكان قاب قوسين أو أدنى، ذلك ملحظ آخر يعطينا أن الدنو ﴿ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ﴾ لشيء آخر، أي دنا من ربه، أو دنا ربه منه، إيناس بما يكون من رؤيته للحق أو من كلام الحق له، هنا.

سؤال

هل إذا ذهبنا إلى القول بدنو الرسول عليه الصلاة والسلام من الله أو دنو الله منه ألا يوجد معنى التجسد أو التحيز، والله سبحانه منزه عن ذلك؟

فضيلة الشيخ الشعراوي:

نحن قد قلنا: إن الله سبحانه وتعالى موجود، وأنا موجود، فهل وجود الله كوجودي، أنا أعلم أنني الآن جاس وأنت معي، والله يعلم ذلك، فهل علمي كعلم الله؟ وأنا مثلاً أوصف بأني حي، والله يوصف بأنه حي، فهل حياة الله كحياتي ظ إذًا لماذا نفسر أن دنو الله وتدليه، كدنوي أنا وتدليَّ، وما دمنا قلنا: (سبحان) فإذا وجد شيء لله ومثله للبشر، فلابد أن تنسبها إلى سبحانه، إلى الأصل في سبحان، فإذا كان الله قد وصف بأشياء مثل: (استوى على العرش) ونحن لنا استواء ـ أيضًا ـ على الكرسي، فلا تقل: إن استواء الله سبحانه وتعالى كاستوائي؛ لأنني لم أقل: إن وجوده كوجودي، ولا علمه كعلمي، ولا غناه كغناي، ولا حياته كحياتي، لماذا؟ قالوا: لأن الدنو والتدلي

من صفة الإجرام، والله منزه عن الجرمية، فيجب أن نأخذ الفعل بالنسبة أيـضًا لفاعله، وعلى فرض أن اله هو الذي دنا وتدلى، أو أن الله ينزل إلى السماء الـدنيا كل ليلة، كما في الحديث فيقول: هل من تائب فأتوب عليه، هل مـن مـستغفر فأغفر له " فلا أتصور أن هـذا التنـزل كتنـزلي، لمـاذا؟ لأن هنـاك إطـارًا عامًّـا يضبط المسألة وهو أنه سبحانه ليس كمثله شيء، فإذا وجد وصف لله، ووجد وصف مثله للبشر، فيجب أن أقرن الوصف لله بأنه ليس كوصـفي، والله منـزه عن أن تكون ذاته كذاتي، وفعله كفعلي، وصفاته كصفاتي.

******

دروس من مرائي الرسول في الإسراء

سؤال

نحب أن نتناول المرائي في حدث الإسراء، ولماذا كان هذا النوع بالذات من المرائي، ولاحظنا تخيير النبي ﷺ بين اللبن والخمر، حيث اختار اللبن، وأنه مر على أناس يزرعون، ويحصدون في نفس اليوم، أو في نفس الساعة، وهؤلاء هم المجاهدون، وأنه وجد أناسًا لهم مشافر كمشافر الإبل، وآخرين يأكلون كرات من النار، ثم يخبر بأنهم الذين يأكلون أموال اليتامى، ما هي هذه الصور وغيرها؟ وما دلالتها؟ وما معناها؟ ومن هم خطباء الفتنة؟ نريد أن نعرف شيئًا عن ذلك؟

فضيلة الشيخ الشعراوي

منهاج الرسل دائمًا أنهم يجيئون من الله خالق الإنسان بقانونه صيانة ذلك الإنسان؛ لأننا جميعًا مقتنعون بأن صانع الصنعة هو الذي يقرر قانون صيانتها، وصانع التليفزيون هو الذي يقرر قانون صيانته وكيفية استعماله وتشغيله، فكل صانع صنعة من البشر هو الذي يضع قانون صيانتها، وحيث إنه لم يوجد أحد يدعي أنه خلق الإنسان، إذًا فالإنسان صنعة الله، ولا خوف في ذلك، وما دام الإنسان صنعة الله، فالله هو الذي يحدد قانون صيانة ذلك الإنسان، لا يخلق الله خلقه، وبعد ذلك يتدخل الخلق ليضعوا قانون الصيانة له، وهذه كحالة أن أذهب أنا بالتليفزيون إلى الجزار كي يصلحه لي، لا، فالذي يضع قانون صيانة الشيء هو الذي خلق (ألا يعلم من خلق).. والذي يدلك على ذلك أن كل تشريع من تشريعات البشر ـ إن أحسنا الظن برغبتهم في الخير، ورغبتهم في الإصلاح ـ عرضة لأن يتغير ويتبدل، وأن يذهب ويجيء

غيره، ولا يبقى قانون من قوانين الوضع البشري إلا ببقاء السوط الذي يحميه، فإذا ذهب السوط الذي يحميه انحل هذا القانون بطبيعته، فكأن وراء كل قانون بشري قوة تحميه وحين تذهب هذه القوة، يضمحل.

وأحب أن أقول للذين يقننون: إن القوانين البشرية تقنن للنفس الإنسانية. فماذا عرفتم من النفس الإنسانية؟ أنتم تعرفون زاوية، وتجهلون زوايا، ما هي النفس الإنسانية؟ ليست بطنًا ومعدة فقط، ليست عقلاً يعي ويفهم فقط، ليست وجدانًا فقط، إنها ملكات متعددة، أنتم إلى الآن لا تعرفون عنها شيئًا، إذًا فالمقننون يعرفون شيئًا فيقننون له، ويتركون الملكات الأخرى النفسية جائعة، وهنا ماذا يحدث للإنسان المشتمل على كل هذه الملكات؟ وفيه ملكة شبعة، وملكات جائعة، لابد أن يحصل التمزق والقلق النفسي له، والدليل على ذلك مثلاً الجماعة الذين يعتبرون النظام الاقتصادي هو كل شيء في الدنيا، كالسويد، التي هي بالإحصائيات أرقى دولة في مستوى المعيشة، فالفرد فيها مُرَفَّه رفاهية عالية جدًا، ومع ذلك فيها أعلى نسبة انتحار بين شبابها، علاوة على أمراضهم العصبية والجنونية... إلى آخره.

وهذا دليل على أنه ليست المعدة هي كل شيء، ولا الماديات هي كل شيء، فهناك ملكات جائعة في النفوس، وإلا فما الذي يدعو الإنسان إلى الانتحار وترك الحياة؟ السبب أن لديه قلقًا، وهو لا يعرف مصدره، ولا يعرف طريقًا لعلاجه؛ لأن فيه ملكات نفسية جهلها البشر، فلم يقننوا لها، وإن قننوا لها، فتقنين جاهل بها لم يخلقها.

إذًا فالذي يخلق الشيء هو الذي يقنن له، وعلى ذلك فالحق سبحانه وتعالى هو الذي خلق النفس البشرية، وهو الذي يقنن لها، وقد جاء الرسل لتنظيم حركة الحياة في ذلك الإنسان بقانون صيانته، وما دامت هذه هي مهمة

الرسل، وسيتعرضون لقوانين اقتصادية وسياسية وعلمية واجتماعية وخلقية، سيتعرضون لأشياء كثيرة، منها القوانين التعبدية وفي القانون التعبدي الذي يقول فيه الله تقرب إليَّ بكذا، ليس للعقل مجال فيه؛ة لأن الله يقول لك: تقرب إلى بأن تصل لي خمس صلوات بشكل مخصوص، لكن في القوانين الأخرى التي تتعلق بنظام المجتمع: سياسة أو اجتماع أو... أو... إلى آخره، فناقشها ما شئت بعقلك، وقارنها بأي قانون اقتصادي في العالم، وستجد أن القوانين التي وضعها الإسلام لزوايا الحياة الاجتماعية هي المتفوقة، وهي صاحبة السبق... ففي التعبديات لا مجال للعقل، ويجب التقرب لله بما يريد، أما ما عدا التعبديات فناقشها بعقلك، وقارنها بأرقى المستويات، وستجد لها السبق والتميز، مع الشمول والاستيعاب، والدليل على ذلك أن الأشياء التي كان أعداء الإسلام يأخذونها على الإسلام حينما كانوا يعدلون قوانينهم، كان القانون بعد تعديله يلتقي مع وجهة نظر الإسلام إذا كان القانون سليمًا، فمثلاً كانوا ثائرين على الإسلام في مسألة الطلاق، وبعد ذلك انتهوا في إيطاليا إلى أن الحل الوحيد لمشكلات أسرية مستعصية هو إباحة الطلاق؛ وذلك لأنهم وجدوا شرور عدم الطلاق أكثر؛ ولذلك فهم كلما يرتقون أو يستنيرون أو تعذبهم الحياة بواقعها ـ يرجعون إلى نظرية الإسلام. أمريكا مثلاً نعرف أنها صرفت ولا زالت من أجل محاولة تحريم الخمر ملايين الدولارات، ولكن الإسلام جاء من أول خطوة وحرمها.. وتعدد الزوجات الذي جعلوه عيبًا من عيوب الإسلام، الآن يبحثون في إرجاعه؛ لأنه أفضل من النظام الموجود لديهم.

والقوانين الاقتصادية إذا نظرت إليها، ووجدتها ترقى، فستجدها في رقيها تلتقي مع نظرية الإسلام، فالإسلام جاء من أقصر طريق، لماذا؟ لأنه تقنين من يعلم من خلق، وتقنين خالق الإنسان، الذي أرسل بذلك التنظيم.

حين يأتي بالتنظيم، نجد فيه أشياء نسميها نحن في الوسائل التربوية الآن وسائل إيضاح، ووسائل الإيضاح هذه تنقل الكلام النظري إلى كلام عملي، ومعنى وسائل الإيضاح: أنها أمر مادي... معملي يرينا صدق القضية النظرية، فإذا قلت: الحرارة تمدد الأجسام، فلكي نثبت ذلك لابد أن نوضحه عمليًّا، بأن نأتي بحلقة معدنية ونمرر بها الكرة، وسنجد أن الكرة تمر من الحلقة، لكن لو سخنت الكرة، وأدخلناها في الحلقة المعدنية، لن تدخل، لماذا؟ لأن حجم الكرة تمدد بالحرارة. هذه وسيلة إيضاح بينت لي هذه المسألة النظرية، والدين ي؟أتي بتشريعات، فالرسول ﷺ رأى في هذه المرائي أشياء، تعطي له واقع الأوامر المنهجية التي أتى بها التكليف.

فأول شيء يعرضه لنا مسألة الفطرة، وتغير الفطرة... عرض عليه كأس من اللبن، وكأس من الخمر، فاختار رسول الله ﷺ كأس اللبن، وهنا قال له جبريل: " هديت إلى الفطرة " وما معنى " هديت إلى الفطرة "؟ كأن الفطرة بطبيعتها نقية ح لأن اللبن الذي نشربه من أمهاتنا أو اللبن الذي نشربه مثلاً من البهائم لا صنعة للإنسان فيه أبدًا؛ إذ إننا نشربه كما ينزل، فهذه هي الفطرة، لكن في الخمر، نحن نأخذ رزقًا من الرزق الحسن ـ العنب ـ وبعد ذلك نأتي فنتلفه حين نخمره ونجعله ينتن ويتحلل، فإذًا نحن قد أخرجناه عن فطرته؛ ولذلك حينما يعرض القرآن ذلك ـ وكان العرب يشربون الخمر ويقولون سكر ـ يقول: ﴿ وَمِن ثَمَرَاتِ ٱلنَّخِيلِ وَٱلْأَعْنَٰبِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا ﴾ (النحل:٦٧). صحيح هم يأخذون منه ﴿ سَكَرًا وَرِزْقًا ﴾.. انظر إلى الدقة في ﴿ وَرِزْقًا حَسَنًا ﴾ فحينما جاء بالرزق وصفه بالحسن، وفي السكر سكت عنه؛ لأنه غير حسن، ولو قال: ومن ثمرات النخيل والأعناب تتخذون منه سكرًا ورزقًا أحسن ـ لكان السكر فيه شيء من الحسن، لكنه أتى بـ ﴿ حَسَنًا ﴾ حتى تكون مقابلة للقبح، وكأننا نأخذ نعم الله ونتلفها ونخرجها عن الفطرة،

فقول جبريل عليه السلام لسيدنا رسول الله ﷺ: " هديت الفطرة "، أي أنك لم تأخذ حاجة من حاجات الله، وأدخلت عليها عملية إفساد، خذ الحاجة وأدخل عليها عملية إصلاح، كاللحم النيء مثلاً أنضجه، والخضار أطهه، ولكن أن تأخذ عنبًا وتضعه في برميل يتعفن ويتخمر، فكأنك أخرجته عن طبيعته، ذلك معنى " هديت الفطرة " ولماذا هذا المرئى؟ قالوا: لأن العقل هو منفذ التكليف من الله، والخمر جاءت لتستر العقل؛ لأن مدخلي إلى الله هو العقل التكليفي، فالمجنون لا يكلفه الله؛ لأن آلة الاختيار بين البديلات معطلة، ومعنى عقل: أن يختار بين بديلات، فإذا كان أمر لا بديل له فلا عمل للعقل فيه، وما دام وجد الاختيارات بين البديلات فلابد أن يكون العقل موجودًا سليمًا ومقاييسه صادقة، وذلك حتى تختار البديل الخير، ولا تختار البديل الشر، يأتي الإنسان إلى مناط التكليف له من الله، وبعد ذلك يشرب الخمر ليستر عقله، فكأنه عمد إلى النعمة الكبرى، منفذه إلى الإيمان بالله، ومنفذه للتكليف عن الله... يعطلها.

وكل المرائي التي رآها رسول الله تستلزم وجود العقل التكليفي فيها؛ فالجهاد والزكاة والصلاة كل هذه فرائض شرطها وجود العقل التكليفي، فكأن الحق سبحانه وتعالى أراد بالمنظر الأول أن يقول: عن الفطرة طبيعتها سليمة لا تفسدوها أنتم بتصرفاتكم، هذا اللبن تبع الفطرة، والخمر أنتم أفسدتموها بصنعتكم فيها، فقد تدخلتم فيها ببشريتكم فأفسدتموها، فبعد أن كانت نعمة سليمة جعلتموها مفسدة، وإلى ماذا وجهتموها؟ وجهتموها إلى منفذ التكليف من الله وهو العقل، ونأتي إلى الحق سبحانه وتعالى الذي يقول لنا: أنا قد خلقت لك هذا العقل حتى تختار بين البديلات، فإذا جئت أنت وسترته بالخمر، فتكون رددت على الله نعمته الكبرى عليك التي امتزت بها عن الحيوان.

قد نجد الإنسان الذي يفعل ذلك يقول: إنني أستر همومي وحزني، ولكن ردنا عليه بأن نقول له: إن المشاكل لا يحلها أن تهرب منها، إنما يحلها أن تواجهها، فالحق لا يريد منك أن تنسى مشاكلك وتهرب منها وتسترها بالخمر، ولكن واجهها بفكرك. وما دمت تواجهها بفكرك، فلابد أن تحافظ على هذا الفكر لكي يكون سليمًا قادرًا على حلها، وذلك بأن تمنع عنه أي شيء يطمس قانون اختيار البديلات فيه، فهذا هو السبب في أن ذلك هو أول منظر من المناظر التي رآها سيدنا رسول الله ﷺ.

وبعد ذلك نجد منظرًا آخر، هذا المنظر أنه وجد قومًا يزرعون ويحصدون في وقتها، وتتكرر هذه العملية عدة مرات، فسأل جبريل: من هؤلاء؟ قال: المجاهدون في سبيل الله؛ لأن الجهاد في سبيل الله هو الوسيلة الناقلة لهدى الله إلى خلق الله؛ فالجهاد في سبيل الله هو الانسياح بالدعوة المنهجية التي جاءت من الله إلى القوم كي يهتدوا إليها، فلابد إذن لهؤلاء المجاهدين أن يكون لهم ثمرات متعددة، ولماذا الثمرات المتعددة؟ لأنهم يجودون بأموالهم، ويجودون بأرواحهم، فالذي يجود بماله وبروحه لله، نجد الله سبحانه وتعالى يخلف عليه خلفًا يناسب قدرته في العطاء، وما دام يناسب قدرته في العطاء فلابد من تجدد ثوابه، فكلما جاهدت في سبيل الله، لتنتشر الدعوة بجهادك هذا ـ فلك ثواب من اهتدى بها باستمرار.

إذًا فالرسول عليه الصلاة والسلام حينما أراه الله هذه المسألة فقد أراه إياها ليوضح هذه الحقيقة للذين يجاهدون في سبيل الله ﴿ وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَىْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴾ (سبأ:٣٩) .

ولا شك أن الناس يجودون بالأشياء؛ طمعًا فيما يأتي من الخير، فالفلاح منا مثلاً يكون عنده إردبان من القمح، وعندما تأتي أيام الزرع يأخذ

إردبًا مما عنده ـ فينقص مما عنده إردب ـ وبعد ذلك يطرحه في الأرض، ولكن الإردب الذي طرحه في الأرض وأنقص ما عنده الآن، سيزيد له عشرة أرادب بعد ذلك، وأن الحبة ستأتي له بسبعمائة حبة، فإذا كان ذلك عطاء الأرض الصماء التي هي خلق من خلق الله، فكيف كان يكون عطاء الله؟ فإذا هو يؤنسني بالأمر المادي؛ ولذلك فإذا وجدت أيها المجاهد بمالك وبدمك، فذلك كله عند الله يجود عليك بما هو أعظم، وإذا كانت الأعمال بنتائجها، فنتيجة هذا هو النفع العام لك.

وبعد ذلك يعرض الله سبحانه وتعالى منظرًا آخر عن الدنيا، والدنيا كما نعرف هي زينة وزخارف ولهو ولعب ﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلۡبَنِينَ وَٱلۡقَنَٰطِيرِ ٱلۡمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلۡفِضَّةِ ﴾ (آل عمران:١٤) فالله سبحانه وتعالى عرض هذا المنظر، منظر الدنيا بأنها امرأة عجوز وعليها من كل زينة، فقال له: ما هذه يا جبريل؟ قال: " لم يبق من عمر الدنيا إلا ما بقى من عمر هذه ".. فكان الرسول يقول: " أنا بعثت والساعة كهذه، ولم يبق من عمر الدنيا إلا كما بقى من عمر هذه المرأة "، فإذا كان عمرها هذا، فلماذا تشغلون أنفسكم بها هذا الشغل الكبير؟ أعطوها على قدر عمرها، وإذا فرضنا أنه بقى من عمر الدنيا الكثير، فهذا الكثير لغيرك، ما حظك أنت فيه؟ وإذا قست الدنيا بعمرك أيضًا، وجدت أنها بقيت دنيا، لكن لخلق غيرك، فمهما طال أمدها، ستمكث مليون سنة، لكنها لا تمكث المليون سنة لي.

إذًا، فيجب أن تقيس الدنيا بعمرك أنت فيها، فعمرها هو عمرك، فإذا كان متوسط عمر الإنسان ٦٠ سنة أو ٧٠ سنة، فإذا ضحى الإنسان بهذه السنين ماذا تكون النتيجة؟ النتيجة أنني سأضحي بشيء محدود، لكن في غاية غير

محدودة وهي الآخرة، وهذه هي أول مقارنة.

ثانيًا: أن السبعين سنة ليست متيقنة، فقد يموت الإنسان وهو صغير، فوجود الحياة الدنيا غير متيقن، لكن الآخرة متيقن وجودها هذه هي المقارنة الثانية.

ونعيمي في دنياي على قدر من؟ على قدر إمكانياتي، وعلى قدر تصوراتي في النعيم، أما نعيمي في الآخرة فعلى قدر إمكانيات الحق سبحانه وتعالى، وتصوراته في النعيم.

إذًا فحينما نأتي ونقارن عمر الدنيا بعمري، سأجد أن المقارنة ليست في صف الدنيا.. محدود هنا، وغير محدود في الآخرة.. غير متيقن هنا، ومتيقن في الآخرة ... النعيم على قدر إمكانياتي هنا، ونعيم الآخرة على قدر إمكانيات الله.

فإذا كانت الدنيا عجوز، ولم يبق منها إلا هذا ولو بالنسبة لكل إنسان، فما الذي يجعلني أجعل الدنيا هي كل همي؟ هذا هو المنظر الذي رآه رسول الله.

هناك منظر آخر، أن الرسول عليه الصلاة والسلام رأى أن هناك أناسًا والمقص يقص شفاههم وألسنتهم، لماذا؟ قالوا: لأن الشفاة واللسان هما الأداتان اللتان يتعاونان في إخراج الكلام، فقال له: من هؤلاء يا جبريل؟ قال: هم خطباء الفتنة.. ومن هم خطباء الفتنة؟ قال: الذين يقولون ما لا يفعلون، فألسنتهم أحلى من العسل، وفعلهم كالأسى، ويحدثون الفتنة؛ لأن آفة كل دعوة هم خطباء الفتنة فيها، يقولون كلامًا يسمعه الناس، ولهم فعل يخالف ما يقولون، فيقارن الناس فعلهم بقولهم، فيعملون أن هناك كلامًا يقال، وفعلاً مغايرًا لهذا الكلام يفعل.

وإذا انفصلت الكلمة عن السلوك، انقلبت المناهج كلها، فإذا جلست؟أشرح لابني مضار الكذب وأحدثه عن الصدق يوميًا، فإذا جئت في يوم وطلبني شخص وأنا بالبيت وكان ردي عليه بأنني غير موجود، هذا الفعل مني يهدم كل شيء من قولي، وبعد ذلك يستقر في وجدان الابن أن هناك كلامًا يقال، وفعلاً مغايرًا له يفعل، فانفصلت الكلمة عن السلوك.

وأيضًا خطباء الفتنة هم الذين يبررون للناس تصرفاتهم، فيجعلون الدين مبررًا لتصرفاتهم، بمعنى أن التصرف يكون، ثم يطلبون له مبررًا من الدين، والدين ليس دين تبرير، لكنه دين تدبير للمسائل، هو الذي يدبر الأمر أولاً، فلا تقول: إن المجتمع حلت به البلوى، وبعد ذلك تحاول من الدين أن يجد لك حلاً لبلاء المجتمع، فكأنك ستهبط بمنهج السماء إلى الأرض، والمفروض أن منهج السماء جاء ليرفع الناس إلى مستواه؛ ولذلك تجد في كل كلام الله الدعوة إلى السمو، ماذا يقول؟ يقول: ﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ ﴾ (آل عمران:٦٤) ﴿ تَعَالَوْا۟ ﴾ معناها: أقبلوا، نعم هي تحمل هذا المعنى، ولكن ﴿ تَعَالَوْا۟ ﴾ هنا معناها: ارتفعوا إلى المستوى الأعلى لتأخذوا المنهج من الله سبحانه وتعالى، ولا تتركوا أنفسكم في حضيض بشريتكم ولا في حضيض مدنيتكم.

إذًا، فخطباء الفتنة هم الذين يقولون ما لا يفعلون، أو هم الذين يبررون لكل منحرف انحرافه، فيأتي مثلاً في الربا، ويبرره، لكن نحن نقول له: إن منهج الله لا يهبط إلى مستوى فعل البشر، وإلا فسيكون المجتمع البشري هو الذي يقنن، وبعد ذلك نهبط بمنهج السماء إلى مستوى تقنين الأرض.

سؤال

ما زال في المرائي بعض صور أو لقطات تحتاج التعرض لها، وكذلك فيما يتعلق بمرور الرسول عليه الصلاة والسلام على الأنبياء في السماوات، وكيف أن هؤلاء الأنبياء هم من أنبياء بني إسرائيل في الغالب، فضلاً عن تردد الرسول ﷺ على سيدنا موسى عليه السلام بالذات، وتكرار التردد بينه وبين الله عز وجل، وكون سيدنا موسى يقول له: " ارجع إلى ربك فاسأله التخفيف "، عندما فرض الله علينا خمسين صلاة، وفي كل مرة يقول له هذا القول، نريد أن نناقش هذه القضية، وما يتصوره البعض من أنها تنطوي ـ بهذه المثابة ـ على نوع من الوصاية الموسوية على أمة محمد عليه الصلاة والسلام؟ كذلك قضية أخرى: لماذا كانت كل أوامر الله سبحانه وتعالى بالوحي ما عدا الصلاة هي التي اختصت بأن تكون بالأمر المباشر من الله عز وجل إلى الرسول ﷺ، وربما يبقى موضوع أخير يتعلق بالإيمان كتطبيق لكل معاني الإسراء والمعراج، وهو الإيمان المتمثل في موقف أبي بكر الصديق، ودلالة هذا الموقف في الإيمان الصديقي ـ إذا جاز التعبير، كل هذا قد يجدد رجاءنا على أن تبدأ بموضوعنا الأول عن بقية المرائي، سواء ما يتعلق منها بالمال أو العرض أو التكليف بالصلاة وغير ذلك؟.

فضيلة الشيخ الشعراوي

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله الذي هدانا لهذا، وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله، سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا، وصلى الله عليه وسلم على سيدنا محمد رحمة الله للعالمين، وخاتم الأنبياء والمرسلين..

وبعد:

لقد فهمنا سابقًا الآراء والرؤية في سياق ونطاق سبحانية الحق ... سبحانية الحق التي تتنزه في ذات الله، وتتنزه في فعل الله، وتتنزه في صفات الله سبحانه وتعالى، وبعد ذلك عرضنا لبعض المرائي، وقلنا: إن هذه المرائي جعلها الله سبحانه وتعالى كوسيلة الإيضاح بالنسبة لبعض الأمور العظيمة التي تتعلق بالدعوة، وبدأناها بأمر الفطرة؛ لأن التدين أو الإسلام أو معيشة الحق هو دين الفطرة، وكل ما يطرأ من زيغ أو غفلة مما يكون من صناعة البشر وإفسادهم كما يفسدون العنب فيجعلونه خمرًا، وبعد ذلك تكلمنا عن الانسياح بدعوة الفطْرة في الجهاد، ثم تكلمنا عن عمر الدنيا، وهو الموضوع الذي يشغل كثيرًا من الناس في حياتهم، وبعد ذلك تأتي المرائي الأخرى، وهي مركزة حول معانٍ تتعلق بالمال، وتتعلق بالأعراض، وتتعلق بالكلمة.

أما الذي يتعلق بالمال، فإن الحق سبحانه وتعالى عرض على رسول الله ﷺ آية، هذه الآية أنه رأى قومًا يسبحون في بحر من دم، ثم مع ذلك يلقمون الحجارة فسأل عنهم أخاه جبريل، فقال: هؤلاء أكلة الربا.

الصورة الرمزية.. في أنهم يسبحون في بركة من الدم، الدم يفيد وينفع حين يكون ساريًا في شرايينك وأوردتك، ولكنه حين يخرج ويصير شيئًا ثقيلاً يثبط من يسبح فيه، فلم يعد له فائدة، فالذي يسبح في بركة من الدم، ومع ذلك يلقم الحجارة، فكأنه نقل الأوضاع، المفروض أن الدم ينفع في جوفه، لا أن يسبح فيه، ومع ذلك يلقم الحجارة. إذًا، فلم يغنه الدم الذي يسبح فيه عن غذائه الأساسي، بل هو قد استعاض عن الغذاء الأساسي، وهو الدم بأن يلقم الحجارة، وذلك أمر طبيعي؛ لأنه ما معنى المراباة؟ المراباة أن تستغل فرصة عدم معدوم، وفقر فقير؛ لتزيد أنت من مالك، معنى ذلك أنك قد جعلت نفسك كل شيء، وجعلت أنانيتك في الانتفاع هي كل شيء، لماذا؟ لأن الحق سبحانه وتعالى حينما جعل الرض مباحًا لجميع الناس يعملون فيها طاقاتهم

المخلوقة لله، بعقولهم المخلوقة لله، أي أنك تكدح في المادة المخلوقة لله بالفكر الذي خلقه الله، وبالقوة والطاقة التي خلقها الله، فلا أقل من أن تجعل الله مضاربًا معك، بمعنى أن لله رأس المال، ولك العمل، وأنت ليس لك العمل، أنت لك فكر تخطط به من فعل الله، وأرض تحصد فيها من خلق الله، وطاقة وقوة تعمل بها من خلق الله، وبعد ذلك تكتسب شيئًا، لا أقل من أن تتصدق على المعدم الذي لا يجد القوة التي يعمل بها أو الذي لا يجد المجال ليعمل به، أو الذي لا يجد الفكر ليخطط، لا أقل من أن تعطيه شيئًا من مال الله الذي آتاك، فكونك تستغل ضعف المعدم وفقره؛ لتزداد أنت شيئًا من الغنى، هذا هو الظلم الفاحش.

إذًا، فالله ضرب ذلك المثل حتى يبين للناس أنهم بعملهم هذا لن يستفيدوا منه شيئًا، وأنهم سيكدسون دماء لا لتجري في عروقهم، ولكن ليسبحوا فيها، فانظروا من يسبح في دم، ما فائدته منه؟ ومع ذلك في غذائه الحقيقي يلقم الحجارة، هذه صورة الربا التي عرضها الله سبحانه وتعالى.

وبعد ذلك تكلم عن الأعراض، والأعراض هي المادة الشهية الحلوة لكثير من خلق الله، الناس مشغولون باثنين، بالأموال يحبون أن يجمعوها، وبأعراض الناس ليأكلوها، إذًا فالمال والعرض هما موضوع الفساد في الأرض.

الله عرض مسألة الأعراض، ومن العجيب أن الغيبة هي التي تعرض لها الحق سبحانه وتعالى في إراءته لرسوله ﷺ، لقد رأى ثلاث صور، رأى مرة قومًا لهم أظفار من نحاس يخدشون بها وجوههم، فسأل عنهم فقيل: الذين يغتابون الناس ... ورآهم مرة أخرى يأخذون قطعًا من لحومهم فيأكلونها، ورآهم مرة ثالثة يأخذون لحمًا نتنًا من الناس فيأكلونه، فعرضها في ثلاثة

مرائي، هذه المرائي لتضخم فظاعة هذا الجرم، وهو أن يغتاب الإنسان أخاه الإنسان في عرضه. وبعد ذلك كونه ميتة، بمعنى أنه لو كان حيًّا كان يمكنه أن يدافع عن نفسه، ولكن لجبن المغتاب وضعفه جعله كالميت الذي لا يستطيع . أن يدافع عن نفسه.

وبعد ذلك عرض الحق له صورة أخرى، وهي صورة الزنا، تلك الصورة البشعة، عرض الله عليه صورة قوم أمامهم لحم طيب، يتركون هذا اللحم الطيب، ويذهبون إلى لحم خبيث منتن غير نضيج، فسأل عن ذلك، فقال: الرجل تكون عنده المرأة من الحلال، فيتركها، ويذهب إلى المرأة الحرام، أو المرأة يكون عندها الرجل من الحلال، فتزهد عنه، وتذهب إلى الرجل من الحرام.

أيضًا صورة أخرى، وهي صورة الكلم يقولها الإنسان، ونحن نسمع في الدب: " أنا إن لم أتكلم بالكلمة ملكتها، وإن تكلمت بها ملكتني " فحين أتكلم بها لا أقدر على ردها ثانية. فعرض الله هذه الصورة: أن ثورًا عظيمًا قد خرج من جحر، ويريد ذلك الثور أن يدخل ذلك الجحر مرة ثانية فلا يستطيع، فسأل رسول الله جبريل، فقال هذا: " مثل الرجل يقول الكلمة، ثم يحاول أن يرجع فيها، فلا يستطيع ".

وبعد ذلك عرض على رسول الله ﷺ شيء آخر، رجل يحمل حملاً لا يقدر عليه، ومع ذلك يمد يده إلى شيء آخر ليضعه حملاً آخر على نفسه، فسأله عن ذلك، فقال: هؤلاء هم الذين يحملون الأمانات، يعجزون عن أدائها، ومع ذلك يحبون أن يزيدوا على ظهورهم حملاً، وهم لا يقدرون أن يحملوا ما معهم.

كل تلك المرائي التي رآها رسول الله ﷺ أمثلة توضيحية لتبين للمؤمن

كيف يكون جزاء مثل هؤلاء، وكيف تكون آخرتهم؛ حتى يبشع لهم بهذه المناظر هذه الأشياء فيتخلوا عنها ولا يرتكبوها.

ومن المناظر التي رآها، رأى قومًا يرضخون رءوسهم بالحجارة، كلما رضخت عادت كما كانت، لا يفتر عنهم، تضرب رءوسهم بالحجارة فتتحطم، ثم ترد مرة أخرى، ثم ترضخ، فقال: من هؤلاء يا جبريل؟ فقال: هؤلاء هم الذين يتكاسلون عن الصلاة والظاهرة أنهم يضربون الرءوس؛ لأن التثاقل عن الصلاة ليس إلا عملية فكرية، ومعنى عملية فكرية.. أن الإنسان إذا ركز كل طاقاته وكل إمكانياته بحيث يؤديها... سوف يؤديها مهما كانت ظروفه، ومهما كانت شواغله، ومهما كانت الموانع التي تمنعه، ولكن الإنسان يبرر لنفسه ترك أدائها بأسلوب يختاره؛ ضيق الوقت، الحرص على المصلحة، وعدم القدرة، وكل شيء من هذا القبيل، فكأن الفكرة التي توحي للإنسان تنبت في رأسه، فالرأس الذي يستحق هذا الجزاء، ويجب أن يرضخ بالحجارة، وليته يرضخ مرة وينته ويموت، ولكن لا يفتر عنه أخرى، وهكذا فيظل كذلك في عذاب إلى يوم القيامة.

سؤال

أريد أن أسأل في موضوع الصلاة، هو سؤال ربما يتبادر إلى أزهاننا جميعًا، وهو أن الصلاة فرضت في المعراج، وهذه الصورة يراها رسول الله ﷺ قبل أن تفرض الصلاة على أمته، طبعًا التساؤل نفسه يمكن أن يكون مطروحًا بالنسبة لآكل الربا، وآكل مال اليتامى، والصور الأخرى التي تدل على تشريعات اجتماعية في المجتمع الإسلامي لم تكن قد فرضت بعد ذلك في المدينة المنورة بعد الهجرة، لكن سنجتزئ بالمثال الخاص بالصلاة، ونذكر أن كل العبادات، وكل الفروض والأوامر التي نزلت في الإسلام، إنما كانت

بوحي من الله تبارك وتعالى إلى رسول الله ﷺ عن طريق جبريل ، لكن الصلاة بالذات لم تكن عن طريق جبريل، فهي العبادة الوحيدة التي يلفتنا ويلفت انتباهنا أنها تفرض من الله عز وجل مباشرة إلى محمد ﷺ، فهل لهذا دلالة معينة؟

فضيلة الشيخ الشعراوي

أما مسألة المرائي التي أريها رسول الله ﷺ لأمور لم تكن شرعت في الإسلام لأن تشريعًا سيتأخر، فالعلم عند الله في المسائل ليس مترتبًا، بأن يعلم شيئًا يقع أولاً، وبعد ذلك يعلم شيئًا يقع ثانية، وإنما كل الكون بما كان ويكون معلوم لله دفعة واحدة، وكأن الحق سبحانه وتعالى أمده بنهايات هذه الأشياء حتى إذا ما استقبلت تكليفًا، أقبل الناس عليها بشغف وبلهفة وبشوق.. لماذا؟ لأنهم علموا مسبقًا ماذا يكون جزاء من يخالف منهج الله في هذه الأشياء. فالأشياء عند الله ثابتة. ولكن العلم ـ علمنا نحن الذي فيه الترتيب ـ فنعلم تكليفًا، ونعلم جزاء بعد ذلك، ولكن علم الله في التكليف، وعلم الله في الجزاء لا ترتيب فيه أبدًا، بل كل شيء عند الله هو..هو، فإذا كان الله قد عرض لنا صورة لشيء سيكلفنا به فيما بعد، فلأن الواقع في الجزاء عنده هو هذا ولم يتغير ولم يتجدد فيه شيء آخر أبدًا؛ ولذلك يجب أن نطن إلى أن الله حينما يتكلم عن أمر مستقبل يتكلم عنه لا بصفة الاستقبالية، فصفة الاستقبالية يأخذها البشر بزمانهم فقط، أما بالنسبة للحق فلا استقبال ولا حال ولا ماضي؛ ولذلك تجد هذا واضحًا في قول الحق سبحانه وتعالى: ﴿ أَتَىٰٓ أَمۡرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسۡتَعۡجِلُوهُ ﴾ (النحل:١) لو أن هذا الكلام من عند غير الله لقلنا: كيف يقول ﴿ أَتَىٰٓ ﴾ وبعد ذلك يقول: لا تستعجل، وهل تستعجل إلا ما لم يأت؟ لا حين يقول له: ﴿ أَتَىٰٓ ﴾ في أمر لم يأت أو سيأتي، فكأنه آت لا محالة،

فلا زمن عند الله، فكذلك هذه الأشياء وإن كانت ستأتي بعد ذلك. المخالفون سيأتون بعد ذلك، إلا أن الله أعد لهم ذلك الجزاء، وإن كان قبل أن يوجد التكاليف.

أما مسألة الصلاة، فأولاً هنا بحث يجب أن نبحثه، وهو أنهم حدثونا أن رسول الله ﷺ صلى إمامًا بالأنبياء في بيت المقدس قبل أن يعرج، والصلاة فرضت بعد العروج، فنقول لهم: نعم، الصلاة بشكلها الإسلامي النهائي؛ لأن الصلاة موجودة مع كل رسول، وعند أتباع كل رسول؛ ولذلك الحق سبحانه وتعالى حينما يقول لإبراهيم: ﴿ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ (البقرة: ١٢٧) ماذا يقول بعد ذلك؟ يقول: ﴿ وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ ﴾ (الحج:٢٦) إذًا فهناك ركوع، وهناك سجود من يوم أن خلق الله الرسالة، ومن يوم أن خلق الله التكليف، وأيضًا في سورة آل عمران: ﴿ يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ ﴾ (الآية رقم:٤٣) وفي آية أخرى: ﴿ رَّبَّنَا إِنِّي أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُم مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ﴿٣٧﴾ ﴾ (إبراهيم:٣٧).. فكأن الصلاة موجودة، لكن لا كالصلاة الإسلامية، فالصلاة الإسلامية خاصيتها أنها جمعت ميزات كل صلوات الرسل، فصلوات الرسل كانت في بعض الأزمنة غدوة.. وعشية.. ركعتين في أول النهار وركعتين في آخر النهار، شكل خاص في القيام، شكل خاص في الركوع، شكل خاص في السجود، فلما جاءت صلاة الإسلام، أخذت كل ميزات الصلاة، ولم يأخذ رسول من الرسل العدد الذي فرض علي أمة محمد ﷺ بذلك التوزيع الزمني، خمسه أوقات في اليوم والليلة؛ ولذلك نجد أن سيدنا موسي استكثر هذا وسنتكلم عنه فيما

بعد، فالصلاة التي فرضت.. هي الصلاة الجامعة لكل مزايا الصلوات المتقدمة عند الرسل السابقين، وخاصة أنه لم توجد صلاة عندهم اسمها العشاء التي جاءت فقط لرسول الله صلي الله عليه وسلم.

بعد ذلك نقول: إنِ التكليفات التي يكلف الله بها عباده بواسطة الرسل،تكليفات لتنظيم حركه حياتهم من ناحية مجتمعهم ومن ناحية سياستهم واقتصادهم وأخلاقهم، والإقبال علي هذا المنتج لابد أن يكون بدافع أن الله هو لذي أمر به، لماذا؟ لأن البشر لهم في هذه الأمور تشريعات اجتماعية وخلقية، فما الذي يجعلني أرغب عن تشريعات البشر إلي تشريعات الحق؟ لأنني آمنت بأن الحق هو الذي بعبد وحده، ويجب أن أتلقي تكاليفي منه، فالرب الذي أيماني به هذا يطلب مني أن استحضره كل يوم لأظل دائمًا في ربانية العزة، وأظل في عبودية لهذه الربانية. فالصلاة هي الشحنة التي تشحن المؤمن ليقبل علي أوامر ربه بجد وباجتهاد، ولأن هذه الشحنة هي الأساس الذي سيحرك هذا الإنسان، كانت الصلاة بالنسبة للفرضية تختلف عن كل الأحكام بأن فرضت من الله مباشرة، وقلنا: إن الرئيس حينما يكتب إلي مرءوسيه كتابًا فيكون أمرًا عاديًا، فإذا كان الأمر أهم استدعاه عنده، وقال له:افعل كذا و كذا و كذا فهو لم يستدعيه إلا لأن هذا أمر بالغ الأهمية، وأيضًا، لأن الرسول ﷺ جعل المعراج له تكريمًا لقربه من حضره ربه، وما دام تكريمًا لقربه من حضره ربه، ومحمد ﷺ مبعوث من الله رحمة للعالمين جميعًا، وحرصه علي أمته حرص شديد، ولم يشأ الله في مقام قربه منه إلا أن يرده بما يقرب المؤمن برسول الله من الله، فكانت الصلاة هديه القرب للقرب.

المعراج كان تكريمًا لرسول الله؛ لأنه كان قربًا من الله سبحانه وتعالي.. ولم يؤثر رسول الله صلي الله عليه وسلم وحده بالتكريم، لأنه يحب أمته.. فلا

بد إذن أن يرجعه الله بتحفه وهدية إلي من يؤمن به لتكون وسيلة إلي القربي أيضًا؛ ولذلك يقول الحق: ﴿كَلَّا لَا تُطِعْهُ وَٱسْجُدْ وَٱقْتَرِب ۩ ﴿١٩﴾﴾ (العلق).. فكأن السجود الذي هو أظهر مظاهر الخضوع وهو الذي يقرب الإنسان إلي الله القرب الذي اقتربه رسول الله من ربه، فكأن الله سبحانه وتعالي حَيَّا محمدًا ﷺ حين قربه منه في الملأ الأعلى بأن حمله هدية، وحمله تحفة يحملها إلي المؤمن به، لتكون لهم حظًّا في القرب من الله، كما كان لرسوله حظه في القرب منه.

كذلك لأن الصلاة المفروضة من الحق سبحانه وتعالي ـ كما قلنا ـ ليس لها عمل إلا أن تقربك من الحضرة. ولتوضيح معني تقربك من الحضرة.. قلنا: إن الإنسان صناعة الله، فالله هو صانعه، وصنعه تقف أمام مهندسها الذي صنعها، كل يوم خمس مرات، فلا بد أن تكون علي أو في شيء من الضبط، وقد قلنا: إن المهندس من البشر يصلح الآلة بشيء مادي يصنعه فيها، ولكن الحق لأنه غيب يصلح عبده الذي يقف بين يديه في لحظة القرب هذه بأمر غيبي أيضًا، وليس بعملية مادية، فخرج من مقام ربك وأنت تري كيف ارتحت.. كيف تبددت همومك.. كيف قويت طاقه إيمانك.. إذًا فالصلاة هي التي تعلم الإنسان كي يقبل علي التكاليف وإذا كان الإسلام قد بُنيَ على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله، وأقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحج البيت لمن استطاع إليه سبيلاً، نأتي ونرى هذه الأركان.... قد لا توجد الأركان إلا في بعض الناس، صحيح هي أركان الإسلام، ولكن ليست أركان المسلم؛ لأن المسلم قد يكون فقيرًا لا يزكى، فيسقط عنه فرض الزكاة، والمسلم قد يكون مريضًا أو مسافرًا فلا يصوم، فيسقط عنه فرض الصوم، وقد لا يستطيع الحج فيسقط عنه فرض الحج.

إذًا فهي أركان الإسلام، وليست أركان المسلم؛ لأن المسلم قد يكتفي منه بأن يشهد ألا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، وأن يقيم الصلاة وعلى هذا فالركن الأساسي الذي لا ينفك عن الإنسان أبدًا هو الصلاة، حيث لا تنفك الصلاة عن المسلم أبدًا، حتى وهو في الحرب أو هو مريض لا يستطيع أن يجلس؛ إذ قيل: أنه يجب عليه أن يؤدي الصلاة حتى ولو بقلبه، إذًا فلا عذر لها في السقوط أبدًا.

أنت مطلوب منك أن تشهد ألا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله مرة في حياتك، وبعد ذلك قد لا يستطيع الزكاة فلا تزكي، وقد لا تستطيع الصوم فلا تصوم، وقد تكون غير مستطيع للحج فلا تحج، فما الذي بقى لك الصلاة وهي الركن المكرر، وهذا هو معنى الحديث الشريف: "الصلاة عما الدين".

وإذا نظرت إلى الصلاة وجدتها مع كونها لا تسقط فيها كل أركان الإسلام؛ لأنك لابد في الصلاة أن تشهد ألا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله... فالركن الأول مكرر فيها.

وأيضًا إيتاء الزكاة، ما هي الزكاة؟ الزكاة هي شيء من مالك تخرجه للمحتاج، أي أن تضحى بشيء من مالك، والمال في عرف الإسلام فرع الوقت؛ لأن العمل يحتاج إلى وقت، فكأنك ضحيت ببعض مالك الناتج من عملك الناتج من استغلال وقتك، والصلاة لا تأخذ من المال، ولكن تأخذ من الوقت الذي يعمل فيه العمل الذي يأتي بالمال، فكأن الزكاة أخذت شيئًا من المال الناتج عن العمل... والعمل ناتج عن الوقت، والصلاة أخذت من الوقت نفسه... من الأساس الأصيل، فحينما يأخذ المسلم من الأربعة والعشرين الساعة... ساعة للصلاة، يكون قد اقتطع جزءًا من الوقت وجعله للصلاة، كما يقتطع جزءًا من المال، إذًا فالزكاة اقتطاع جزء من المال، والمال

ناشئ عن العمل، والعمل يحتاج إلى وقت، فالصلاة تقتطع من الوقت الأساسي، ففيها زكاة أهم من المال.

والذي يمنع الناس عن كثير من الصلوات هو أنهم يقولون: إنها تحتاج إلى وقت، فهي تعطلنا عن مصالحنا.. ونقول لهم: كما لم يُسم الله نقصان المال من الزكاة نقصانًا، ولكن سماه زكاة ونماء ـ فيجب أن تستقبل أيضًا الوقت الضائع عندك في الصلاة الذي تقول عليه ضائعًا، استقبالك الناقص الذي يخرج من مالك، فهو ينميه ويزيده ولا ينقصه، فكذلك الوقت إذا ضحيت منه ببعضه، وجعلته لله، وشحنت الشخصية، فإن البركة في بقية الوقت ستعوضك كل ما فات، كما أن الزكاة نماء، والربا محق.

أيضًا في الصلاة صوم؛ إذ ما هو الصوم؟ الصوم هو الإمساك عن شهوتي البطن والفرج نهار رمضان، لكن أنا في الصلاة أمسك عن شهوتي البطن والفرج وعن الحركة وعن الكلام وعن كل شيء، ففيها لون من الصيام متعلقاته في المنع أوسع من متعلقات الصيام.

وفيها أيضًا حج البيت من استطاع إليه سبيلا، لأنك تستحضر وأنت تصلي بيت الله، فتتجه إليه وتتحراه.

ولما كانت الصلاة هي الركن الوحيد الذي لا يسقط عن المسلم جاءت فيها كل الأركان من شهادة: ألا إله إلا الله ومن الزكاة بشيء أكثر إخراج من المال؛ الوقت الذي يأتي بالمال، ومن صوم صمته فوق ما تصوم في رمضان، واستحضار لبيت الله في كل وقت من الأوقات، فكأنك حججت بقلبك، وإن عجزت عن أن تحج بنفسك.

سؤال

ماذا عن دور سيدنا موسى في النصح بمراجعة الله للتخفيف عن المسلمين وإنقاص الصلاة؟

فضيلة الشيخ الشعراوي:

هنا نريد أن ندخل في موضوع، هذا الموضوع هو فرضية الصلاة... فرضية الصلاة كانت بالمباشرة ـ كما قلنا ـ لأهميتها، الرواية التي قالت لنا: إن الله قد فرض خمسين صلاة، وبعد ذلك ذهب رسول الله ﷺ على موسى، فقال له: ارجع إلى ربك فاسأله التخفيف، وتكرر ذلك حتى صارت خمسة، هنا كلام أحب أن يلتفت المسلمون إليه جيدًا، وهو أن كراهيتنا لليهود يجب ألا تنسحب إلى موسى، يجب أن يفهم هذا الكلام جيدًا، فلا يدخل في نفوسنا شيء على موسى رسول الله، وموسى من أولي العزم، وكونه يطلب من رسول الله أن يرجع إلى ربه فيسأله التخفيف، هل في ذلك وصاية؟ وما نوع الوصاية؟ الوصاية تكون من الإنسان الذي يأتي ليفرض عليَّ أمرًا أكثر، أما النصيحة التي تأتي للتخفيف هل توصف بأنها وصاية؟ إنه يريد أن يخفف عني أمورًا يعلم هو أنني لا أطيقها.

سؤال:

إذا سمحت لي، إن الرواية التي ذكرت: " فإن أمتك لا تطيق " فكأنه يريد أن يقلل من شأن الأمة الإسلامية واحتمالها، نحن نناقش ذلك خاصة وهناك رواية أخرى تقول: " فإن أمتك ضعاف لا يطيقون " أو بهذا المعنى؟

فضيلة الشيخ الشعراوي:

هذا ما يقال، لكن حينما يقول له موسى: أنا جربت الأمم قبلك، لم يكن

الله قد فرض على قوم موسى إلا صلاتين، صلاة بالعشي، وصلاة بالغداء، ومع ذلك ما قاموا بها، فموسى حينما يرى أمة كان معها، ومع ذلك لم يقوموا بوقتين من الأوقات، ويقول لرسول ما قاله، فهذا دليل على أنه يحب رسول الله ﷺ، ويحب أمة رسول الله؛ ولذلك يريد ألا يعرضها لما تعرضت له أمته من أنها لم تستطع، فهذه ليست شهادة بأننا ضعفاء، وإنما هو يفترض أننا قد لا نقوى على هذا، لماذا؟ لأنه جرب الأمم فلم تقوَ، ومعنى جرب الأمم أي جرب قومه، فهذه شهادة ضد أمته، وليست ضدنا نحن؛ لأن معنى ذلك أنه عرف أن أمته لم تستطع ولم تقدر، فسحب الحكم علينا، ما الذي جعله يسحبه علينا؟ بما فعلته أمته، فهذا أمر ضدهم، وليس ضدنا نحن.

ثم نأتي إلى السؤال عن كثرة أنبياء بني إسرائيل الذين قابلهم سيدنا رسول الله ﷺ، نقول: إن الأنبياء كما سبق أن قلنا إنما جاءوا لحمل منهج الله إلى خلق الله، وليعالجوا أمراض البشر، فهم الأطباء الإلهيون الذين أرسلهم الله ليعالجوا البشرية من عللها، فإذا ما كثر على أمة أطباء، فاعلم أن أدواءها كثيرة، فما دام أنبياء إسرائيل كانوا كثيرين فمعناه أن بلاءهم كان كثيرًا، وأن نبيًّا واحدًا لم يكفهم، فكان كل وقت يأتيهم نبي، وهذا دليل على استفحال الأدواء فيهم، وأن نبيًّا واحدًا لم يكفهم، فكان كل وقت يأتيهم نبي، وهذا دليل على استفحال الأدواء فيهم، وأن نبيًّا واحدًا لم يكن ليكفهم؛ ولذلك لا يؤخذ كون اليهود أكثر أنبياء على أنهم أحسن الأمم وأعظمها، ونكرر قولنا: إن الأنبياء أطباء، وكثرتهم عندكم تدل على أن أمراضكم أمراض كثيرة معضلة، وإن طبيبًا واحدًا لا يكفي، فتعددت الأنبياء ومع ذلك كان ما كان منكم.

يأتي هنا سؤال، وهو إذا كان الله قد أرادها خمسة، فلماذا فرضها خمسين أولاً؟ وأقول: إن التكليفات من الله ليست لحاجة الله إلى فعلنا، وإنما هي

لصالحنا نحن، فالأساس الأصيل أن التكليفات لا ينتفع الله بها، وإنما هي لصالحنا نحن، فحين يكلفنا الله تكليفًا فإنه يكون لصالحنا، ويعطينا جزاءً نظير هذا التكليف.

حين فرض الله خمسين، وصيرها إلى خمس، أنقص ما يريد إعطاءه من الثواب أم ظل الثواب خمسين؟ لقد ظل الثواب خمسين، فالعطاء غير متناسب مع العمل، فتقرير العطاء من الله خمسين.. ظل العطاء كما هو. وبعد ذلك خففت الوسيلة لا العطاء، فبعد أن كانت خمسين صارت خمسة، ولكن الثواب ظل كما هو.

وكثير من الناس يقولون: كيف ينسخ الله الحكم قبل أن نمكن من الفعل؟ فيكون ردنا عليهم: أن الناس يفهمون أن مراد التكليف من الله إنما هو فعل الشيء المكلف به، بمعنى أن المراد من تكليف من الله لخلقه أمران: **الأمر الأول:** الإيمان بالتكليف وعدم رده. **والأمر الثاني:** فعله، فإذا قبلت الأول فقد أخذت شقًّا من الأمر بالتكليف، وبعد ذلك الشق الآخر وهو الفعل.

وأنا أريد أن أوضح هذه النقطة، فأقول مثلاً: إبليس عصى ربه، وآدم عصى ربه، لماذا طرد إبليس من رحمة الله؟ ولماذا تلقى آدم كلمات فتاب عليه؟ نأتي وننظر إلى معصية كل منهما، فإبليس عصى الله في أنه رد الأمر التكليفي على الله، فقال له: ﴿ **ءَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا** ﴾ (الإسراء:٦١) فأنا لا يعجبني هذا التكليف، أنا خير منه، إذًا رد التكليف على من؟ على الله، لكن آدم لم يرد التكليف على الله، بل اتهم نفسه، وقال: ﴿ **رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ** ﴾ (الأعراف:٢٣) فحين كلف الله رسوله التكليف خمسين قبلها رسول الله، وانصاع لأمر التكليف، ولم يعارض فيه، وبعد ذلك رجع، فيكون قبوله ﷺ كأنه أعطى شيئًا من المطلوب

من التكليف، وهو قبوله الأمر المكلف به، وبعد ذلك فعله شيء آخر، فالذي نسخ لا قبول التكليف، ولكن الذي نسخ فعل الخمسين، حيث صارت إلى خمس، فيكون الله قد كلف بشيء وقبل أن يمكّن منه نَسَخَهُ، فنقول: إنه مكّن من واحدة، ولم يمكّن من الثانية، مكن من ماذا؟ من أنه قبل أمر التكليف.

ومثل آخر.. الله سبحانه وتعالى أراد من إبراهيم عليه السلام أن يذبح ولده وبرؤية منامية، ماذا كان إبراهيم؟ ﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعْىَ قَالَ يَـٰبُنَىَّ إِنِّىٓ أَرَىٰ فِى ٱلْمَنَامِ أَنِّىٓ أَذْبَحُكَ فَٱنظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ۚ قَالَ يَـٰٓأَبَتِ ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ۖ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّـٰبِرِينَ ﴿١٠٢﴾ فَلَمَّآ أَسْلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلْجَبِينِ ﴿١٠٣﴾ وَنَـٰدَيْنَـٰهُ أَن يَـٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴿١٠٤﴾ قَدْ صَدَّقْتَ ٱلرُّءْيَآ ۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٠٥﴾﴾ (الصافات)..تقبلت الأمر بإيمان ويقين وأقبلت أنت وولدك لتفعله، فتكون قد انتهت المسألة، فهذا هو المراد من إبراهيم، فكأن الأمر التكليفي يطلب منه شيئان: الشيء الأول: أن نؤمن به: وأن يتلقى بالقبول وعدم الرفض والرد. وبعد ذلك فعله؛ ولذلك إذا جاء واحد لم يصل، ونقول له: أنت لم تصل فهل أنت منكر للصلاة أم كسلان؟ فإن كان منكرًا نقول له كفرت.. لماذا؟ لأنه رد الأمر في الأول وإن كان متكاسلاً فنقول له: يجب أن تصلي فأنت عاصٍ فقط.

والذي يريد أن يحلل الربا ـ وهذا خطأ ـ فإن قال: إن الربا حرام ولكنني مضطر إليه فإنه قد قبل الحكم من الله، لكن نفسه ضعفت فلم ينفذه، فهذا مؤمن عاص، ولكن الذي يحلل الربا أو يحلل بعض صوره، قد دخل في منطقة الكفر، لماذا؟ لأنه لم يقبل الحكم من الله ورده.

سؤال:

هناك سؤال يمكن أن يرد إلى الذهن، وهو كيف التقي رسول الله ﷺ بالأنبياء، وهو حي وهم موتي.

أريد أن أقول شيئًا: أن القرآن فيه آيات، هذه الآيات لو وقف الإنسان عندها بإمعان، تعطي له الأصل الذي يعتمد عليه في إيمانه بالرحلة، وما حدث فيها، مثلاً كونه يلتقي بالأنبياء ويصلي بهم، مع أنه حي بقانون الأحياء، وهم موتي بقانون الأموات، فكيف التقي الحي بقانون الأحياء مع الموتى بقانون الأموات وعملوا عملاً واحدًا؟ نقول: إن الإنسان منا بروحه حين تتصل به، تتصل اتصالات مختلفة، تتصل به وهو حي، ولكن تنقسم قسمين: تتصل به حال اليقظة ولها قانون، وتتصل به حال النوم ولها قانون، واليقظة والنوم هما آيتان يتعرض لهما الأحياء، دعنا من الأمر الغيبي الذي في البرزخ أو ما بعد البعث، فنحن نتكلم على المسألة الداخلة في نطاقنا نحن، فأنا لي حالتان وأنا حي، حاله يقظة، وحاله نوم، فللروح اتصال بالجسم في حالة اليقظة ولها قانونها المعروف، وللروح اتصال بالجسم في حالة المنام، ولها قانونها المعروف، فإذا ما جئت لقانون الروح مع الجسم في حالة المنام، هل هو قانون الروح مع الجسم في حال اليقظة؟..لا.. ليس هو.. لماذا؟ قيل: لأنني أرى في المنام أن فلانًا يرتدي ملابس حمراء وآخر يرتدي ملابس خضراء، فأنا أرى الألوان بغير آلة مع أن عيني مغمضة وأنا نائم.

إذًا، فهناك وسيلة من وسائل الإدراك غير التي عندي، ووسائل من وسائل الإحساس بالأشياء غير الحواس الخاصة بي، فبمجرد خلود مادتي للنوم، ابتدأت للروح اشراقاتها، وتجلياتها مع الجسم، تعطي له معاني جميلة، وبعد ذلك الزمن ليس له سيطرة، المرائي ليست لها سيطرة ولكن لها قانون

خاص.. ترى مثلاً أنك نائم، ومعك إخوتك تمرحون وتضحكون وتأكلون الطعام، ويرى واحد آخر نائم معك على السرير أنه مع قوم يضربونه وأنت لا تشعر به، وهو لا يشعر بك، فأنت في عالمك، وهو في عالمه.

لو جئت وطبقت هذا القانون في ماديات اليقظة، فلا يتحقق أبدًا، فاليقظة لها قانون، وللنوم قانون، وقانون الروح في النوم أخف وأشف وأقوى من قانون الروح في اليقظة، فإذا كان مع بقاء الحياة، فما بالك لو أن هذه المادة كلها فنيت وانتهت، ماذا يكون القانون الذي يأتي بعد ذلك، ألا يكون أكثر كثافة وأشف من قانون النوم؟ لابد أن يكون أشف من قانون النوم، وتكون فيه المرائي، وفيه الصور، وفيه الالتقاءات، لكن من الذي يستطيع أن يجرد نفسه من ماديته لتفرق فيه روحانيته حتى يلتقي بمثل هؤلاء، هذا ما فعله الله سبحانه وتعالى مع رسوله ﷺ، العملية التي أكثر من النوم هذه.. أنه جرده من بشريته، فجعل الأشياء التي لم يرها وهو يقظ.. يراها وهو موجود؛ ولذلك أخذ رسول الله ﷺ المرحلتين، كان لا يرى رؤية إلا وجاءت كفلق الصبح، فمجرد خروج المادة في رسول الله جعله يرى ناصعة، فما بالك إذا كان الله قد أحدث فيه تغييرًا كما قلنا في الحلقة السابقة، فهل يرى أم لا يرى؟ وبقانون أشف من قانون النوم أم غير أشف من قانون النوم؟ بطبيعة الحال سيكون أشف من النوم وإذا كان ذلك هو القانون البرزخي، فما بالك بقانون اتصال الروح بالجسم في الأخوة.. سيكون لها نظام آخر.

إذًا، يجب أن نلاحظ.. أن للروح اتصالا بالجسم في حيز اليقظة، وبعد ذلك للروح اتصال بالجسم في حالة النوم، وقانونها أشف وأقوى من قانون اليقظة، وللروح اتصال بالجسم بعد البعث، وأرقاها كلها اتصال الروح بالجسم بعد البعث.. ذلك هو الاتصال العلوي. الاتصال النهائي؛ ولذلك

ستكون شيئًا آخر نهائيًا، نأكل ولا تخرج منا فضلات، ولا نشيب، حياه أخرى.

إذن فيجب أن تلاحظ أن كل حالة في اتصال الروح بالجسم لها قانونها.. قانونها مع اليقظة شيء، ومع النوم شيء، ومع الموت شيء، وبعد البعث شيء آخر.

سؤال:

هل توجد صلة بين هذا وقول الله: ﴿لَّقَدْ كُنتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَآءَكَ فَبَصَرُكَ ٱلْيَوْمَ حَدِيدٌ ﴿٢٢﴾﴾ (ق).

فضيلة الشيخ الشعراوى:

نعم، حينما تخرج بشرية الإنسان في ساعة الغرغرة: ﴿فَلَوْلَآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلْحُلْقُومَ ﴿٨٣﴾ وَأَنتُمْ حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ ﴿٨٤﴾﴾ (الواقعة:٨٣،٨٤) يقول الله: ﴿لَّقَدْ كُنتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَآءَكَ فَبَصَرُكَ ٱلْيَوْمَ حَدِيدٌ ﴿٢٢﴾﴾ (ق).. مجرد خروج بشريته ساعة الغرغرة فيرى الأشياء التي لم يكن يراها أبدًا مع أنه لا يزال حيًّا ولا زالت الروح فيه.

سؤال:

أنا عندي سؤال أخير وهو امتداد لحدث الإسراء والمعراج على الأرض متمثلاً في موقف أبي بكر الصديق ﷺ، وما كان من أمر المجتمع من دهشته التي أشرنا إليها، وتكذيب الناس للرسول ﷺ، بل ربما ارتداد بعض ضعاف الإيمان، بينما كانت الصورة في موقف أبي بكر كما نعرف.. التصديق بالشكل الرائع الذي نعرفه كلنا: "لئن كان قال، لقد صدق، فو الله إني لأصدقه في أبعد من ذلك، أصدقه في خبر السماء".. هذا يعطينا صورة عن نوع من

الإيمان الصديقي، وأنا بأستعير هذه التسمية منكم إذا أذنتم ـ نحب لو تفضلتم بوقفة بين يدي هذا المعنى.

فضيلة الشيخ الشعراوي:

هنا موضوع يجب على كل مؤمن أن يجعله قمة اعتقاده، أولاً: العقل حر في أن يقبل على الإيمان بالله أو لا يقبل، (لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ)، لماذا؟ لأن المسألة أن الله لا يريد أن يكره إنسانًا على دينه؛ لأنه لو أراد الله الإكراه على الدين، لما قال: ﴿ أَفَأَنتَ تُكْرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُواْ مُؤْمِنِينَ ﴾ (يونس:٩٩). ﴿ إِن نَّشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ءَايَةً فَظَلَّتْ أَعْنَٰقُهُمْ لَهَا خَٰضِعِينَ ﴾ (الشعراء:٤) وكما قلنا: الله لا يريد أعناقًا وقوالب، الله يريد أرواحًا، ويريد قلوبًا إذًا فلا إكراه في الدين، بمعنى أن تدخل على الإيمان بالله بحريتك؛ فقد تدخل، وقد لا تدخل، هذا أمر متروك لك، لكن إذا دخلت بعقلك على الإيمان بالله فالتزم. ومعنى الالتزام أن كل أمر يصدر لك من الله لا تناقشه بعقلك بعد ذلك، لماذا؟ قيل لأن القمة وهي الإيمان بالله نوقشت بالعقل، وأن هنالك إلهًا وصفاته كذا وكذا وكذا، فأنت حر في أن تدخل على هذه القمة كما تحب، أو لا تدخل، لكن إذا ما دخلت واقتنعت عقليًا بأن هناك إلهًا وله وصفات كذا وكذا وكذا، فالتزم؛ ولذلك حينما يكلف الله عباده يقول: (يأيها الذين آمنوا) بمعنى يا من آمنتم بي أنا أطلب منكم كذا وكذا وكذا.. لا يطالب بتكليف من لا يؤمن به؛ لأن هذا الأخير لن يسمع كلامه.

إذًا، فحيثية كل تكليف هو الإيمان بالمكلف، فما دام عقلي اقتنع بأن هناك إلهًا، فأقول له: يا عقل كل عملك في التكليف أن توثق التكليف إلى الله، هل قال الله هذا أم لم يقله؟ وبعد ما يثبت أن الله قاله، لا تطرح الموضوع على عقلك مره ثانية: وإلا ستكون راجعت إيمان القمة، فأنت آمنت بأن هناك إلهًا،

ثم قال لك تكليفًا، فتقول: هل قال الله ذلك أو لم يقله؟ نقول لـك إن الله قـال، وما دام الله قاله فلابد أن تأخذه.

إذًا، فهناك فرق بين أن تؤمن بـالأمر وبـين أن تفعلـه، فالإيمـان بـالأمر يختلف فيه الناس، المجوسي والوثني واليهودي والمسيحي.

وكنت أضرب مثلا بأنني قلت: إنه حينما يأتي إليَّ الـشخص ويقـول لي: اذهب الآن إلى الإسكندرية لتقابل فلانًا، فيكون ردي عليـه أن صـحتي معتلـة ولا أستطيع، فيقـول لي: إن لم تـذهب إليـه اليـوم فسيـسافر غـدًا عـلى البـاخرة وتفوت المصلحة التي كلمتني فيها، فـأقرر أن أذهـب إلى الإسـكندرية، فهـل ذهابي إلى الإسكندرية كان اقتناعًا بأمر الآمر أم بالأمر في ذاته؟ بالأمر في ذاتـه، لأن أمر الآمر لا مكان له، لكن لو أمرت شخصًا آخر بالسفر وقـال لـك: عـلى العين والرأس وسافر وقضى الطلب بدون أن يناقشك في الأمر، فـالأول آمـن بالأمر واقتنع به عقليًّا، والثاني آمن بالآمر وإن لم يقتنع بالأمر العقلي.

وهنا في مسألة سيدنا أبي بكر لما حدثوه بأن صـاحبه يقـول كـذا وكـذا وكذا، قال أول الأمر: " أنتم تكذبون عليه ".. فكأن أبا بكر ﷺ قبل الموضـوع في ذاته، وبعد ذلك قال: هذا كذب، فهم أخذوها فرصة وقالوا لـه: "وإذا كـان يحدث بذلك؟ " فعلم أنه قال، فقال: " إن كان قال فقد صدق ".. إذًا فمناقشة أبي بكر الصديق ليست للأمر في ذاته، وإنما هل قاله رسـول الله ﷺ أو لم يقلـه، فما دام قاله فلابد أن يكون صدق، وقف فيه عقلي أو لم يقف، تفتح ذهني له أو لم يتفتح، اهتديت إلى حكمته أم لم أهتد، ذلك هو مطلوب المـؤمن في أن يوثـق الأمر في الصدور عن الله أو عن رسول الله ﷺ.

الحكمة من الإسراء والمعراج

سُئل الشيخ الإمام الأكبر الدكتور عبد الحليم محمود - شيخ الأزهر- رحمه الله - عن الحكمة من الإسراء والمعراج؟

فأجاب بقوله:

إنها ليست حكمة واحدة، وإنما هى عدة حكم، منها:

أنه تكريماً للرسول - صلى الله عليه وآله وسلم - في وقت استحكم فيه الجهاد بين قوى الخير ممثلة في الرسول - صلى الله عليه وآله وسلم - وأتباعه، وقوى الشر ممثلة في المشركين يتزعمهم أبو جهل، وكانت قوى الشر في عنفوانها على قوى الخير، فجاءت معجزة الإسراء والمعراج مبينة مكانة الرسول - صلى الله عليه وآله وسلم - وأظهرت أن مقامه- صلوات الله وسلامه عليه - قاب قوسين أو أدنى في القرب من الله سبحانه وتعالى.

ومن حكم معجزة الإسراء والمعراج أنها كانت تصفية لضعاف النفوس والشاكِّين والمترددين، لقد كانت نفياً لهم عن الجماعة الإسلامية الناشئة؛ إذ أنهم لو مكثوا فيها لكانوا ضرراً عليها.

ومن الحكم بيان أن القيادة في بيت المقدس يجب أن تكون للمسلمين، وهذا هو المعنى الذي يؤخذ من إمامة رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - للأنبياء والرسل، فالإمامة في بيت المقدس والكلمة الأولى والقيادة يجب أن تكون للمسلمين دون غيرهم، فإذا قصروا فيها فهم آثمون أفرادًا، وهم آثمون جماعات، وهم آثمون دولاً وحكومات.

ومن هذا الحكم ما نبهت عليه المشاهدة الأولى في مرحلة الإسراء المباركة، فقد كان أول ما شاهد رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - فيها

مشهد هؤلاء الذين يزرعون ويحصدون في يوم، ولما سأل عنهم قيل: إنهم المجاهدون في سبيل الله تضاعف لهم الحسنات إلى سبعمائة ضعف، وما أنفقوا من شيء فهو يخلفه وهو خير الرازقين، والجهاد هو الوسيلة للوصول إلى القيادة في بيت المقدس، يا أيها المسلمون في مشارق الأرض ومغاربها: إن روح سيدنا عمر، وروح صلاح الدين من وراء الأجيال تناديكم لإنقاذ بيت المقدس، مرددة قوله -تعالى-: ﴿ ٱنفِرُواْ خِفَافًا وَثِقَالاً وَجَٰهِدُواْ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾ ﴾ (التوبة).

الإسراء كان بالروح والجسد

﴿ وَٱلنَّجۡمِ إِذَا هَوَىٰ ﴿١﴾ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمۡ وَمَا غَوَىٰ ﴿٢﴾ وَمَا
يَنطِقُ عَنِ ٱلۡهَوَىٰٓ ﴿٣﴾ إِنۡ هُوَ إِلَّا وَحۡيٞ يُوحَىٰ ﴿٤﴾ عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلۡقُوَىٰ ﴿٥﴾
ذُو مِرَّةٖ فَٱسۡتَوَىٰ ﴿٦﴾ وَهُوَ بِٱلۡأُفُقِ ٱلۡأَعۡلَىٰ ﴿٧﴾ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ﴿٨﴾ فَكَانَ
قَابَ قَوۡسَيۡنِ أَوۡ أَدۡنَىٰ ﴿٩﴾ فَأَوۡحَىٰٓ إِلَىٰ عَبۡدِهِۦ مَآ أَوۡحَىٰ ﴿١٠﴾ مَا كَذَبَ ٱلۡفُؤَادُ
مَا رَأَىٰٓ ﴿١١﴾ أَفَتُمَٰرُونَهُۥ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ ﴿١٢﴾ وَلَقَدۡ رَءَاهُ نَزۡلَةً أُخۡرَىٰ ﴿١٣﴾
عِندَ سِدۡرَةِ ٱلۡمُنتَهَىٰ ﴿١٤﴾ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلۡمَأۡوَىٰٓ ﴿١٥﴾ إِذۡ يَغۡشَى ٱلسِّدۡرَةَ مَا
يَغۡشَىٰ ﴿١٦﴾ مَا زَاغَ ٱلۡبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ﴿١٧﴾ لَقَدۡ رَأَىٰ مِنۡ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلۡكُبۡرَىٰٓ
﴿١٨﴾ ﴾

أبتلى المسلمون في هذا القرن بمرض ممالئة الكفار، ومحاولة التوفيق بين الفكر الإسلامى وبين أفكار الكفر، بحجة أنّهم يريدون أن يحببوا الناس بالإسلام، وهؤلاء المضبوعون بثقافة الغرب الكافر وحضارته، قد وصلت شطحات بعضهم إلى حد مخالفة ومعارضة النص الشرعى، ووصل إجرام العملاء منهم إلى حد تأويل آيات القرآن الكريم، وذلك بتفسيرها لغير ما ترمى إليه، وبلغت الوقاحة والصفاقة بأرذلهم إلى حد تكذيب النص الشرعى والعياذ بالله. فقد فسّر "الشيخ محمد عبده" آيات كثيرة من القرآن الكريم بتأويلها على هواه، من مثل تأويله لسورة الفيل، وأحل "الشيخ شلتوت" الربا المحرم بصريح النص –عن قصد وسابق إصرار– وتابعه حديثاً "الشيخ يوسف القرضاوي" مستحدثاً ما يخالف أصول الدين وهو ما سماه (الفقه التيسري - التوفيقى) فأحلّ ما حرمه الله من الربا وغيره مجترأ على شرع الله وهو يعلم، ودعا قاسم أمين إلى " تحرير المرأة – من دينها وأخلاقها " بالدعوة إلى إباحة السفور والمجون، وحاول الشيخ الأزهري " علي عبد

الرازق " التطاول على النص الشرعي بنفيه وجود حكم الخلافة الإسلامية ونظام الحكم في الإسلام. وتطاول بكل صفاقة وإجرام أعمى القلب والبصيرة " طه حسين " على القرآن الكريم مكذباً إياه ونافياً ما ورد فيه من أخبار وقصص رسل الله إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام ورفعهما قواعد البيت العتيق،(وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ) كما شطح الدكتور محمد حسين هيكل، متأثراً بالواقع الذي عاشه قبل تأليفه " حياة محمد " و "في منزل الوحي " فحاول التوفيق بين واقعة الإسراء وبين العلم الحديث، مُدَّعِياً أنّ الإسراء كان بالروح فقط دون الجسد، أي رؤيا مناميّة. فقد جاء في كتابه " حياة محمد " صفحة (١٩٥) ما نصه: (.... والعلم في عصرنا الحديث يقر هذا الإسراء بالروح، ويقر المعراج بالروح، فحيث تتقابل القوى السّليمة يُشع ضياء الحقيقة......... فإذا بلغ روح من القوة والسلطان ما بلغت نفس محمد فأسرى الله به ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى ليريه من آياته، كان ذلك مما يقر العلم.) أي أنّ الميزان عنده هو العلم وليس قدرة الله تعالى، فجرّد المعجزة الإلهية من محتواها، حين أخضع الحادثة للعلم.

والحقيقة التى لا يمكن أن يُماري فيها عاقل أنّ الإسراء والمعراج كان كلاهما بالروح والجسد، وأنهما قد حدثتا فعلاً، فليستا رؤيا منامية، بل رؤيا العين عن يقين، وذلك واضح بصريح النص القطعى الدلالة الذي لا يحتمل التأويل: (سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً) فالله تعالى يؤكد حادثة الإسراء بقوله (أسرى بعبده) فعبده تشمل الروح والجسد كلاهما قطعًا ولا بد، وواضح أيضاً في قوله (مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى أَفَتُمارونَهُ على ما يرى)،هذا في صريح القرآن، أمّا في السُّنة الشريفة فقد جاء في رواية الإمام أحمد (فأسري بى حتى أتيت بيت المقدس) ولما روي عن ابن عباس (هي رؤيا عين) وفي

ذلك يرد الشيخ محمد متولي الشعراوي قائلاً: (لـو لم يقـف كفـار قـريش مـن رسول الله ﷺ موقفهم هذا ليقولوا له:- " أتـدعى أنّـك أتيتهـا في ليلـة واحـدة ونحن نضرب إليها أكباد الإبل شهراً؟ " !!!! ربّما قال قائلٌ " لقد ظنـوه منامـاً "، والمنام لا يُمارى فيه، فإذا رأيت إني ذهبت إلى لندن هذه الليلة فلا يناقـشنى أحد أنّ المسألة رؤية. فإذاً موقفهم هذا الذي وقفوه قديماً أمـام رسـول الله ﷺ ليؤكد أنّه فهموا أنها لم تكن منامًا ولا روحًا، وإنّما كانت يقظة بروحه وجسده، وإلا لما صدر هذا الاعتراض، لأننا نقول لو كانت رؤيا منامية لما نـاقش فيهـا أحد، لأنّ أي واحد يقص عليك رؤيـة، فقـانون المرائـى فـوق قـانون المـادة اليقظيّة، فما دام قد ناقشوا فيها ووقفوا منها هذه الوقفة، فهـم قـد فهمـوا أنهـا يقظة وبالجسم والروح. والـذي يقـول هـذا القـول يحـاول أن يُـسنده بـشيء، فيبحث حتى يجد نصاً قرآنياً: وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِالنَّـاسِ وَمَـا جَعَلْنَـا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ" فيدعى أنّها رؤية منامية، ونحن نقـول لهـم: إذا كانت رؤية منامية فكيف تكـون فتنـة للنـاس؟ ومعنـى " فتنـة للنـاس " أنّ بعضهم يصدق وبعضهم يكذب، ولو كانت رؤيا منامية فلا يناقشها أحـد – لا تصديقاً ولا تكذيباً –) ويستطرد قائلاً: وإلا لـو كانـت مناميـة مـا كانـت فتنـة للناس وما اختلف الناس فيها، وإلا هل قوماً اختلفوا مع واحد من الناس رأى مناماً في أنّه رأى رؤية وبأي شكل مـا رآهـا وبـأي صـورة وبـأي وقـت وبـأي سرعة، فما دامت فتنة للناس فهو دليل على أنّها رؤية منامية.

أمّا الدكتور عبد الحليم محمود شيخ الأزهر السابق، فله ردٌ عـلى زعـم بعضهم أنّ الإسراء والمعراج كانتا بالروح دون الجسد قائلاً: ذهب الجمهـور من علماء المحدثين والفقهاء والمتكلمين أنّ الإسراء والمعراج وقعـا في ليلـة واحدة في اليقظه بجسد النبى وروحه بعد البعثة. ولقـد تـوارد عـلى ذلـك كـما يقول الإمام ابن حجر العسقلاني في ظـواهر الأخبـار الـصحيحة، ولا ينبغـي

العدول عن ذلك، إذ ليس في العقل ما يحيله - يفرضه مستحيلاً - حتى يحتاج إلى تأويل. ولو كان ذلك مناماً، أو بالروح فقط، لما كذَّبَ رسول الله □ مكذب، لجواز وقوع مثل ذلك وأبعد منه لآحاد البشر.

إنّ الناس يرون في الرؤيا أنهم سافروا وأبعدوا، وذهبوا وعقدوا العقود، ورأوا نتائج عقودهم وثمار عهودهم، فلو كانوا بصدد رؤيا لما ارتاب في صدق الصادق الصدوق صلوات الله وسلامه عليه إنسان. ولما أشفقت أم هانئ رضى الله عنها على رسول الله ﷺ لمّا أخبرها الخبر وقال أنّه سيحدث الناس به، فأرادت أن يعدل عنه قائلة: إنّهم سيكذبونك. فلم يستجب ﷺ لنصيحتها لأنّ الحق ينبغي أن يُذاع، وأذاعه ﷺ بين الناس وحدث ما حدث)

أخرج ابن مردويه عن طريق قتادة عن أنس أنّ النبى ﷺ فرضت عليه الصلاة ليلة أسري به. وأخرج ابن أبى حاتم عن يزيد بن أبى مالك عن أنس ﷺ قال: (..... فلما سمع المشركون قوله أتوا أبا بكر فقالوا: يا أبا بكر، هل لك في صاحبك يخبر أنّه أتى في ليلته هذه مسيرة شهر ثمّ رجع في ليلته؟ فقال أبو بكر: إن كان قالها فقد صدق. وإنّا والله لنصدقه فيما هو أبعد من هذا. نصدقه على خبر السماء) فسلام الله وصلواته عليك يا سيدي يا رسول الله، يا صاحب الإسراء والمعراج بالروح والجسد، سلام عليك من حملة الدعوة الإسلامية في بلد الإسراء والمعراج، ومن رحاب المسجد الأقصى الأسير، موطن الإسراء والمعراج الذي يرزح في أغلال الاحتلال، موطن عباد الله ترنو أفئدتهم لنصر من الله وفتح قريب، وسلام الله عليك يا صاحب الصادق الصدوق ورفيق هجرته ومصدق رسالته وإسرائه حين كذبه القوم، وأول خلفاء الإسلام.

وأخيرا يقول الأستاذ محمد هزاع بجريدة الأهرام:

حدث الإسراء والمعراج واقعة أساسية حاسمة في تاريخ الدعوة الإسلامية، وبقى الحدث في حقيقته متضمنًا لونًا من التكامل بين البعدين المادي المكاني والروحى العلوي، فالحدث هو في حقيقته رحلتان.. رحلة أرضية مكانية من (المسجد الحرام) إلى (المسجد الأقصى) في مسافة تبلغ نحو ٢٥٠٠ كيلومتر تقريبًا على البراق الذي يضع حافره عند منتهى بصره.

وأما الجزء الآخر من الحدث فهو رحلة علوية تعرف (بالمعراج) حيث عُرج بالنبى ـ ﷺ ـ إلى السماوات العلا و"سدرة المنتهي" وهي شجرة عظيمة ينتهي عندها علم الملائكة.

ولأهمية هذه الرحلة غصت في نفحات العلماء الأجلاء لأرصد ما قدموه من تجليات عن هذه الرحلة المباركة ومنهم:

ـ فضيلة الشيخ / محمد متولي الشعراوي.

ـ فضيلة الشيخ / عبد الحليم محمود (شيخ الجامع الأزهر).

ـ فضيلة الأستاذ الدكتور / أحمد الشرباصي.

ـ فضيلة الشيخ / أحمد حسن الباقوري.

يقول فضيلة الإمام د.عبد الحليم محمود في كتابه "الإسراء والمعراج" الصادر عن دار المعارف، إن بعض المسلمين يحتفلون بهذا الحدث، على أنه حدث تاريخى مجيد، ثم يمرون به على أنه معجزة وقعت لسيدنا محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ فأظهرت ما له من فضل، وبينت ما له من مكانة، ولكن أمر الإسراء والمعراج أوسع وأعم من أن يكون حدثا تاريخيًا، انقضى وانتهى. وذلك أنه رسم لحياة المسلم، وفيه من العظات والعبر ما لا يكاد يحيط به

الإنسان. ويضيف فضيلته: لقد كان المعراج مناجاة، ووحيًا، ورؤية. ثم يتساءل أكانت المناجاة مع جبريل ـ عليه السلام ـ والوحى من جبريل عليه السلام، والرؤية لجبريل عليه السلام؟ أم كانت المناجاة مع الله ـ سبحانه وتعالى ـ والوحى من الله ـ تعالى ـ والرؤية لله تعالى، إن محمدًا ـ ﷺ ـ وصل إلى أفق لم يعد فيه مكان لجبريل، وارتقي إلى مستوى من النور لم يكن لجبريل عليه السلام فيه مجال. فكان محمد ـ ﷺ ـ في الحضرة الإلهية، دون واسطة. فناجى محمد ﷺ، ربه عز وجل.. وأوحى إليه ربه ما أوحى ورأى محمد ربه. (ما كذب الفؤاد ما رأى). ثم يقول فضيلته: لقد استندت إلى ما جاء في حديث البخاري: ثم دنا الجبار رب العزة فتدلى، فكان منه قاب قوسين أو أدنى. وقلت: إن محمدا ـ ﷺ ـ في هذا الأفق كان وحده وكان جبريل عليه السلام في أفق أقل، فكانت المناجاة مع الله. وكان الوحي من الله. وكانت الرؤية لله تعالى.

ويشير فضيلته إلى أن قصة الإسراء والمعراج إنما تمثل منهج حياة في العقيدة، ومنهج حياة في الأخلاق. وإنها منهج الحياة الروحية في حياة المسلم. ويستمر فضيلة د.عبد الحليم محمود في سرد خواطره حول الحدث وصاحبه فيقول: لقد كان رسول الله ـ صلوات الله عليه وسلامه ـ خاتمة سلسلة من الأنوار التى يرسلها الله إلى العالم بين الفينة والفينة لتهدي إلى الرشاد، ولتقود إلى الله، ولتسمو بالمؤمنين درجات في معارج القدس، لتصل بالجديرين منهم إلى الكمال المرجو، عن طريق الإرشاد الإلهي. وكان الكتاب الذي أنزل عليه، صلوات الله عليه وسلامه، وهو القرآن خاتم الكتب وأكملها. ولأن رسول الله ـ صلوات الله عليه وسلامه ـ تخلق بأخلاق أكمل كتاب رباني، فهو إذن أكمل رسول ومن هنا كانت إمامته ـ صلوات الله عليه وسلامه ـ بالرسل والأنبياء في بيت المقدس، وهو أقرب المقربين إلى الله ـ

سبحانه وتعالى ـ لقد تخطى الأرضين والسماوات، وتجاوز الكون كله، ووصل إلى ما لم يصل إليه بشر، بل إلى ما لم يصل إليه جبريل نفسه ـ عليه السلام ـ لقد وصل، صلوات الله عليه وسلامه إلى.. " قاب قوسين أو أدنى"

******

خرق النواميس

الإسراء والمعراج خرق لنواميس الكون:

يمكن أن نتحدث من خلال حقائق الإيمان عن خرق النواميس، فالإسراء والمعراج خرق لنواميس الكون بحسب قوانين الحركة، والسرعة، وخصائص الإنسان، أن يغادر النبي عليه الصلاة والسلام مكة المكرمة إلى بيت المقدس، وأن يعرج إلى السماوات العلا حتى يبلغ سدرة المنتهى، ويعود وفراشه لا يزال ساخناً، هذا بخلاف نواميس الكون، لذلك قال تعالى:

﴿ سُبْحَـٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَـٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَـٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١﴾ ﴾ (الإسراء:١).

فحينما قال الله عز وجل: سبحان أي أن هذا الذي ذكره القرآن الكريم خارج عن أنظمة الكون، والشيء الواضح أن الذي قنن القانون يلغي القانون، الله عز وجل هو المقنن، قانون الحركة قننه الله، فالذي قنن يلغي القانون، فانتقل النبي عليه الصلاة والسلام من مكة إلى بيت المقدس إسراءً، ومن بيت المقدس إلى سدرة المنتهى عروجاً، فالإسراء والمعراج خرق لنواميس الكون، هذه واحدة، لكن هذه المعجزة غير مألوفة عادة لكنها مقبولة عقلاً، العقل يقبلها لأنها من صنع خالق الكون، الله عز وجل يقول: كن فيكون، فاختار للنبي الكريم أن ينتقل على البراق من مكة إلى بيت المقدس، واختار له أن ينتقل كأي إنسان من مكة إلى المدينة، فاضطر أن يغادر ليلاً، وأن يتجه نحو البحر، وأن يقبع في غار ثور أياماً ثلاثة، وأن يختار خبيراً في الطريق رجح فيه الخبرة على الولاء، وبقي أياماً طويلة دمه مهدور، ومئة ناقة لمن يأتي به حياً أو

ميتاً، الله عز وجل لحكمة أرادها نقله نقلة بخلاف قوانين الكون من مكة إلى بيت المقدس، وعرج منها إلى السماء، واختار له أن يكون كأي إنسان ينتقل من مكة إلى المدينة المنورة مهاجراً.

الفرق بين القوانين وخرق القوانين:

أول شيء: يجب أن نفرق بين القوانين وبين خرق القوانين، معجزات الأنبياء أساسها خرق القوانين، ذلك لأن الله عز وجل حينما يرسل رسولاً ومعه منهج يقول للناس: أنا رسول الله، المنهج الذي معه فيه افعل ولا تفعل.

هناك تعليق دقيق جداً؛ الديانات الأرضية لا يوجد فيها منهج، ليس فيها حرام إنما يوجد بها ولاء فقط، الولاء سهل، يقول لك: الدين الفلاني في الهند تسعمئة مليون، الدين الفلاني مئتي مليون، هذا الانتماء لدين أرضي ببساطة لا يوجد عبادات، فيه تمتمات، وحركات، وسكنات ليس لها معنى، و العلماء يسمونها طقوساً، الطقس ليس له معنى أما العبادة لها معنى:

﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ ﴾ (التوبة:١٠٣).

﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ (البقرة: ١٨٣).

الصيام معلل بالتقوى، والزكاة معللة بالتطهير والتزكية، والحج:

﴿ لِتَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ ﴾ (المائدة:٩٧).

والشهادة من أجل أن تكف عن محارم الله، والصلاة من أجل الصلة:

﴿ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ

وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُۗ﴾ (العنكبوت:٤٥).

نحن عندنا عبادات، العبادات معللة بمصالح الخلق، الشريعة عدل كلها، رحمة كلها، مصلحة كلها، حكمة كلها، أي قضية خرجت من العدل إلى الجور، ومن المصلحة إلى المفسدة، ومن الحكمة إلى خلافها، فليست من الشريعة ولو أدخلت عليها بألف تأويل وتأويل.

المعجزة التي يأتي بها النبي هي شهادة من الله لقومه أنه رسوله:

النقطة الدقيقة أيها الأخوة الكرام، الله عز وجل حينما أرسل نبياً أو رسولاً معه منهج، فيه ممنوعات، و فيه محرمات، هذا المنهج لا يروق للناس، إنسان أَلِفَ الزنا، الزنا محرم، فلما تعارض منهج الله مع شهوات الناس، الموقف الطبيعي السهل تكذيب النبي:

﴿ وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَسْتَ مُرْسَلًا ﴾ (الرعد:٤٣).

كيف يشهد الله لهذا النبي أنه رسوله أو أنه نبيه؟ الطريقة الوحيدة يجري على يديه خرقاً للنواميس، سيدنا إبراهيم الله عز وجل سمح للكفار أن يقبضوا عليه، كان من الممكن ألا يسمح بذلك، وسمح لهم أن يضرموا ناراً عظيمة، كان من الممكن أن يأتي بأمطار غزيرة تطفئ هذه النار، و لكنه سمح لهم أن يقبضوا عليه، وسمح لهم أن يضرموا ناراً عظيمة، ويلقوه فيها:

﴿ قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴾ (الأنبياء:٦٩).

عدم احتراق هذا النبي الكريم شهادة الله لهؤلاء البشر أنه رسوله، المعجزة التي يأتي بها الأنبياء هي في الحقيقة شهادة من الله لقوم النبي أنه رسوله، لذلك الله عز وجل كلف الأنبياء أن يتحدوا الآخرين بالمعجزات، لأن النبي عليه الصلاة والسلام معصوم، فالمعجزة خرق للنواميس، و هناك

فرق كبير جداً بين المعجزة وبين الإعجاز، المعجزة لا تخضع لقوانين الأرض، هي خرق لنواميس الكون.

﴿ سُبْحَـٰنَ ﴾

كلمة سبحان أي هذا الذي ستقرأه غير خاضع لقوانين الكون:

﴿ سُبْحَـٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ﴾

معجزة النبي هي القرآن وهي معجزة مستمرة إلى يوم القيامة:

الآن بعد أن تقدمت البشرية، الكون بوضعه الراهن من دون خرق لنواميسه هو أكبر معجزة، مع التقدم العلمي صار الكون من دون أن تخرق نواميسه هو معجزة، مع الضعف العلمي السابق الشيء الذي يلفت النظر خرق نواميسه، سيدنا موسى:

﴿ فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِىَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴿١٠٧﴾ وَنَزَعَ يَدَهُۥ فَإِذَا هِىَ بَيْضَآءُ لِلنَّـٰظِرِينَ ﴾ (الأعراف:١٠٧/ ١٠٨).

سيدنا صالح أخرج من الجبل ناقة، المعجزات الحسية التي جاء بها الأنبياء هي شهادة الله لخلقه أن هذا الإنسان نبي، ورسول، وصادق، هذه فلسفة المعجزة، لكن الإسراء والمعراج هي معجزة للنبي الكريم، لم يره الناس لكنهم تحققوا من صدقها، فالنبي وصف بيت المقدس، وصف من في الطريق، فلما وصلت القوافل إلى مكة، وحدثوا أهل مكة، فجاء وصف النبي لهم مطابقاً تطابقاً تاماً.

النقطة الدقيقة الدقيقة أن هؤلاء الأنبياء والمرسلين جاؤوا بالمعجزات

الحسية، وقد رآها أقوامهم، وصدقوها، لكن هذه المعجزة الحسية هي بالحقيقة كتألق عود الثقاب، تتألق هذه العود وتنطفئ، تصبح خبراً، يصدقه من يصدقه، ويكذبه من يكذبه، إلا أن النبي ـ عليه الصلاة والسلام ـ لأنه خاتم الأنبياء والمرسلين، لأن بعثته لكل البشر أجمعين، لأن كتابه خاتم الكتب، يوم كان النبي لقومه فقط المعجزة الحسية كافية، أما حينما أصبح هذا النبي الكريم لكل الأمم والشعوب، وأصبح كتابه الكتاب الخاتم، فلا بدّ من معجزة مستمرة، أن يلقي عصاه فإذا هي ثعبان مبين، هذه حادثة وقعت، وانتهت، وأصبحت خبراً، المؤمن يصدقها، وغير المؤمن لا يصدقها، أما حينما جاء النبي ـ عليه الصلاة والسلام ـ للبشر أجمعين رسالته هي الخاتمة، وكتابه هو الخاتم، لا بدّ من معجزة مستمرة، هي الإعجاز العلمي.

المعجزة والإعجاز:

القرآن الكريم أشار إلى قضايا لم تكتشف إلا بعد ألف عام، أعتقد بالتسعينات أو بأقل من التسعينات عندما أرسل الإنسان مركبة إلى القمر، هذه المركبة التي أرسلت إلى القمر رائد المركبة في أثناء حركة المركبة إلى القمر صاح بأعلى صوته: ـ وسمع هذا الكلام أحد كبار علماء الفلك المسلمين ـ قال: لقد أصبحنا عمياناً، كان يرى فإذا هو لا يرى، ما الذي حصل؟ كان يرى من الأرض حتى تجاوز طبقة الهواء، فلما تجاوز طبقة الهواء ما الذي حصل؟ توقف انكسار الضوء، لأن أشعة الشمس حينما تسلط على ذرات الهواء، ذرات الهواء تعكسها على ذرات أخرى، فأنت في الأرض هناك مكان فيه أشعة الشمس، وهناك مكان فيه ضوء الشمس، بيت ترى فيه كل شيء لكن لا يوجد أشعة الشمس، من أين جاء هذا الضوء؟ هذا الضوء هو منعكس ذرات أصابتها أشعة الشمس، فعكستها على ذرات أخرى، هذه الحادثة اسمها

انتشار الضوء، فلما تجاوز رائد الفضاء طبقة الهواء رأى ظلاماً دامساً فقال بأعلى صوته: لقد أصبحنا عمياناً لا نرى شيئاً، تفتح القرآن الكريم الذي نزل قبل ألف وأربعمئة عام قال تعالى:

﴿ وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَظَلُّواْ فِيهِ يَعْرُجُونَ ﴿١٤﴾ لَقَالُوٓاْ إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَٰرُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَّسْحُورُونَ ﴾ (الحجر: ١٤/ ١٥).

أن تأتي آية تشير إلى حقيقة علمية كشفت بعد ألف عام هذا اسمه إعجاز علمي، الإعجاز العلمي وفق نواميس الكون، أما المعجزة بخلاف نواميس الكون، المعجزة خرق لنواميس الكون، أما الإعجاز سبق، إشارة سابقة لاكتشاف هذا القانون، هذه واحدة.

الكون معجزة من معجزات الله تعالى:

أنا أضعكم بموضوع دقيق؛ ما جاء به الأنبياء من خرق لنواميس الكون، ومنه الإسراء والمعراج هذا خرق لنواميس الكون، ولا يخضع أبداً لقوانين الكون، لكن الآن بعد أن اكتشف الإنسان هذه القوانين صار نضجه العقلي يؤهله أن يرى هذا الكون بوضعه الراهن هو المعجزة، أحياناً هناك بطاقة ـ صدق ولا أبالغ ـ لا تتجاوز ثلاثة ميليمتر توضع في الكومبيوتر، فيها معلومات بمئات الألوف، كتب بأكملها، كيف استوعبت هذه البطاقة هذه الكتب؟ الآن هناك تطور، الآن الكون بوضعه الراهن معجزة.

لكل شعرة وريد، وشريان، وعصب، وعضلة، وغدة صبغية، وغدة دهنية. بالدماغ جهاز يحسب تفاضل وصول الصوتين إلى الأذنين، من أجل أن تعرف جهة الصوت، التفاضل واحد على ألف وستمئة وعشرين جزءاً من الثانية، مثلاً تركب طائرة حديثة جداً كأنها مدينة في الجو، مقاعد وثيرة، أحياناً

تنام نوماً كاملاً، المقعد يصبح سريراً كاملاً مستوياً، طعام، وشراب، وترفيه، ومحطات، وانترنيت، تقرأ القرآن الكريم:

﴿ وَٱلْخَيْلَ وَٱلْبِغَالَ وَٱلْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا ﴾ (النحل:٨).

لكن هو الآن يركب طائرة، فرق كبير جداً.

﴿ وَٱلْخَيْلَ وَٱلْبِغَالَ وَٱلْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا ﴾ (النحل:٨).

لكن لأن هذا القرآن كلام الله، ولأن الله علم ما كان، وما يكون، وما سيكون، وما لم يكن لو كان كيف كان يكون، يقول تعالى:

﴿ وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ (النحل:٨).

دخل فيها الطائرة، والحوامة، واليخت، والقطار، والسيارة، كلام خالق الكون، هذا اسمه إعجاز علمي، أي سبق علمي، لو أن الآية تنتهي بكلمة،

﴿ وَٱلْخَيْلَ وَٱلْبِغَالَ وَٱلْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً ﴾ (النحل:٨).

هذا ليس كلام الله عز وجل، لأنه كلام الله جاء التعقيب:

﴿ وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ (النحل:٨).

المعجزة الأولى للنبي عليه الصلاة والسلام هي الإعجاز العلمي:

أيها الأخوة الكرام، محطة فضائية كبيرة جداً، وكالة فضاء، أول وكالة في العالم عرضت صورة لوردة جورية، وردة جورية بكل ما لهذا الكلام من معنى، وردة حمراء داكنة، ووريقات خضراء زاهية، كأس أزرق في الوسط، هذه الوردة في الحقيقة ليست وردة جورية إنها انفجار نجم اسمه عين القط، يبعد عنا ثلاثة آلاف سنة ضوئية، تفتح القرآن الكريم:

﴿ فَإِذَا ٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَٱلدِّهَانِ ﴿٣٧﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ

رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾ (الرحمن:٣٧/ ٣٨).

شيء عجيب أحدث كشف يقابله آية قبل ألف وأربعمئة عام، هذا اسمه إعجاز علمي، لذلك المعجزة الأولى للنبي عليه الصلاة والسلام هي الإعجاز العلمي، إشارات كثيرة إلى حقائق علمية كشفت الآن، وقد أشار القرآن الكريم إلى ذلك قبل ألف وأربعمئة عام.

من دلائل نبوة النبي ﷺ:

١ ـ توجيه أصحابه بعدم قطع رأس الدابة عند ذبحها:

أول فكرة: لعلي استطعت أن أبين لكم الفرق بين المعجزة التي هي خرق لنواميس الكون، وبين الإعجاز الذي هو سبق علمي، أي القرآن الكريم سبق اكتشاف هذه القوانين بألف عام تقريباً، أو ألف ومئتي عام، أوضح مثل أن النبي عليه الصلاة والسلام نهانا أن نقطع رأس الدابة أثناء ذبحها، لماذا؟ طبعاً يقينكم جميعاً وأنا معكم أن كلام النبي عليه الصلاة والسلام ليس من اجتهاده، ولا من ثقافته، ولا من معطيات عصره، ولا من معطيات البيئة، وحي يوحى، يقول لك النبي عليه الصلاة والسلام: إذا ذبحت الدابة لا تقطع رأسها أبقِ رأسها موصولاً، الآن اكتشف أن القلب لأنه عضو نبيل جداً، ولأن حياة الجسم متوقفة عليه، القلب له مركز كهربائي خاص، يتلقى التنبيه الكهربائي من ذاته، لأنه عضو خطير لو توقف القلب لانتهت حياة الإنسان تماماً، كما لو أن هناك مستشفى لإجراء عمليات قلب مفتوح، ليس من المعقول أن تعتمد هذه المستشفى على كهرباء الشبكة العامة، مريض مفتوح قلبه موصول دمه على قلب صناعي، الكهرباء انقطعت مات المريض، لا يوجد في الأرض مستشفى إلا وعندها مولدة خاصة، أخطر شيء عمليات

القلب، القلب مفتوح، ويغيّر الدسام، والعملية ست ساعات، والقلب موصول بقلب صناعي، فلو تعطلت الكهرباء يموت الإنسان.

إذاً أي مستشفى تجري عمليات قلب مفتوح تحتاج إلى مولدة، ولأن القلب أخطر عضو في الإنسان لو توقف لانتهت حياة الإنسان، فعنده مولدة خاصة، يتلقى الأمر الكهربائي من ذاته، الأغرب من هذا هناك مركز ثان كاحتياط لو تعطل الأول لعمل الثاني، و هناك مركز ثالث لو تعطل الثاني عمل الثالث، هذا المركز يعطي النبض النظامي المقدر بثمانين نبضة، أحياناً الإنسان يقيس نبضه فيجده مئة وثلاثين، مئة وأربعين، إذا كان راكضاً يقدر نبضه بمئة وستين، إذا في جهد عند الطبيب مئة وثمانين، فالنبض الطبيعي للقلب يقدر بثمانين نبضة، من أين جاءت هذه النبضات العالية؟ هناك آلية معقدة جداً حتى أوضحها سأورد لكم هذا المثال: إنسان يمشي في الطريق، رأى ثعباناً، هذه الصورة طبعت على الشبكية إحساساً، الشبكية لا تقرأ الصورة تنقل هذه الصورة إلى الدماغ إلى مركز الرؤية، تقرأ في ضوء ملفات الثعبان، سمع كم قصة من جدته، رأى ثعابين محنطة، وقرأ في كتاب العلوم عن لدغة الثعبان القاتلة، ملف الثعبان بالدماغ، هذه الصورة تقرأ في الدماغ بمعاونة ملف الثعبان، الدماغ رأس الجهاز العصبي يدرك أن هناك خطر الموت، وهناك ملكة زميلته اسمها الغدَّة النخاميَّة، وزنها نصف غرام و الغدد تحت تصرفها، غدة الكظر تحت تصرفها، الغدة التي في الرقبة تحت تصرفها، أكثر الغدد تحت سيطرتها، الغدَّة النخاميَّة ترسل رسالة هرمونية إلى الكظر أن هناك خطر عليك مواجهته، هذا الكظر كوزير الداخلية يرسل خمسة أوامر فورية، أول أمر يرفع نبض القلب إلى مئة وثمانين، هناك مشكلة، هناك خوف يحتاج إلى جهد، عند الخطر يرتفع النبض، أي رياضة إذا النبض لم يرتفع إلى مئة

وأربعين لا يوجد جدوى من هـذه الرياضـة، تحتـاج إلى جهـد، ففـي الجهـد كصعود الدرج، أو الجري، أو الخوف يرتفع النبض، أول أمر برفع النـبض إلى مئة وثمانين، أمر للرئتين بازدياد وجيبهما فالخائف يلهـث، يعطـي أمـراً ثالثـاً للأوعية المحيطة بالجسم فتضيِّق لمعتها، والخائف يصفر لونـه، يعطـي أمـراً رابعاً للكبد بإطلاق كمية سكر إضافية احتياطية، فإذا فحصنا دم إنسان خـائف نجد أن هناك ثلاثمئة ميليغرام سكر زيادة بدمه، الأمر الخـامس يفـرز هرمـون التجلط، هرمون التجلط يجعل الدم لزجاً، للدم صـفتان بـين أن يكـون مائعـاً كالماء، وبين أن يكون جامداً كالقطر، عند الأزمات هرمون التجلط يفرز مادة يجمد الدم، هذا كله حصل بثوان.

الآن لماذا أمـر النبـي أصـحابه ألا يقطعـوا رأس الدابـة، لأن القلـب في الدابة له مهمة خطيرة هي: بعد الذبح إفراغ الدم كلـه، فلـو قطـع رأس الدابـة لتعطل الأمر الاستثنائي الذي يرفع النبض إلى مئة وثمانين، و يبقى القلب عـلى ثمانين نبضة، والثمانين نبضة لا تخرج الدم كله، فلو قطعنا رأس خروف نجد لونه أزرقاً لأن نصف الدم لا يزال بجسمه، فليخرج الدم كله لا بـدّ مـن نـبض مئة وثمانين، والنبض مئة وثمانين لا بد من تـشغيل الجهـاز الاسـتثنائي، هـو العين، والدماغ، والغدة النخامية، والكظر، والأوامر، هذا من الإعجاز.

٢ ـ ثبات كمية الأمطار في العالم:

أيضاً هناك إعجاز من السنة، النبي عليه الـصلاة والـسلام لـه أحاديـث مذهلة، مثلاً الآن بالعـالم كلـه الأمطـار تقـاس، يمكـن أن تفـتح نـشرة ببلـدنا الطيب، تجد كل مدينـة، كـل قريـة، كـم ميليمتـر نـزل فيهـا، لـو جمعنـا هـذه المليمترات على مدى العام في القطر كله لوجدنا أن كمية الأمطار الهاطلة مـن السماء على مدى التاريخ ثابتة لا تزيد ولا تـنقص، ولكـن تـوزع، مـرة يكـون

هناك جفافاً بأوربا، مرة بآسيا، مرة بإفريقيا، مرة بالشرق الأوسط، الجفاف والفيضانات تتوزع، أما مجموع التهطال العام لا ينقص ولا يزيد، كيف قال النبي الكريم: ((**ما عام بأمطر من عام**)) [الجامع عن ابن مسعود].

بعد وجود الأجهزة، والمقاييس، والتقنية العالية جداً، الآن اكتشفنا من خلال أجهزة قياس المطر أن الأمطار ثابتة، النبي قال: ((**ما عام بأمطر من عام**)) [الجامع عن ابن مسعود].

الآن الربع الخالي صحراء، أثناء الحفريات في الربع الخالي وجدنا مدناً و بساتين، الربع الخالي كان مروجاً وأنهاراً، هذا شيء عُرف بالمستحاثات، تدمر مدينة كلها أشجار وأنهار، الآن صحراء ماذا قال النبي الكريم:

((**لا تقوم الساعة حتى تعود أرض العرب مروجاً وأنهاراً**)) [حديث صحيح أخرجه مسلم]

شهادة الله للنبي الكريم هي هذه الآيات التي تتحدث عن الكون:

الإعجاز العلمي غير المعجزة، المعجزة خرق لنواميس الكون، والإعجاز سبق علمي فقط.

أيها الأخوة، الإسراء والمعراج معجزة، هي خرق لنواميس الكون، ولكن الإشارات التي تقترب من ألف إشارة في القرآن الكريم إشارات سبق وقوعها بألف سنة، أو أكثر، هذا اسمه إعجاز علمي.

على كلٍّ: شهادة الله لهذا النبي الكريم، لسيد الأنبياء والمرسلين، هي هذه الآيات التي تزيد عن ألف وثلاثمئة آية تتحدث عن الكون.

الإعجاز العلمي في القرآن الكريم:

١ ـ لكل بحر خصائص يتميز بها و لا يمكن أن تنتقل مياه بحر إلى بحر آخر:

أيها الأخوة لو تابعنا الموضوع العلمي:

﴿ مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ۝١٩ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ ۝٢٠ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾ (الرحمن:١٩/ ٢١).

حينما صعد الإنسان إلى الفضاء الخارجي، وصور الأرض، وجد خطاً بين كل بحرين، هو ليس خطاً، الحقيقة تباين لونين، بين الأبيض والأطلسي خط عند جبل طارق، وبين البحر الأسود والبحر المتوسط خطٌّ عند البوسفور، الأسود والبيض والأحمر والعربي والأطلسي والمحيط الهادي، بين كل بحرين هناك خط هذا الخط تباين لونين، أحد كبار علماء البحار ـ ألماني الجنسية ـ درس الظاهرة عشر سنوات، مرة جاء بكميات كبيرة من قصاصات الورق ووضعها في باب المندب، لم تنتقل إلى البحر العربي إطلاقاً، كأن هناك جداراً، هذا الجدار عندي له صور دقيقة جداً، ما هذا الجدار؟ هذا الجدار يؤكد أن مياه البحر الأحمر لا يمكن أن تختلط بمياه البحر العربي، ومياه البحر الأحمر لا يمكن أن تختلط بمياه المتوسط، والمتوسط لا يختلط بالأطلسي، وهكذا، الآية:

﴿ مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ۝١٩ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ ۝٢٠ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾ (الرحمن:١٩/ ٢١).

هذه الآية حيرت عقول العلماء سابقاً، الآن كشفت أن كل بحر له مكونات، له ملوحة، له كثافة، له درجة حرارة، كل خصائص البحار تتميز بها، ولا يمكن أن تنتقل مياه بحر إلى بحر آخر.

٢ ـ النبع كأنه جدار بين المياه المالحة والمياه العذبة وهذا من إعجاز القرآن الكريم:

عندنا شيء آخر:

﴿ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَّحْجُورًا ﴾ (الفرقان:٥٣).

الآن يوجد ينابيع مياه عذبة في البحار، في الخليج، تذهب القوارب إلى تعبئة المياه العذبة من البحر، هذا النبع يخرج من قاع البحر، النبع كأنه جدار بين المياه المالحة والمياه العذبة، عندنا في الساحل عدة ينابيع في البحر، فهذا من إعجاز القرآن الكريم: ﴿ مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ﴾ (الرحمن:١٩).

٣ـ العمق يؤكد كروية الأرض:

هذه الكرة، الأرض كرة قال تعالى:

﴿ وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴾ (الحج:٢٧).

هو المعنى بعيد، أما على الكرة جاء عميق، لماذا؟ لأن الكرة البعد فيها يمثل عمقاً، وليس خطاً مستقيماً، الخطوط على الكرة فيها أعماق، فقال تعالى: ﴿ وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴾ (الحج:٢٧).

لم يقل: بعيد، بعيد الخط مستقيم، أما عميق الخط منحن، هذه إشارة.

٤ ـ دوران الأرض:

مثلاً: ﴿ لَا ٱلشَّمْسُ يَنۢبَغِى لَهَآ أَن تُدْرِكَ ٱلْقَمَرَ وَلَا ٱلَّيْلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِ وَكُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴾ (يس:٤٠).

هذه الذرة أي شيء تقع عينك عليه يدور بدءاً من الذرة وانتهاءً

بالمجرة، قال تعالى: ﴿ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴾ (يس: ٤٠).

٥ ـ علم الأجنة:

علم الأجنة الآن متطور تطوراً مذهلاً اكتشف أن الذي يحدد جنس الجنين ذكراً كان أو أنثى ليس البويضة لكن الحوين المنوي، قال تعالى:

﴿ وَأَنَّهُۥ خَلَقَ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰ ۝ مِن نُّطْفَةٍ إِذَا تُمْنَىٰ ﴾ (النجم: ٤٥/ ٤٦).

ما قال من بويضة، تجد بعلم الأجنة إشارات دقيقة جداً، القرآن سبق.

٦ ـ تشكل العظام أولاً ثم اللحم:

هناك عالم كبير بريطاني مختص بعلم الأجنة، دخل مرة إلى قاعة التدريس، وقال كلمة فيها كبر كبير، قال: أنا اكتشفت حقيقة البارحة لم أسبق إليها، اكتشفت أن العظام تتشكل أولاً، ثم اللحم ثانياً، بخلاف ما هم عليه العلماء في العالم، العلماء يتوهمون أن اللحم أولاً ثم العظم ثانياً، أحد طلابه باكستاني الأصل رفع يده و قال له: هذا الذي تقوله مذكور بكتابنا المقدس، فغضب، وزمجر، وتوعد، قال: ائتني به، و في اليوم الثاني جاء بالتفسير باللغة الإنكليزية:

﴿ ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ ۚ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴾ (المؤمنون: ١٤).

هذا الدكتور اخذ هذه الحقيقة التي اكتشفتها الآن فوجد أن القرآن ذكرها قبل ألف وأربعمئة عام.

والله هناك أشياء يا أخوان بالقرآن الكريم إشارات مذهلة بكل المعاني تقريباً، فلذلك نحن في مناسبة الإسراء والمعراج نفرق بين المعجزة التي هي في الأصل خرق لنواميس الكون، وبين الإعجاز العلمي الذي هو سبق علمي، يؤكد أن الذي خلق الأكوان هو الذي أنزل هذا القرآن، تطابق الكون مع القرآن عجيب.

٧ـ تداخل الليل و النهار:

مثلاً: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى مَدَّ ٱلْأَرْضَ ﴾ (الرعد:٣).

لا يوجد غير شكل هندسي واحد الخطوط تستمر عليه هو الكرة، أما المكعب فيه حرف، المثلث، الموشور، الأسطوانة فيها حرف، أي شكل هندسي على الإطلاق فيه حروف إلا الكرة: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى مَدَّ ٱلْأَرْضَ ﴾ (الرعد:٣).

الآن متى يتداخل الليل والنهار أو متى يتداخل الظلام والنور؟ آتي بمنبع ضوئي بلورة، ائت بأي شكل هندسي إذا كان مكعباً ودوره يأتي النور فجأةً فيه حرف، إلا الكرة يتداخل النور مع الظلام:

﴿ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ ﴾ (لقمان:٢٩).

تجد بين المغرب والعشاء يوجد تداخل، المغرب النور غالب كلما الساعة تقدمت يصبح الظلام غالباً، بالعشاء شفق أحمر غابت الشمس كلياً، بين الفجر والشمس أيضاً يوجد تداخل، فتداخل الليل والنهار دليل أن الأرض كروية.

إذاً نجد إشارات دقيقة جداً في القرآن، هذا كله سبق علمي، والذي حصل للنبي الكريم هو معجزة فيها خرق لنواميس الكون.

معجزة الإسراء والمعراج ليست مستحيلة عقلاً

موضوعٌ دقيقٌ جداً متعلقٌ بالإسراء والمعراج، أَلِفَ الناس لكل شيءٍ خاصَّة أو طبيعة، أَلِفُوا القوانين التي قنن الله بها ملكوتَ السموات والأرض، للماء خواص، للنار خواص، هناك قوانين تضبط الانتقال من مكان إلى مكان، الجسم له ظروف تتوافق معه، وله ظروف تتناقض معه، أسوق لكم الحقائق التالية كي نفرِّق بين ما هو مستحيلٌ عادةً، وبين ما هو مستحيلٌ عقلاً:

إن الله سبحانه وتعالى حينما جعل النار تحرق بمشيئته، قادر في أية لحظة أن يجعلها لا تُحْرِق، هناك طبيعةٌ خاصة لكل شيء، وأيُّ قانونٍ مادي، أيُّ علاقةٍ ثابتة بين شيئين، هذه من خلق الله عزَّ وجل، والله يخلق ما يشاء، فإذا خلقها على شاكلةٍ يمكن أن يخلقها على شاكلةٍ أخرى، فحينما تأتي في القرآن الكريم بعض خوارق العادات، كالإسراء والمعراج وهي معجزة، هذا لا ينبغي أن نفهمه في ضوء القوانين التي قننها الله سبحانه وتعالى، إن الإسراء والمعراج خرقٌ لهذه القوانين، لأن الإنسان أحياناً يتوهَّمُ أن السبب وحده هو الذي يخلق النتيجة، فإذا اعتقد ذلك اعتقاداً جازماً وقع في الشرك، إن الذي يخلق النتيجة ليس هو السبب، ولكنه الله سبحانه وتعالى، والسببُ في أيةِ لحظةٍ يعطَّل أو يلغى.

فحينما تأتي بعض المعجزات على يدِ الأنبياء صلوات الله عليهم، أو حينما تكون بعض المعجزات لنبينا عليه الصلاة والسلام، فهذه ليست مستحيلة عقلاً، ولكنها مستحيلة عادةً، فَرَّقَ علماء العقيدة بين ما هو مستحيلٌ عادةً، وبين ما هو مستحيلٌ عقلاً، مثلاً: جعل الله البحر الذي بين مصرَ و سيناء

يبساً، قال تعالى: ﴿ قَالَ أَصْحَـٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ﴾ (الشعراء:٦١).

فرعون من ورائهم، والبحر من أمامهم، قال:

﴿ قَالَ كَلَّآ إِنَّ مَعِىَ رَبِّى سَيَهْدِينِ ﴾ (الشعراء:٦٢).

حينما خلق الله سبحانه وتعالى طبيعة الماء سائلة بقدرته، هو قادرٌ في كل لحظةٍ أن يجعلها جامدة، فما هي إلا إشارة من سيدنا موسى بعصاه حتى أصبح البحر يبساً.

هذا إذا فكرت في آلاء الله، وعرفت عظمة الله سبحانه وتعالى، لا ترى في خوارق العادات شيئاً مستحيلاً عقلاً، بل ربما كان مستحيلاً عادةً كما أَلِفَ الناس، ألف الناس أن النار تُحرق، وأن الماء سائل، ولكن ربنا سبحانه وتعالى هو خالق القوانين، هو خالق طبائع الأشياء، هو خالق العلاقات الثابتة التي تظنها ثابتة، إنها ليست ثابتة، ثابتة إذا شاءَ لها الله أن تكون ثابتة، فإذا شاءَ أن تكون غير ثابتة، تكون غير ثابتة، هو الذي خلق قوانين المكان، هو الذي خلق قوانين الزمان.

من دلائل صدق النبي حينما أسري إلى بيت المقدس:

فإذا قرأت في كتب السيرة، أن النبي عليه الصلاة والسلام خرج من بيته في مكة إلى بيت المقدس وعاد إليه، فهذا من خرق الله سبحانه وتعالى لقوانين المكان.

كذَّبته قريش، ولكنهم حينما طالبوه أن يصف لهم المسجد الأقصى، وصفه وكأنه يشاهده، لعلهم ظنوا أن النبي عليه الصلاة والسلام سمع هذا الوصف من غيره فنقله إليهم، طالبوه بأن يصف لهم ما رآه في الطريق، ووصف لهم قافلةً، وسمَّى أسماء أصحابها، ولما جاءت القافلة إلى مكة، وسألوا: مَنْ

أفرادها؟ جاءت إجابتهم مطابقةً تماماً لوصف النبي عليه الصلاة والسلام.

لذلك حدث الإسراء والمعراج نُصَّ عليه بآياتٍ محكمةٍ صريحةُ الدلالة، من أنكره فقد كفر، لأنه أنكر حقيقةً وردت في القرآن الكريم.

***

الإسراء والمعراج دراسة دينية علمية

تعود ذكرى الإسراء والمعراج في السنين الأخيرة، وسط انتصارات ما يُسمى بغزو الفضاء، وآخر هذه الانتصارات نزول الإنسان على سطح القمر، ودوَران سفن الفضاء حوله، وعودتها آليًّا وبتحكُّم مقتدر من الأرض، كما تعود هذه الذكرى ومَهبط الإسراء ومَصعد المعراج إلى السماء، في أيدي أعداء الله والإنسانية من الصِّهيونيين.

وإن المرء - مهما حاوَل بعض المفكرين - إبعاد القرآن عن التعرض للمسائل العلمية - لا يستطيع أنْ يطرد عن ذِهنه ما تستدعيه أخبار ما يسمى بغزو الفضاء، من التفكير في الإسراء والمعراج، كما لا يستطيع ذلك فيما تَستدعيه ذكرى الإسراء والمعراج من التفكير في غزو الفضاء.

تداعٍ للمعاني متبادل وغير إرادي، بين ما يسمى بغزْو الفضاء، وبين الإسراء والمعراج، وقد وجه الإسلام إلى تداعٍ آخرَ متبادل - ولكنه إرادي - بين النظر في السماء، وبين التفكير في عظمة الكون وعظمة خالقه، وذلك بالنـدْب إلى قراءة آيات: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ (آل عمران: ١٩٠).

حين ينظر المرء إلى السماء من الليل، وبالنـدْب إلى التفكير في خلْق السموات والأرض حين قراءة هذه الآيات، وشدَّد النبي -ﷺ- في ذلك؛ إذ يقول: ((ويلٌ لمن قرأها ولم يتفكَّر فيها)).

والتفكير في الآيات الكونية الذي وجَّه إليه الإسلام في الكتاب والسنة، إنما هو إرضاء للتطلع النفسي للتفسير والفَهم المغروس في نفوس البشر.

على أن جماعةً من المفكرين المسلمين يرون - مع علْمهم بآلية التداعي بين المعاني المتشابهة، ومع علمهم بفطرية الدافع إلى التفكير للفهْم والتفسير، ومع علْمهم بتوجيه القرآن الكريم إلى التداعي الإرادي بين الآيات القرآنية، وبين ما تُشير إليه من الآيات الكونية - هذه الجماعة ترى استبعاد تعريض القرآن الكريم للمسائل العلمية؛ ابتغاء إثبات الموافقة بينهما لخدمة العلم والإيمان، أو المخالفة بينهما لخدمة الجهل، يريد هؤلاء المفكرون أن يجعلوا التفكير للفهْم والتفسير بعيدًا تمامًا عن أي محاولة للربط بين القرآن الكريم والقوانين العلمية، ويرون أن القرآن لم يتعرَّض للمسائل العلمية صياغةً لقوانينها، أو وصفًا لظواهرها، أو حتى إشارةً إليها.

وأهم حُجج المبعدين لهذه الصِّلة بين القرآن والعلم، أن القوانين العلمية لا تُثبَت صِيَغُها على وضْع واحد، ويستدلون على ذلك بما كان قد أُثير في وقت سابق عن معنى قوله تعالى: ﴿ وَأَرْسَلْنَا ٱلرِّيَٰحَ لَوَٰقِحَ ﴾ (الحجر:٢٢)، من أنها تلقح الأزهار مما كان الخطأ فيه لغويًّا لا علميًّا.

وبعض هؤلاء المفكرين يَستبطن الخشية على القرآن من العلم، وقد يَحيك في نفوسهم ما يتعارض من القرآن في الظاهر مع القوانين العلمية، ولما يظهر لهم تأويله.

وبعضهم يستبطن الخشية على العلم من القرآن، وهم يضيقون - ولهم الحق - بمَن يَستند إلى ذلك التعارض الظاهري في إنكار العلم والزِّراية به، والدعوة ضده مما يتَّسم بالسذاجة والجهْل، وانعدام المسؤولية، ومما يحتجون به أيضًا: الخوف من إغراق بعض المفكرين في إخضاع الصياغات العلمية للصياغات القرآنية، وتكلُّف التشابه - بل الذاتية - بين الصياغتين في كثير من المسائل.

هذا الإغراق الذي يغري به فرط الحماس الذي تُثيره دقَّة القرآن الكريم في صياغة كثير من القوانين الاجتماعية والأخلاقية صياغاتٍ علميةً دقيقةً، ومن تعبيرات هؤلاء وأولئك أنَّ القرآن الكريم كتاب هداية، لا كتاب علمٍ.

ومن المفكرين المغرقين في ربط آيات الكتاب الحكيم بالعلم ربطًا وثيقًا: أستاذنا الشيخ طنطاوي جوهري - رحمه الله - وقراءة تفسيره الجواهر - على إمتاعها، وفتْحها لآفاق كان يجب أنْ يرتادها المسلمون - تُبرِّر الحكم على صنيعه بالإغراق، وقد كتَب كثير كتابات مُمتعة لا تنقصها الرُّوح العلمية ولا المنهج العلمي في العلاقة بين القرآن والطب، وبينه وبين علم النفْس، وبينه وبين الفلك.

ولست بصدد محاكمة الفريقين على الموقف المبدئي لكلٍّ منهما من علمية القرآن الكريم؛ لكني سأشير فقط إلى ما يخص الإسراء والمعراج من آراء كلٍّ منهما، مع بيان ما فيه من تجاوُز.

إن القول بعلمية القرآن لا يعني لدى القائلين به أنَّ القرآن كتاب هندسة أو كتاب فلك، ولكنه يعني أن القرآن إذا تعرَّض لآية كونية أو إنسانية لغرض الهداية إلى عظمة الخالق أو إلى الصراط المستقيم في السلوك - قد تبلغ عباراته من الدقة مبلغَ الصياغات العلمية الحديثة، وقد تُشير إلى الحقائق العلمية أو تتمشى معها، ولا تصطدم بها، أو لا تضع الحوائل في طريقها، أو تُمهد الطريق للوصول إليها، ناهيك بما في القرآن من حثٍّ على العلم، وتقديرٍ للعلماء، والنعْي على إهمال النظر والتفكير والتعقُّل، وبما فيه من تأصيل للمنهج العلمي كما صاغَه العلم الحديث.

فالخطأ ليس في القول بعلمية القرآن بهذا المعنى، ولكن الخطأ في عدم

اتخاذ منهج سليم لا يعرض تفسير القرآن الكريم لأنْ يتأثر بتغيير الصياغات للقوانين العلمية.

ويتلخَّص هذا المنهج في تفسير القرآن الكريم على ضوء العلم الحديث - فيما نرى - في أن ما نصل إليه ونَفهمه من القرآن الكريم، هو صياغة أو إشارة، أو عدم تعارُضٍ، أو اتساع لحقيقة علمية، ولا ندَّعي أن ما نَفهم هو مراد الله تعالى على الحقيقة، كما كان يدعي بعض الأقدمين، وكفَّر بعضهم بعضًا بسبب ذلك، فإذا تغيَّرت الصيغة العلمية، كان الخطأ في فَهْمنا لمراد الله تعالى من آياته، لا لمراد الله تعالى في ذاته.

ومتى اتُّبع هذا المنهج، انفتَح باب من الدراسات الإسلامية العلمية؛ مما يضع الأساس السليم لانطلاقة علمية من فروض إسلامية في الكون والحياة، انطلاقة تأخَّرتْ بغير مبرر، فتأخَّرنا عن الأمم بتأخُّرها.

إن الفريق الأول: يريد أن يفسر الإسراء والمعراج بعيدًا عن استصحاب أي معلومات عما اكتشَف العلم من حقائق، لا سيَّما ما يتعلق منها بما يسمى "غزو الفضاء"، ولا أدري أهذا الفريق - إذ يرفض ما يمكن أن يقال عن هذا الموضوع في عصر العلم - يمكن أن يقبل كلَّ ما قيل فيه في عصور الجهل والخرافة؟! أي أغلال يريد أن يكبِّل بها هؤلاء الفكرَ الإسلامي عن الانطلاق العلمي من مواقف إسلامية وفروض قرآنية؛ تُكمل، وتُسند، وتُغني الانطلاقَ العلمي من المواقف والفروض المستخدمة حاليًّا.

أما الفريق الثاني أو جزء منه، فيحاول عقد مقارنة ساذَجة بين الإسراء والمعراج، وبين ما يسمى بغزْو الفضاء، تحت إغراء شديد من المشابهة الظاهرة بين صعود النبي -ﷺ- إلى السماء، وبين صعود سفن الفضاء إلى

القمر والكواكب القريبة من الأرض، ولهؤلاء نقول: أين القمر؟ بل وأين أبعد كواكب المجموعة الشمسية (بلوتو) من ذلك الكون الواسع؟ وأيُّ فضاء ذلك الذي يتكلمون عن غزْوه؟ وما هو ذلك الغزْو؟ من المنتصر؟ ومَن المهزوم؟

يحاول البشر في القرن العشرين أن يبعدوا عن الأرض، وأنْ يخرجوا من قبضة جاذبيَّتها بما آتاهم الله من نعمة العلم بقوانينه الكونية، وقد أفلَحوا، لكن الخالق أغزى نبيَّه محمدًا -ﷺ- فضاء كونه الأعلى غزوًا حقيقيًّا، لا يقاس به ما يزعم البشر أنه غزو للفضاء، وبطريقة إذا قِيستْ بها طرق البشر، كانت قدرة البشر صفرًا، ولا يعني ذلك أن نُقلل تقليلاً ساذَجًا من القدرة البشرية الفائقة إذا قِيست اليوم بما كانت عليه بالأمس، أو إذا قِيس ما يَمتلكه منها فريق من البشر بما يَمتلكه فريق آخرُ.

إن رحلات زوند وسيوز، ومارينر، وأبوللو، لعملٌ عظيم بالنسبة لما كانت عليه قدرة البشر بالأمس القريب، أما رحلة النبي محمد -ﷺ- إلى السماء، فهي معجزة لا يتطلَّع إلى عُشر معشارها أوسعُ الخيالات العلمية جموحًا، والعلم الحديث بكل اتساعه وعُمقه، لم يقدِّم إلى الآن أيَّ طريقة لتصوُّر صعود النبي -ﷺ- إلى السماء.

إن تفكير المسلم ليَهدف - من ضمن ما يهدف إليه في علميات التداعي - إلى معرفة: هل التشابه بين الإسراء والمعراج وبين صعود سفن الفضاء، تَشابُه ظاهري، أم تشابُه حقيقي بمحاولة تصور الأمرين على السواء؟

ويُغري بالقول أنه تشابُه حقيقي؛ انسياقًا إلى تصيُّد ما يبدو أنه يؤيِّد وجهات نظرنا من أحداث جديدة، فلما جاءَت محاولات غزو الفضاء

تلقفْناها؛ لنستدلَّ بها على صدْق واقعة الإسراء والمعراج، وهو استدلال في غير مطلبه؛ لأن واقعة الإسراء والمعراج لم تكن لتَنتظر قرابة الألف والخمسمائة عام لوقوع ما يصدقها، فالواقعة ثابتة بطرق لا يَرقى إليها الشك، ولا تبعد عن المناهج المعتمدة للاستدلال.

كما يردُّنا إلى القول بأن التشابه بين الإسراء والمعراج، تشابُه ظاهري حقائق علمية لا يمكن إغفالُها وتجدر الإشارة هنا - دون تفصيل - إلى أن الإسراء يمكن تصوُّره في ضوء الحقائق العلمية المتاحة، أمَّا المعراج، فجُد مختلف.

لما جاء الإسلام أطلَق تصور الناس عن الزمان والمكان من قيوده، إلى أوسع مدى يُمكن أن يبلغه الخيال البشري في ذلك العصر، وفي العصور التالية، حتى عصْرنا عصر الصواريخ، وقدم الإسلام التمهيد الضروري للتصور الحديث للزمان والمكان، ولقد كان فرعون يطلب صرْحًا يبلغ به أسباب السماوات؛ ليطلع إلى إله موسى؛ مما يدل على مدى التصور البشري في ذلك الوقْت لاتِّساع الكون.

وفي اتساع المكان قال القرآن الكريم: ﴿ وَٱلسَّمَآءَ بَنَيۡنَٰهَا بِأَيۡيْدٖ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ﴾ (الذاريات:٤٧)، وقال النبي -ﷺ-: ((ما السموات السبْع في الكرسي إلا كحلقة ملقاة بأرض فلاة، وفضْل العرش على الكرسي كفضْل تلك الفلاة على تلك الحلقة))، "السلسلة الصحيحة"، وفي اتِّساع الزمان قال القرآن الكريم: ﴿ وَإِنَّ يَوۡمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلۡفِ سَنَةٖ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴾ (الحج:٤٧)، وقال: ﴿ تَعۡرُجُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيۡهِ فِي يَوۡمٖ كَانَ مِقۡدَارُهُۥ خَمۡسِينَ أَلۡفَ سَنَةٖ ﴾ (المعارج:٤).

ولعل المبعدين للقرآن عن العلْم، وللعلم عن القرآن، كانوا يريـدون أن يقول الباري - سبحانه -: خمسين ألف سنة نوريـة؛ ليعترفـوا بوجـود علاقـة متبادلة بين القرآن والعلم.

لقد وضَـع الإسـلام البشر عـلى أول الطريـق؛ لتقريـب اتِّـساع الزمـان والمكان إلى تصوُّرهم، وأوصل العقل البشري إلى المرحلـة الـسابقة مباشـرةً، والمُمهدة التمهيد الـضروري للمراحـل الحاليَّـة والتاليـة في تـصوُّره للزمـان والمكان، وجاء الفلك الحديث فوجَد العقل البشري قد خطا أُولى الخُطوات، فخطا به خُطوات أخرى واسعات.

إن اتساع الكون قد أصبَح الآن فوق التصور؛ بحيث إن تسمية رحـلات الفضاء غزوًا للفضاء، أمْر أبعد ما يكون عن الدقة العلمية، بل هو مجاز منقطع الصلة بالحقيقة.

وبغير لجوءٍ إلى الأرقام التي تصف اتِّساع الكون، والتي تُصيب بالـدوار حتى عقول جبابرة علم الفلك، يمكننا أن نقول:

إن رحـلات الإنـسان إلى الفـضاء لـن تبلـغ في المـدى القـصير، ولا في المدى البعيد جدًّا - بحسب ما أُتيح إلى الآن من الحقائق العلميـة - إلا كـسرًا ضئيلاً جدًّا مـن أبعـاد الكـون، ولـن تـصلَ رحلاتـه المقبلـة - تبعًـا لأوسـع الخيالات العلمية انطلاقًا - إلى أبعد من كسر ضئيلٍ جدًّا من المـسافات التـي وصَلت الرياضة الفلكية إلى حسابها.

إن غزاة الفضاء الشجعان والمخططين لهم، ليس عندهم مـن الحقـائق العلمية إلى الآن مـا يمـد أمَلهـم إلى ارتيـاد أجـرام أبعـد مـن الـشمس وبَنيهـا (الكواكب) وأحفادها (الأقمار)، أما باقي النجوم - وشمـسنا واحـدة منهـا -

فهي من البُعد عنا، بحيث إن الصواريخ - حتى بسرعة عشرين ألف ميل في الساعة - تعتبر وسيلةً بدائية جدًّا، وغير عملية على الإطلاق لارْتياد أفلاكها، وإذا كان التمثيل يُقرِّب المعنى، فإن المشي بسرعة النملة وسيلة متقدِّمة جدًّا لعابري القارات، وذات كفاية عالية جدًّا في هذه المهمة، إذا قِيستْ بوسيلة الصواريخ بالنسبة لغزاة الفضاء.

إن أقرب الأجرام السماوية إلى الأرض، هي أفراد أسرة الشمس، وأقرب أجرامها إلى الأرض القمر، والوصول إليه بسفن الفضاء يستغرق ١٢ ساعة تقريبًا، إذا سار إليه الصاروخ في خطٍ مستقيم، وبسرعة منتظمة (٢٠٠٠٠ ميل في الساعة)، وهو لا يسير إليه في الواقع لا في خطٍ مستقيم، ولا بسرعة منتظمة، ويلي القمر في البعد عن الأرض كوكب الزهرة أثناء توسُّطها بين الأرض والشمس، وبُعدها المتوسط عن الأرض يبلغ ٢٦ مليون ميل، يَقطعها الصاروخ في خطٍ مستقيم وسرعة منتظمة في ٥٤ يومًا تصل في الواقع إلى ما يزيد عن الأربعة أشهر، وأبعد إخوة الأرض عنها بلوتو الذي يَصل إليه الصاروخ بالشروط السابقة - الخط المستقيم والسرعة المنتظمة ٢٠ر٠٠٠ ميل في الساعة - في إحدى وعشرين سنة وربع سنة، ويصل إليه ضوء الأرض المنعكس من الشمس في خمس ساعات ونصف ساعة.

وقد ضرَب العلامة الدكتور "أحمد زكي" مثلاً لأبعاد أسرة الشمس فيما بينها، فقال: إذا كانت الشمس قرصًا قُطره أزيد من ثلاثة أرباع المتر، فإن عطارد يكون عدسة على بعد ٣٦ مترًا من القرص، وتكون الزهرة حبة فول على بعد ٦٧ مترًا منه، وتكون الأرض حبة فول أكبر قليلاً من الزهرة على بعد ٩٣ مترًا، ويكون المريخ كسمسمة تبعد عن القرص ١٤٢ مترًا، ويكون المشترى كبرتقالة على بعد ٤٨٢ مترًا، ويكون بلوتو حبة فول على بعد ٣٦٧٠ مترًا.

وبالرغم من هذه الأبعاد الشاسعة، فإن أفراد الأسرة الشمسية تبدو متلاصقةً بمقارنة أبعادها فيما بينها، وبمقارنة أبعاد النجوم بعضها عن بعض وعن المجموعة الشمسية، ولعل تلاصُق أفراد المجموعة الشمسية، هو نتيجة لشعورها بالوحدة القاسية وسط مجموعات النجوم؛ فإن أقرب مُؤنس لهذه الأسرة من غير أفرادها هو ألف قنطورس، وهو أحد نجوم كوكبة قنطورس التي تُرَى في السماء في نصف الكرة الجنوبي، وبُعده عن الشمس ٤٣ سنة ضوئية، ويقول العلامة الدكتور "أحمد زكي": إذا كانت الشمس نقطة حبر على هذه الورقة، فإن ألف قنطورس نقطة أخرى تقع منها على بُعد أربعة أميال.

إن حساب زمن الوصول إلى ألف قنطورس من أيِ فردٍ من أفراد أسرة الشمس بسرعة الصاروخ، لهو أمْر بالغ السخف، ولو فكَّرنا في حساب زمن الوصول إلى القمر من الأرض بسرعة السلحفاة، لكان تفكيرنا هذا أقلَّ سخفًا من التفكير في زمن وصول الصاروخ إلى ألف قنطورس؛ لأنه سيصل إليه في مائة واثنين وأربعين ألف سنة.

ومن يريد أن يعرف بُعد ألف قنطورس عن المجموعة الشمسية، فما عليه إلا أن يضرب سرعة الضوء (١٨٦٠٠٠ ميل في الثانية) في عدد الثواني الموجودة في ٤٣ من السنين؛ ليجد أمامه الرقْم ٢٥، وأمامه ١٢ صفرًا؛ أي: ٢٥ مليون مليون ميل، فلو زال ألف قنطورس من الوجود، أو انطفأ فجأة، لاستغرَق آخر شعاع صدر منه ٤٣ من السنين؛ كي يصل إلينا لينعي غياب هذا الجار القريب؛ مما يجعلنا نهزُّ أكتافنا قائلين: يَرحمه الله.

ومن النجوم ما يصل إلينا ضوْءُه في عشرات السنين، ومنها ما يصل في مئاتها، ومنها ما يصل في آلافها، ومنها ما يصل في ملايينها، ومبدع السموات يقول: ﴿ وَٱلسَّمَآءَ بَنَيْنَـٰهَا بِأَيْيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ﴾ (الذاريات:٤٧).

إن تسمية رحلات الفضاء غزوًا للفضاء، تجاوزٌ نَستسيغه لإرضاء غرورنا، فإن السفن التي دارَت حول المريخ، أو حتى التي اتَّخذت مدارًا حول الشمس - لم تَقطع من مسافات الكون إلا نسبةً مماثلةً لما يقطعه المتحرِّك بمقدار سنتمتر إلى القمر، ونُكرِّر أننا لا نبخس العقل البشري خطواته الواسعة بالنسبة لما كان يتحركه من قبلُ في كشْف المجهول.

إن غزْو الفضاء وراء المستعمرة الشمسية، يتحقَّق في ظروف خاصة مستحيلة عمليًّا، مثل أن يصعد في الفضاء جماعات كبيرة من العلماء وفي سفن كبيرة تسمح بتزاوجهم وتسلسُل الأجيال فيهم، ويكون من نصيب الجيل المكمل للخمسة آلاف من جيل بَدْء الرحلة، الوصول إلى كوكب من كواكب ألف قنطورس إذا كان له كواكب؛ لأن ألف قنطورس مُلتهب، والقرب منه فوق حدٍّ محدود يكفي لاحتراق أي مادة نعرفها على الأرض، وتحويلها إلى بخارٍ، وقد يتيسَّر مثل هذا المشروع لو أخذنا الأرض نفسَها كسفينة فضاء، وسِرنا بها في اتجاه النجوم!

ومن أحلام العلماء في النوم أو في اليقظة، أن يرسل الإنسان أو غيره رسالة - كرسالة لاسلكية - بأن يوضع في جهاز إرسال لاسلكي؛ ليُفتته إلى بروتونات وإلكترونات، بل جسيمات منها، ثم يستقبله جهاز آخر، يَجمع هذه الجسيمات مرةً أخرى على الهيئة التي وُضِع بها في جهاز الإرسال، ويا ويل هذا الطرد إذا لم تَنضبط له المحطتان انضباطًا تامًّا؛ لأن تفرُّقه إذًا لن ينتهي أبدًا إلى اجتماع.

وإذا نجح البشر في صُنع الجهازين، وإذا نجحوا في وضْع جهاز الاستقبال في مكانه بطريقة السفر الجماعي بعد آلاف الأجيال، فإن الموجات المرسلة من جهاز الإرسال، قد تحتاج إلى عشرات السنين، بل إلى آلافها، بل

إلى ملايينها؛ للوصول بالطرد الآدمي اللاسلكي إلى بعض النجوم إن طالَ به العمر.

وهنا يستيقظ العالم مذعورًا ليقول: ﴿ لَخَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ ٱلنَّاسِ ﴾ (غافر:٥٧)، وصدق الله العظيم.

هذا، والإسراء والمعراج رحلتان متمايزتان، لم يُتح التمييز الدقيق بينهما إلا في العصر الحديث، وبفضْل العلم الحديث وما حقَّق للبشرية من معجزات؛ فرحلة الإسراء رحلة أرضية أرضية، وبتعبير حربي رحلة من الأرض للأرض، أما رحلة المعراج، فرحلة سماوية بكلِّ معنى لكلمة سماوية.

وإذا كانت سرعة الصواريخ قد قرَّبت لنا تصوُّر كيف سارتْ رحلة الإسراء، فإن سرعة هذه الصواريخ لن تساعد على أن نتصوَّر كيف سارت رحلة المعراج، وحتى سرعة الموجات اللاسلكية، لن تساعد على تقريب هذا التصور.

ويبقى على المتكلمين في علمية القرآن بمنهج وبغير منهج، ألا يُحملوا الإسراء والمعراج عبْءَ الدلالة على علمية القرآن، إلا بالقدر الذي أشرْتُ إليه في رحلة الإسراء.

وإذا تداعت معاني السفر بين الأجرام السماوية حين يذكر الإسراء والمعراج، أو تداعتْ معاني الإسراء والمعراج حين يُذكر السفر بين الأجرام السماوية تداعيًا آليًّا، أو بتوجيه من القرآن الكريم والحديث الشريف - فإن ألَحَّ أنواع هذا التداعي لهو وجود مَهبط الإسراء ومصعد المعراج في أيدي أعدائنا وأعداء الله، وأعداء الإنسانيَّة.

إن مصيبة الإسلام باحتلال الصِّهيونيين لبيت المقدس، لهو من العِظَم والفداحة، بحيث نجد أنفسنا منساقين إلى وصْفه بالتاقيت، وإلى قياس هذا الاحتلال على احتلال الصليبيين له في القرنين السادس والسابع الهجري، ذلك الاحتلال الذي انتهى بالجلاء حين توحَّد العرب، وذلك الأمل لا يرجع عندنا كما يَعتقد الصهاينة إلى قدر غيبي، بل هو نابع من تصميمٍ على العلم؛ لإزاحة هذا الكابوس بجِدٍّ لا يَعرف الهزْل، وعملٍ لا يَعتريه المَلل.

وإذا كانت مؤتمرات القمة وغيرها من المؤتمرات الإسلامية، تتمخَّض عن مواقف متخاذلة فرضَتها عواملُ لا حصْر لها، فإن هذه المواقف قد وضَعت المسلمين أمام عوامل تفرُّقهم وضَعْفهم، ودلَّت على ما يجب أن يُلتمسَ لها من علاج، فضْلاً عن أنها بيَّنت للذين يُعلِّقون على التجمع الإسلامي الآمالَ، أنه لا يزال أمامهم عملٌ كبير للتخلص من أسباب تخلُّفهم الديني والدنيوي.

وإن التعلل بأن الله لا يرضى لبيت المقدس أن يظلَّ في أيدي الصهاينة، وتحميل آيات سورة الإسراء ما لا تحتمل من الاتِّكالية الخرْقاء - لهو صيغة أخرى لقول الصهاينة لموسى: ﴿ فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَـٰتِلَآ إِنَّا هَـٰهُنَا قَـٰعِدُونَ ﴾ (المائدة: ٢٤).

إنه لن يظهر أبدًا للعالم غير المسلم، ما إذا كان ربُّنا راضيًا عن ذلك الاحتلال، أو غير راضٍ، إلا إذا غيرنا بأيدينا الوضْع؛ لتَصْدُق كلمة الله في سورة الإسراء: ﴿ وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا ﴾ (الإسراء:٨)؛ أي: إن عُدتم إلى الإفساد بعد المرتين المذكورتين في الآيات السابقة، عُدنا عليكم بالإذلال.

وإن حتميَّة أن يغلب مائة مليون عربي المليونين من الصِّهيونيين، لا

ترجع إلى كونهم مائة مليون في العدد، فإن في ذلك مدًّا آليًّا في حبال الاستعداد، وتمهيدًا ذهنيًّا للتكاسل، ولكن هذه الحتمية ترجع إلى كونهم مائة مليون يعملون إمكاناتهم المتاحة بكفاءة، ويحصلون من الإمكانات الأخرى بوعي بالزمن، وبأبعاد المعركة، وبسرعة العصر.

لقد كان تضييق تصوُّر وسائل النصر، وحصْرها في الاستعداد العسكري والكثرة العددية - هو سمة الاستعداد السابق على ٥ يونيه سنة ١٩٦٧، ومن الدروس التي يجب أن تُستفاد من النكسة: ألا نقصر استعدادنا على هاتين الناحيتين فحسْب، بل لا بدَّ من أن يشملَ الاستعداد التعبئة العلمية والخُلقية التي تتمثل في النظام، وتقدير العلم، والإخلاص في العلم، وبذْل الجهد في الإنتاج، ومحاربة الانحلال والتخلُّف، والثقة في القادة، واصطناع المنهج العلمي في حياتنا.

بَقِيت في هذه الدراسة كلمة:

إن ذكْر الإسراء في مطلع الآيات التي تحكي أكبر مرتين أفسَد فيهما اليهود في العالم، ليُشبه أن يكون إشارةً إلى أن ثمة علاقة ما بين المسجد الأقصى وبين إفساد اليهود في الأرض، يمكن أن نستنتج منها أن احتلال المسجد الأقصى سيكون أشدَّ مظاهر عودهم للإفساد، وأقوى دواعي عود الله عليهم بالقهْر والإذلال؛ إذ يقول - جل وعلا -: ﴿وَإِنْ عُدْتُمْ عُدْنَا﴾ [الإسراء: ٨]، ولا أعني بهذا إلا أن عودة الله عليهم بالقهر، لن تكون إلا بأيدينا وأخلاقنا، وعقولنا وعلْمنا.

***

بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه

جِيء بالبراق، وركب رسول الله -ﷺ- لبيت المقدس فصلى بالأنبياء ثم عُرج به إلى السموات العلى، فدنى وتدلى وكان قاب قوسين أو أدنى، ورأى من آيات ربه الكبرى، ثم عاد إلى الناس يخبرهم بما كان من أمره، ولم يخش في الله لومة لائم، لم يخش من تكذيبهم وقد كان يتوقعه.

صدّق البعض ولم يتردد، وكذَّب البعض ولم يتردد، وطلب فريق الدليل على صدق الخبر، ورأى فريق أن في الأمر فرصة للتشهير بالنبي -ﷺ- ووصفه بالكذب فراح يُسوِّق الخبر بطريقته.

والحقيقة أن هذا هو حال الناس مع الوحي جملة... مع أحكامه وأخباره. منهم من يصدق الخبر ثقة في المخبر، ويقتنع بالحكم ثقة في حِكمة المشرع جل وعلى، ومنهم من يعرض الخبر على عقله أو على رصيده المعرفي فإن اقتنع وإلا ردّه.

ومنهم المغرضون الذين لا هم لهم إلا صدِّ الناس عن دين الله... الذين ينتظرون فرصة ليشهروا بالدين والدعاة. مع أنهم يعرفون ما في الدين من الخير ﴿ وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ﴾ (النمل:١٤).

هي قضية كبرى... هي قضية أساسية محورية: ما هو المصدر اليقيني للمعرفة؟ من هو الذي نثق فيه ونأخذ منه العلم؟

أهو الوحي؟ أم هو العلم التجريبي... الحواس الخمس؟. والشرع لا يتعارض أبدا مع العقل.

مما لا شك فيه أن الحواس لا تستطيع إدراك كل شيء على حقيقته،

ومما لا شك فيه أيضا أن المعرفة التجريبية نسبية تتغير يوما بعد يوم تبعا لتطور وسائل البحث، فانظر إلى النظريات العلمية كيف أن نظريات اليوم تعدل نظريات الأمس، وكيف أن هذا الأمر في كل العلم التجريبي بلا استثناء. إذا كيف يثق المرء بهذا العقل العاجز المحدود؟ وكيف تنبني ثقة على من يتغير كلامه يوما بعد يوم؟!

إن من كذَّب حادث الإسراء قاس الأمر على عقله وعلى ما لديه من معرفة تجريبية فقال: " نضرب إليها أكباد الإبل شهرا ونعود شهرا وأنت تزعم أنك أتيتها وعدت في ليلة واحدة؟!

عرض الأمر على معلوماته الحسية الضئيلة فلم يستقيم الأمر عنده فرده بدعوى استحالة ورود المعنى الحقيقي !!

إن العقل محدود التفكير ومحدود الوسائل، وإن الشرع من الله العليم الخبير القدير، فإن صح الخبر واستقامت الدلالة مع أساليب اللغة العربية فليس لنا إلا التصديق والإتباع، كما فعل الصديق ــ رضي الله عنه ـــ حين سمع بخبر الإسراء والمعراج.

أذكر مرة كنت أتحدث مع زميل لي حول هذا السؤال: بم يفهم الإنسان؟ بقلبه أم بعقله؟

وكنت قد قرأت لأئمة أهل السنة والجماعة السابقين والمعاصرين أن المرء يفهم بقلبه وليس بعقله. لصريح القرآن: ﴿ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا ﴾ (الأعراف:١٧٩). ولصريح قوله تعالى: ﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَآ أَوْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ

وَلَٰكِن تَعۡمَى ٱلۡقُلُوبُ ٱلَّتِي فِي ٱلصُّدُورِ﴾ (الحج:٤٦).

فقلت: هو يفكر بقلبه وليس بعقله - وإن كانت معلوماتي الطبية تضاد ذلك - ثقةً في دلالة الخبر القرآني. وهو جزم بما درسناه بأن العقل في الرأس ثقة بأن الذي قال هذا هو العلم التجريبي المشاهد. واحتج علي بأنه تم نقل قلب هندوسي إلى مسلم فقام المسلم يصلي ولو كان الأمر كما تقول لقام يعظم البقرة.

ومن قريب سمعنا أن الطب اكتشف أن عملية التفكير تتم في القلب وليس في العقل. فكتبت إليه رسالة عنوانها هذه الآية ﴿ بَلۡ كَذَّبُواْ بِمَا لَمۡ يُحِيطُواْ بِعِلۡمِهِۦ وَلَمَّا يَأۡتِهِمۡ تَأۡوِيلُهُۥ ﴾ (يونس:٣٩).

ومن يتدبر حال من قالوا بنفي الصفات عن الله عز وجل، ونفي رؤية الله في الجنة،ومن يتدبر حال هؤلاء المُحدثين الذين يسمون بـ (المفكرين) أو ما يسمون بـ (العقلانيين) - مع التحفظ الشديد على الاسم ولذا وضعته بين قوسين - تجد أن لُبَّ المشكلة في قضية التسليم للخبر حين تتضح الدلالة، وأن العقول معظمة عند أصحابها لذا وطئ بعضهم النص بلا حياء ولا رهبة، وحمله البعض الآخر وصار به حيث يريد هو لا كما يريد النص.

إن المخلصون.. الأتقياء البررة يقولون - بلسان حالهم ومقالهم - أن صدق الخبر نستدل عليه من صدق المخبر، ومن هؤلاء أبي بكر، صدق لأن المتكلم هو النبي محمد -ﷺ- ليس إلا.

وهذا مسلك الصالحين: أخبرني من لا ينطق عن الهوى، أخبرني الصادق الأمين. وكون الخبر من رسول الله -ﷺ- فهذا لا يحتاج لدليل يعضده. وإن تعارض مع كل عقل ونقل: " قل أأنتم أعلم أم الله ". لا شك: الله أعلم.

ومن وجهة نظري أن الخلل هو في فقد التصور الكامل عن الله عز وجل والثواب والعقاب، خلل في توحيد الربوبية (معرفة الله بأسمائه وصفاته) أدى إلى نقص في توحيد العبادة (الألوهية)، ونفوس جهلت ـ أو نسيت ـ أنها موقوفة بين يدي الله عز وجل وأنها مسئولة ثم إلى نار أو إلى جنة.

لو أن النفوس تعلم ربها حق المعرفة، لوقفت حين تحتار في أمر الخبر وما جرئت على المساس بالنص فضلا عن المرور عليه أو حمله بتأويلات فاسدة، تماما كما فعل أبو بكر يوم الإسراء ويوم الحديبية حين علم بشروط الصلح. وكما فعل عمر يوم حاطب بن أبي بلتعة حين قيل له: «**لَعَلَّ اللَّهَ اطَّلَعَ إِلَى أَهْلِ بَدْرٍ فَقَالَ اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ فَقَدْ وَجَبَتْ لَكُمْ الْجَنَّةُ أَوْ فَقَدْ غَفَرْتُ لَكُمْ**» دَمَعَتْ عَيْنَا عُمَرَ وَقَالَ: «اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ». [البخاري/ كتاب المغازي].

إن مشهد الناس حول رسول الله -ﷺ- وهو يحدثهم عن الإسراء والمعراج، هو هو حالهم اليوم مع أحكام الشرع اليوم، بين مزعن مطيع يقول سمعنا وأطعنا كل من عند ربنا "، ومناقش يبحث عن العلة كي يفهم الحكم... الخ.

نحتاج اليوم من يتصدر لهذه الحالة من النقاش والجدل حول النصوص، وينادي في القوم ربكم أعلم وأحكم، وليس لكم إلى البحث عن صدق الخبر وصحة الدلالة. وإن في الإسراء لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد.



فوائد من حادثة الإسراء والمعراج

الحمد لله رب العالمين، وأصلي وأسلم على المبعوث رحمةً للعالمين، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فإن حادثة الإسراء والمعراج اشتملت على كثير من الفوائد والعبر، وهذه بعضها(١)

١/ لما كان بيت المقدس مُهاجَر كثير من أنبياء الله تعالى؛ كان الإسراء بنبينا ﷺ إليه ليُجمع له بين أشتات الفضائل. ومن حكم ذلك: أن يُعلم أنَّ هذه الأمة المحمدية أولى بهذا البيت من غيرهم. ولكن بسبب إعراضنا عن شرع ربنا ضاع بيت المقدس منَّا، وإن من البشارات النبوية التي يحسن التنويه إليها هنا قوله عليه الصلاة والسلام: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يُقَاتِلَ الْمُسْلِمُونَ الْيَهُودَ، فَيَقْتُلُهُمْ الْمُسْلِمُونَ، حَتَّى يَخْتَبِئَ الْيَهُودِيُّ مِنْ وَرَاءِ الْحَجَرِ وَالشَّجَرِ، فَيَقُولُ الْحَجَرُ أَوْ الشَّجَرُ: يَا مُسْلِمُ، يَا عَبْدَ اللَّهِ، هَذَا يَهُودِيٌّ خَلْفِي فَتَعَالَ فَاقْتُلْهُ. إِلَّا الْغَرْقَدَ؛ فَإِنَّهُ مِنْ شَجَرِ الْيَهُودِ»(البخاري ومسلم).

٢/ كان الذهاب بالنبي ﷺ إلى بيت المقدس ليلاً لأنه زمن يأنس فيه المسلم بالله منقطعاً عن الدنيا وشواغلها.

٣/ لما ذكر الله تعالى الإسراء نعت النبي ﷺ بالعبودية فقال: ﴿ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ ﴾ (الإسراء:١). ومن تأمل القرآن الكريم يجد أن الله تعالى نعت نبيه ﷺ بنعت العبودية في أسمى أحواله وأرفع مقاماته..

(١) استفدتها من مجموعة كتب صُنفت في هذا الموضوع، منها الآية العظمى للسيوطي وغيره.

ففـي مقـام الـدعوة: ﴿ وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبْدُ ٱللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا۟ يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا ﴾ (الجن:١٩).

ولما ذكر إنزال الكتاب عليه قـال: ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا ﴾ (أول الكهف).

وقـال مخبـراً عــن الــوحي إليــه:﴿ فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ ﴾ (النجم:١٠).

وقال عن جميـع المرسـلين:﴿ وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٧١﴾ إِنَّهُمْ لَهُمُ ٱلْمَنصُورُونَ ﴾ (الصافات: ١٧١-١٧٢).

فالعز كل العز في أن تكون عبداً لله تعالى.

٤/ اختلف العلماء في تأريخ الإسراء والمعراج اختلافاً عظيمـاً، فـذكر الإمام القرطبي المالكي -رحمه الله -في التفسير خمسة أقـوال (انظـر تفـسيره: ١٠/ ٢١٠)، وذكر السيوطي -رحمه الله- (١) لذلك خمسة عشر قولاً.

وهذه فائدة تتفرع عنها الفائدة التالية:

٥/ عدم التعيين تعيين للعدم.

وأريد بذلك: أنه لا يُشرع للإنسان أن يخص ليلة المعراج بقيام من بـين الليالي، ولا نهارها بصيام من بين الأيام؛ إذ لو كان ذلك من الشرع في شيء لمـا اختُلف في تحديدها هذا الاختلاف، إذ كيف تُـشرع عبـادة في ليلـة لا نـصَّ في تحديدها ألبتة، وإنما هي أقـوال دون إثباتهـا خـرط القتـاد!! قـال ابـن رجـب الحنـبلي رحمــه الله: "و أمــا الإســراء فقيـل: كــان في رجــب، و ضــعفه غيــر

(١) انظر كتابه: الآية الكبرى في شرح قصة الإسرا، ط دار الحديث بالقاهرة، ص: ٦٠-٦٢.

واحد"(لطائف المعارف:١/ ١٠١).

ولا يَستشكلنَّ أحدٌ أنَّ ليلة القدر لم تُحدَّد؛ لأنها في وتر العشر الأواخر من رمضان كما دلَّت عليه النصوص الصحيحة، وأما الليلة الموافقة لليلة الإسراء والمعراج فلا يصح في تحديدها إلا قول من قال: هي في إحدى ليالي العام!! وإذا كان الأمر كذلك فلا يمكن أن يشرع تخصيصها بشيء.

ثم إنه ينبغي أن نُفرِّق بين فعل العبادة، وبين تخصيصها بزمان أو مكان، فالذي اعتاد أن يصوم صوماً لو وافق صومه ليلة المعراج -لو فرضنا أنَّ تأريخها معلوم- فله أن يصومها، لا لكونها ليلة المعراج، وإنما لكون صومه وافق ذلك. وهكذا قل في شأن القيام. أما أن يخص الإنسان ليلةً أو يوماً بقيام أو صيام لم يدل الشرع على تخصيصها فهذا مما لا يُشرع. ومن الأدلة على التفريق بين فعل العبادة وبين تخصيصها بزمانٍ أو مكان قول النبي ﷺ: «**لَا تَخْتَصُّوا لَيْلَةَ الْجُمُعَةِ بِقِيَامٍ مِنْ بَيْنِ اللَّيَالِي، وَلَا تَخُصُّوا يَوْمَ الْجُمُعَةِ بِصِيَامٍ مِنْ بَيْنِ الْأَيَّامِ، إِلَّا أَنْ يَكُونَ فِي صَوْمٍ يَصُومُهُ أَحَدُكُمْ**» (مسلم). فالنبي صلى ﷺ لا ينهى عن عبادة الصيام والقيام، وإنما ينهى عن تخصيص العبادة بيوم لم يشهد له الشرع باعتبار، ونحن لا ننهى عن الصيام والقيام، وإنما ننهى عن تخصيص ليلة السابع والعشرين من شهر رجب بذلك.

٦/ من الواجب اعتقاده: أن الإسراء والمعراج كان بجسد النبي ﷺ وروحه، لا بروحه فقط؛ لما يلي:

أ. لأن هذا هو الذي يتماشى مع ظاهر النصوص، وليس من دليل يصرف هذه النصوص عن ظاهرها.

ب. ركوبه للبراق، وهي دابة فوق الحمار ودون البغل. ولو كان

الإسراء بروحه لم يكن من حاجة للركوب.

ت. قوله تعالى: ﴿أَسْرَى بِعَبْدِهِ﴾، فلو كان الإسراء بروحه لقال: روح عبده.

ث. لو كان بروحه لما كذبته قريش؛ فإن عقولهم لا تنكر أن الأرواح قد تجوب الآفاق في لحظة.

ج. ﴿ وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا ﴾ (الفرقان:٥٤).

٧/ أن أفضل الأنبياء نبيُّنا ﷺ؛ لأنه تقدم عليهم وصلَّى بهم، وبلغ في المعراج مبلغاً لم يبلغه أحد منهم. وهذا مما لا ينازع فيه أحد.

٨/ بعض الناس -هداهم الله- يحتفلون بليلة الإسراء والمعراج، وقد اصطلحوا على أنَّها ليلة السابع والعشرين من رجب! وفي تقديري أنه لو كان لابد من إبداء المشاعر لكان إبداء مشاعر الحزن أولى من إظهار الابتهاج والفرح؛ ذلك لأن النبي ﷺ أُسري به إلى بيت المقدس، فأين بيت المقدس الآن؟

ثم إنَّا نستسمح المحتفلين أن نسألَ سؤالاً: هل احتفل النبي ﷺ وأصحابه بهذا الليلة؟

فإن قالوا: نعم. قلنا: ﴿ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَـٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴾ (البقرة:١١١).

وإن قالوا: لا. قلنا: «أحسنُ الهدي هديُ محمَّدٍ ﷺ» (البخاري). فليسعْنا ما وسِعَ رسولَ الله ﷺ وأصحابَه.

٩/ لقي النبي ﷺ في السماء الأولى: آدم، وفي الثانية: عيسى ويحيى، وفي الثالثة: يوسف، وفي الرابعة: إدريس، وفي الخامسة: هارون، وفي السادسة:

موسى، وفي السابعة: إبراهيم -عليهم صلوات الله وتسليماته-.

والحكمة في اختيار هؤلاء الأنبياء -والله أعلم- أنه بمقابلة آدم -عليه السلام- يتذكر أنه أُخرج من موطنه وعاد إليه، فيتسلى بذلك إذا أخرجه قومه من موطنه.

وأما عيسى ويحيى -عليهما السلام- فلما لاقاهما من شدة عداوة اليهود، وهذا أمر سيلقاه النبي ﷺ في مدينته.

وأما يوسف فلما أصابه من ظلم إخوته له، فصبر عليهم، وقد طَرد أهلُ مكة النبيَّ ﷺ وأرادوا قتله.

وأما إدريس فلرفعة مكانه التي تشحذ الهمة لنيل أعلى الدرجات عند رب السماوات.

وأما هارون فلأن قومه عادوه ثم عادوا لمحبته.

وأما موسى فلشدة ما أُوذي به من قومه، حتى إن نبينا ﷺ قال في ذلك: «يَرْحَمُ اللَّهُ أَخِي مُوسَى؛ قَدْ أُوذِيَ بِأَكْثَرَ مِنْ هَذَا فَصَبَرَ» (البخاري ومسلم).

وفي ملاقاة إبراهيم -عليه السلام- في آخر السماوات مسنداً ظهره للبيت المعمور إشعار بأنه ﷺ سيختم عمره الشريف بحج البيت العتيق.

١٠/ أنَّ الهداية بيد الله، وأن من حجبها الله عنه فلن تجد له هادياً ونصيراً، فعن أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَقَدْ رَأَيْتُنِي فِي الْحِجْرِ(١) وَقُرَيْشٌ تَسْأَلُنِي عَنْ مَسْرَايَ فَسَأَلَتْنِي عَنْ أَشْيَاءَ مِنْ بَيْتِ الْمَقْدِسِ لَمْ أُثْبِتْهَا، فَكُرِبْتُ كُرْبَةً مَا كُرِبْتُ مِثْلَهُ قَطُّ، فَرَفَعَهُ اللَّهُ لِي أَنْظُرُ إِلَيْهِ مَا يَسْأَلُونِي عَنْ شَيْءٍ

(١) يُسميه الناس: حجر إسماعيل ! ولا مُسوِّغَ لهذه التسمية.

إِلَّا أَنْبَأْتُهُمْ بِهِ»(مسلم). ومع ذلك كذبوه وسفَّهوا كلامه، بل ارتد بعض ضعاف الإيمان.

١١/ وفي قصة المعراج أنَّ جبريل كان يستفتح أبواب السماء، فيقال له: "من"؟ فيقول: "جبريل". ففيه دليل على أنَّ المستأذن إذا قيل له: من؟ سمَّى نفسه بما يُعرف به، ولا يقول: أنا. لحديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: أتيت النبي ﷺ في دين كان على أبي فدققت الباب، فقال:«من ذا»؟ فقلت: أنا. فقال:«أنا أنا»!! كأنه كرهها (البخاري ومسلم).

١٢/ وجد النبي ﷺ أبواب السماء مغلقة وكانت تُفتح لهما، وفي هذا من الإكرام له ما لا يخفى؛ «لأنه لو رآها مفتحة لظنَّ أنَّها كذلك» (الآية العظمى، ص:٧١).

١٣/ وحديث المعراج دليل من مئات الأدلة التي تدل على علو الله تعالى على جميع مخلوقاته؛ فقد رأى النبي ﷺ حجابه بعد السماء السابعة.

١٤/ ﴿ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ ﴾ (المدثر:٣١)، فقد أخبر النبي ﷺ بأن البيت المعمور يدخله كل يوم سبعون ألف ملك ثم لا يعودون إليه. فعدد ملائكة الرحمن لا يحيط به إلا هو سبحانه.

١٥/ قبح الغيبة، وبيان عاقبة أهلها، فعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَمَّا عُرِجَ بِي مَرَرْتُ بِقَوْمٍ لَهُمْ أَظْفَارٌ مِنْ نُحَاسٍ يَخْمُشُونَ وُجُوهَهُمْ وَصُدُورَهُمْ، فَقُلْتُ: مَنْ هَؤُلَاءِ يَا جِبْرِيلُ؟ قَالَ: هَؤُلَاءِ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ لُحُومَ النَّاسِ وَيَقَعُونَ فِي أَعْرَاضِهِمْ» (سنن أبي داود).

١٦/ ومن دروس المعراج: إثبات عذاب البرزخ؛ للحديث السالف. وفي بعض طرق قصة المعراج ذكر لبعض المعذبين، إلا أنَّ علماءنا طعنوا

فيها؛ ولذا أعرضت عنها.

١٧/ الحادثة بجملتها فيها تسلية للنبي ﷺ بعدما امتلأت جوانب حياته بسحائب الكآبة والأحزان، فكانت هذه الحادثة التي اضمحلت أمامها تلال الغموم الناتجة من ازدراء قومه له وتكذيبه. إنَّ المرء إذا أراد أن يُقنع الناس بمبدأ معينٍ وتصدى أهله وعشيرته لتكذيبه والنيل منه بسبب ذلك واجه من الأحزان قدراً لا يحيط به إلا الله تعالى؛ لأن باقي الناس ممن ليسوا بأهله أولى بتكذيبه واستهجان طرحه..

وظلمُ ذوي القربى أشد مضاضةً   على المرء من وقع الحسام المهنَّد

ومن هذا يُستفاد: أن مع العسر يسراً، وأن من الضيق فرجاً، وبالشدة رخاءً.

١٨/ مكانة الصلاة في دين الإسلام، فإن الله اختصها بأن فرضها على نبيه ﷺ بلا واسطة.

١٩/ أكثر أمة يدخلون الجنة الأمة المحمدية، فإن النبي ﷺ لما أراد مفارقة موسى –عليه السلام– إلى السماء السابعة بكى، فقيل: "ما يبكيك"؟ قال:" لأن غلاماً بُعث بعدي يدخل الجنة من أمته أكثر مما يدخلها من أمتي" (البخاري ومسلم).

٢٠/ بركة النصح للمسلمين؛ فإنه بسبب نصح موسى لنبينا ﷺ خفف الله عنه الصلاة المفروضة إلى خمس صلوات.

٢١/ أنَّ الله تعالى كلَّم نبينا ﷺ كما كلَّم موسى عليه السلام، والذي يقف على الخصائص المحمدية –على صاحبها أزكى صلاة وأتم سلام– يعلم أنَّ الله أكرمه بالآيات التي أُكرم بها كثير من الأنبياء قبله، وزاده خصائص لم يُعطها أحدٌ قبله.

٢٢/ عظيم رحمة ربِّنا بنا، قال تعالى:﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْۚ وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا ﴾ (النساء: ٢٨).

٢٣/ الاستحياء من الله هدي نبوي كريم، فإن نبينا ﷺ قال لموسى -عليه السلام- لما طلب منه الرجوع بعدما صارت الصلاة خمس مرات:«إني قد استحييت من ربي». وقد أمر بذلك النبي ﷺ بقوله:«اسْتَحْيُوا مِنْ اللَّـهِ حَقَّ الْحَيَاءِ». قالوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّا نَسْتَحْيِي وَالْحَمْدُ لِلَّهِ. قَالَ:«لَيْسَ ذَاكَ، وَلَكِنَّ الِاسْتِحْيَاءَ مِنْ اللَّهِ حَقَّ الْحَيَاءِ أَنْ تَحْفَظَ الرَّأْسَ وَمَا وَعَى، وَالْبَطْنَ وَمَا حَوَى، وَلْتَذْكُرْ الْمَوْتَ وَالْبِلَى، وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ تَرَكَ زِينَةَ الدُّنْيَا. فَمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ فَقَدْ اسْتَحْيَا مِنْ اللَّهِ حَقَّ الْحَيَاءِ». [الترمذي، وحسنه الألباني].

٢٤، ٢٥/ خطورة الشرك، وعظيم فضل أواخر سورة البقرة.

فعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بن مسعود قَالَ:" لَمَّا أُسْرِيَ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ انْتُهِيَ بِهِ إِلَى سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى، وَهِيَ فِي السَّمَاءِ السَّادِسَةِ (١) إِلَيْهَا يَنْتَهِي مَا يُعْرَجُ بِهِ مِنْ الْأَرْضِ فَيُقْبَضُ مِنْهَا، وَإِلَيْهَا يَنْتَهِي مَا يُهْبَطُ بِهِ مِنْ فَوْقِهَا فَيُقْبَضُ مِنْهَا. قَالَ: ﴿إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَى﴾. قَالَ: فَرَاشٌ مِنْ ذَهَبٍ. قَالَ: فَأُعْطِيَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ثَلَاثًا؛ أُعْطِيَ الصَّلَوَاتِ الْخَمْسَ، وَأُعْطِيَ خَوَاتِيمَ سُورَةِ الْبَقَرَةِ، وَغُفِرَ لِمَنْ لَمْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ مِنْ أُمَّتِهِ شَيْئًا الْمُقْحِمَاتُ». (مسلم).

٢٦/ أنَّ رسولنا ﷺ لم ير ربه بعينه، وإنما رآه بفؤاده؛ لقول أبي ذر رضي الله عنه: سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ: هَلْ رَأَيْتَ رَبَّكَ؟ قَالَ:«نُورٌ أَنَّى أَرَاهُ» (مسلم). ولقول

(١) قال النووي -رحمه الله-:" كذا هو في جميع الأصول:السادسة. وقد تقدم في الروايات الأخر من حديث أنس أنها فوق السماء السابعة. قال القاضي: كونها في السابعة هو الأصح، وقول الأكثرين، وهو الذي يقتضيه المعنى وتسميتها بالمنتهى. قلت: ويمكن أن يُجمع بينهما فيكون أصلها في السادسة ومعظمها في السابعة " ((شرح مسلم: ٣/ ٢)).

أمّنا عائشة رضي الله عنها: " من زَعَمَ أَنَّ محمداً ﷺ رَأَى رَبَّهُ فَقَدْ أَعْظَمَ عَلَى اللَّهِ الْفِرْيَةَ ».(مسلم).

٢٧/ فضل أبي بكر الصديق الذي لم يُخالج قلبَه شك في صدق خبر النبي ﷺ، بل سارع إلى التصديق لما أخبرته قريش بخبر الإسراء بقوله:"إن كان قالها فقد صدق". فرضي الله عنه وأرضاه.

وصلي اللهم وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

***

العَطَاءَاتُ الرَّبَّانِيَّةُ لِسَيِّدِ البَرِيَّة

إن قدر محمد ﷺ لا يعرفه إلا ربُّ محمد ﷺ لذا؛ أعطاه ما لم يُعْطِ أحدًا من العالمين قبله أو بعده، ولا شك أن عطاءه النبوة والرسالة هو من أعظم العطاءات على الإطلاق قال تعالى ممتنًّا عليه بهذه النعمة: ﴿ وَوَجَدَكَ ضَآلًّا فَهَدَىٰ ﴾، أي غافلاً، كقوله جل ثناؤه: ﴿ لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى ﴾ (طه:٥٢)، والمعنى: كنت غافلاً عما يراد بك من أمر النبوة، فهداك وأرشدك، ولم تكن تدري القرآن والشرائع، فهداك اللّه إلى القرآن، وشرائع الإسلام؛ وهو معنى قوله تعالى: ﴿ مَا كُنتَ تَدْرِي مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ ﴾ (الشورى:٥٢).

وكان من أول هذه العطاءات الربانية لسيد البرية أنه لا ينسى شيئًا من القرآن الذي نزل عليه ألبتَّة، وهذا أنفع له خاصة وأنه النبي الأمي ﷺ قال تعالى: ﴿ سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ ﴾ (الأعلى:٦). فقد كان يقرأ عليه جبريل ما يقرأ من الوحي، وهو أُمي لا يكتب ولا يقرأ، فيحفظه ولا ينساه.

قال مجاهد: كان يتذكر مخافة أن ينسى، فقيل له: كفيتكه، وعنه أيضًا قال: كان النبي ﷺ إذا نزل عليه جبريل بالوحي، لم يفرغ جبريل من آخر الآية، حتى يتكلم النبي ﷺ بأولها، مخافة أن ينساها؛ فنزلت: "سنقرئك فلا تنسى" بعد ذلك شيئا، فقد كفيتكه.

وفي عام الحزن الذي مات فيه أحباؤه؛ زوجه خديجة، وعمه أبُو طالب أراد الله أن يسليه بمنح وعطاءات وهبات لم تكن لأحد قبله أو بعده، فمنحه رحلة الإسراء والمعراج؛ قال تعالى: ﴿ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ

﴿لِنُرِيَهُۥ مِنۡ ءَايَٰتِنَآۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ۝١﴾ (الإسراء:١).

قال ابن كثير: ﴿بِعَبۡدِهِۦ﴾ يعني؛ محمدًا، صلوات الله وسلامه عليه ﴿لَيۡلٗا﴾ أي: في جنح الليل ﴿مِّنَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ﴾ وهو مسجد مكة ﴿إِلَى ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡأَقۡصَا﴾ وهو بيت المقدس الذي هو إيلياء، معدن الأنبياء من لدن إبراهيم الخليل؛ ولهذا جمعوا له هنالك كلهم، فَأمّهم في مَحِلّتهم، ودارهم، فدل على أنه هو الإمام الأعظم، والرئيس المقدم، صلوات الله وسلامه عليه وعليهم أجمعين.

ولقد رأى من آيات ربه الكبرى في هذه الليلة الليلاء؛ فقد صلى ببيت المقدس، والتقى بالأنبياء، وصعد إلى السماوات العُلى، ورأى الجنة والنار، وتقدم إلى سدرة المنتهى ودنا من ربه -جل وعلا- حتى قال ابن عباس، عُرج بالنبي ﷺ حتى ظهر لمستوى يسمع فيه صريف الأقلام.

وقد فرضت عليه وعلى أمته في هذا المقام العظيم الصلاة، وقد كانت خمسين صلاة في اليوم والليلة، ولكنه عاد إلى ربه ليخفف عن أمته فكانت خمسًا في العمل وخمسين في الأجر، فهل نستأهل نحن المسلمون هذه البركات وهذه العطاءات؟!.

وقد تحدث النبي ببعض العطاءات والمنح التي أهدها الله له، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ صَلَّى عَلَيَّ صَلاةً صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ بِهَا عَشْرًا»(١)

وعنه ﷺ قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «بُعِثْتُ بِجَوَامِعِ الْكَلِمِ وَنُصِرْتُ بِالرُّعْبِ وَبَيْنَا أَنَا نَائِمٌ أُتِيتُ بِمَفَاتِيحِ خَزَائِنِ الْأَرْضِ فَوُضِعَتْ فِي

(١) (صحيح): مسلم ٤٠٨، أبو داود ١٥٣٠، النسائي ١٢٩٦.

يَدِي»(١)

وعن جَابِرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «أُعْطِيتُ خَمْسًا لَمْ يُعْطَهُنَّ أَحَدٌ قَبْلِي نُصِرْتُ بِالرُّعْبِ مَسِيرَةَ شَهْرٍ وَجُعِلَتْ لِي الأَرْضُ مَسْجِدًا وَطَهُورًا فَأَيُّمَا رَجُلٍ مِنْ أُمَّتِي أَدْرَكَتْهُ الصَّلَاةُ فَلْيُصَلِّ وَأُحِلَّتْ لِي الْمَغَانِمُ وَلَمْ تَحِلَّ لأَحَدٍ قَبْلِي وَأُعْطِيتُ الشَّفَاعَةَ وَكَانَ النَّبِيُّ يُبْعَثُ إِلَى قَوْمِهِ خَاصَّةً وَبُعِثْتُ إِلَى النَّاسِ عَامَّةً»(٢)

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «فُضِّلْتُ عَلَى الأَنْبِيَاءِ بِسِتٍّ أُعْطِيتُ جَوَامِعَ الْكَلِمِ وَنُصِرْتُ بِالرُّعْبِ وَأُحِلَّتْ لِيَ الْغَنَائِمُ وَجُعِلَتْ لِيَ الأَرْضُ طَهُورًا وَمَسْجِدًا وَأُرْسِلْتُ إِلَى الْخَلْقِ كَافَّةً وَخُتِمَ بِيَ النَّبِيُّونَ»(٣).

وعندما أراد النبي ﷺ فتح أم القرى؛ مكة، ورغم حرمتها إلا أن الله تعالى أحلها له ساعة من النهار لمصلحة الأمة الإسلامية جمعاء، فعن أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: «لَمَّا فَتَحَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ ﷺ مَكَّةَ قَامَ فِي النَّاسِ فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ ثُمَّ قَالَ إِنَّ اللَّهَ حَبَسَ عَنْ مَكَّةَ الْفِيلَ وَسَلَّطَ عَلَيْهَا رَسُولَهُ وَالْمُؤْمِنِينَ فَإِنَّهَا لا تَحِلُّ لِأَحَدٍ كَانَ قَبْلِي وَإِنَّهَا أُحِلَّتْ لِي سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ وَإِنَّهَا لا تَحِلُّ لِأَحَدٍ بَعْدِي» (٤).

وبعد هذا الفتح العظيم لأم القرى دخل الناس في دين الله أفواجًا، قال تعالى: ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ ۝١ وَرَأَيْتَ ٱلنَّاسَ يَدْخُلُونَ فِى دِينِ ٱللَّهِ أَفْوَاجًا ۝٢ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابًۢا﴾ (سورة النصر). قال ابن كثير: المراد بالفتح ها هنا فتح مكة قولاً واحدًا، فإن أحياء

(١) (صحيح): البخاري ٧٠١٣، مسلم ٥٢٣، الترمذي ١٥٥٣، النسائي ٣٠٨٧.
(٢) (صحيح): البخاري ٣٣٥، مسلم ٥٢١، النسائي ٤٣٢.
(٣) صحيح): البخاري ٢٩٧٧، مسلم ٥٢٣، الترمذي ١٥٥٣، النسائي ٣٠٨٧.
(٤) (صحيح): البخاري ٢٤٣٤، مسلم ١٣٥٥، أبو داود ٢٠١٧، ابن ماجة ٢٦٢٤.

العرب كانت تَتَلَوّم بإسلامها فتح مكة، يقولون: إن ظهر على قومه فهو نبي، فلما فتح الله عليه مكة دخلوا في دين الله أفواجًا، فلم تمض سنتان حتى استوسقت جزيرة العرب إيمانًا، ولم يبق في سائر قبائل العرب إلا مظهر للإسلام، ولله الحمد والمنة.

وهذا من فضل الله تعالى على هذا النبي الذي تميز بهذه الميزة عن سائر الأنبياء والرسل، فلم يدخل الناس في دين أحد من الأنبياء غيره أفواجًا.

وبعد أن أتم رسول الله ﷺ الدعوة وبلغ الرسالة استعد للرحيل لملاقاة ربه عز وجل، ولكنَّ الله جلت قدرته قد هيئه وأعد له عطاءً ما بعده عطاء، رفع الله له ذكره في الآفاق؛ قال تعالى: ﴿ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ﴾ (الشرح: ٤). روى الضحاك عن ابن عباس، قال: يقول له: لا ذُكِرتُ إلا ذُكِرتَ معي في الأذان، والإقامة والتشهد، ويوم الجمعة على المنابر، ويوم الفطر، ويوم الأضحى، وأيام التشريق، ويوم عرفة، وعند الجمار، وعلى الصفا والمروة، وفي خطبة النكاح، وفي مشارق الأرض ومغاربها. ولو أن رجلاً عَبَدَ اللّهَ جَلَّ ثناؤه، وصدَّق بالجنة والنار وكل شيء، ولم يشهد أن محمدًا رسول اللّه، لم ينتفع بشيء وكان كافرًا.

وقيل: أي أعلينا ذكرك، فذكرناك في الكتب المنزلة على الأنبياء قبلك، وأمرناهم بالبشارة بك، ولا دين إلا ودينك يظهر عليه.

وقيل: رفعنا ذكرك عند الملائكة في السماء، وفي الأرض عند المؤمنين، ونرفع في الآخرة ذكرك بما نعطيك من المقام المحمود، وكرائم الدرجات.

وكل هذه التفاسير صحيحة وهي من باب التبيين والتمثيل؛ فالثقلان الإنس والجن والسماء والأرض تعرف من هو محمد ﷺ، وهذا من عطاء الله

له أن جعل اسمه قرينٌ باسمه حتى قال شاعر الإسلام؛ حسان بن ثابت:

شَقَّ لَهُ مِن إِسمِهِ كَي يُجِلَّهُ فَذو العَرشِ مَحمودٌ وَهَذا مُحَمَّدُ

فأي عطاء ممنوح لهذا النبي، وأي خير يغدو ويروح حول هـذا النبـي، فاللهم صلِّ وسلم وبارك على محمد وعلى آل محمد.

وما كان لهذه العطاءات والمنح الربانية أن تنتهـي بموتـه ﷺ بـل هنـاك عطاءات ومنح بعد مماته ﷺ وهي خير له ولأمته.

فلقد كان رسول الله ﷺ رحيمًا بأمته أشد الرحمة شفوقًا بها أعظم الـشفقة فاستغل عطاءات الله ومنحه له ليسخرها لأمتـه، ويزللهـا لهـم ليـدخلهم جنـة ربهم فعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ تَلا قَوْلَ اللَّهِ عَزَّ وَجَـلَّ فِـي إِبْــرَاهِيمَ: ﴿ رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُۥ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ (إبرهيم:٣٦). وَقَالَ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلام: ﴿ إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ (المائدة:١١٨). فَرَفَعَ يَدَيْهِ وَقَالَ اللَّهُمَّ أُمَّتِي أُمَّتِي وَبَكَى فَقَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ يَـا جِبْرِيلُ: اذْهَبْ إِلَى مُحَمَّدٍ -وَرَبُّكَ أَعْلَمُ- فَسَلْهُ مَا يُبْكِيكَ فَأَتَـاهُ جِبْرِيـلُ عَلَيْـهِ السَّلَام فَسَأَلَهُ فَأَخْبَرَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِمَا قَالَ -وَهُوَ أَعْلَمُ- فَقَالَ اللَّهُ يَا جِبْرِيـلُ: اذْهَبْ إِلَى مُحَمَّدٍ فَقُلْ: إِنَّا سَنُرْضِيكَ فِي أُمَّتِكَ وَلا نَسُوءُكَ» (صحيح): مـسلم (٢٠٢).

وعن ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: «إِنَّ النَّاسَ يَصِيرُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ جُثًا كُلُّ أُمَّةٍ تَتْبَعُ نَبِيَّهَا يَقُولُونَ يَا فُلَانُ اشْفَعْ يَا فُلَانُ اشْفَعْ حَتَّى تَنْتَهِيَ الـشَّفَاعَةُ إِلَـى النَّبِيِّ ﷺ فَذَلِكَ يَوْمَ يَبْعَثُهُ اللَّهُ الْمَقَامَ الْمَحْمُودَ» (١).

(١) (صحيح): البخاري ٤٧١٨، مسلم ١٠٤٠، النسائي ٢٥٨٥.

وعَنْ أَبِي سَعِيدٍ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا فَخْرَ وَبِيَدِي لِوَاءُ الْحَمْدِ وَلَا فَخْرَ وَمَا مِنْ نَبِيٍّ يَوْمَئِذٍ آدَمَ فَمَنْ سِوَاهُ إِلَّا تَحْتَ لِوَائِي وَأَنَا أَوَّلُ مَنْ تَنْشَقُّ عَنْهُ الْأَرْضُ وَلَا فَخْرَ. قَالَ: فَيَفْزَعُ النَّاسُ ثَلَاثَ فَزَعَاتٍ فَيَأْتُونَ آدَمَ فَيَقُولُونَ أَنْتَ أَبُونَا آدَمُ فَاشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ فَيَقُولُ: إِنِّي أَذْنَبْتُ ذَنْبًا أُهْبِطْتُ مِنْهُ إِلَى الْأَرْضِ وَلَكِنْ ائْتُوا نُوحًا فَيَأْتُونَ نُوحًا فَيَقُولُ: إِنِّي دَعَوْتُ عَلَى أَهْلِ الْأَرْضِ دَعْوَةً فَأُهْلِكُوا وَلَكِنْ اذْهَبُوا إِلَى إِبْرَاهِيمَ فَيَأْتُونَ إِبْرَاهِيمَ فَيَقُولُ: إِنِّي كَذَبْتُ ثَلَاثَ كَذِبَاتٍ -ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: مَا مِنْهَا كَذِبَةٌ إِلَّا مَا حَلَّ بِهَا عَنْ دِينِ اللَّهِ- وَلَكِنْ ائْتُوا مُوسَى فَيَأْتُونَ مُوسَى فَيَقُولُ: إِنِّي قَدْ قَتَلْتُ نَفْسًا وَلَكِنْ ائْتُوا عِيسَى فَيَأْتُونَ عِيسَى فَيَقُولُ: إِنِّي عُبِدْتُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ ائْتُوا مُحَمَّدًا قَالَ: فَيَأْتُونَنِي فَأَنْطَلِقُ مَعَهُمْ. قَالَ ابْنُ جُدْعَانَ قَالَ أَنَسٌ: فَكَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: فَآخُذُ بِحَلْقَةِ بَابِ الْجَنَّةِ فَأُقَعْقِعُهَا فَيُقَالُ: مَنْ هَذَا فَيُقَالُ مُحَمَّدٌ فَيَفْتَحُونَ لِي وَيُرَحِّبُونَ بِي فَيَقُولُونَ: مَرْحَبًا فَأَخِرُّ سَاجِدًا فَيُلْهِمُنِي اللَّهُ مِنْ الثَّنَاءِ وَالْحَمْدِ فَيُقَالُ لِي: ارْفَعْ رَأْسَكَ وَسَلْ تُعْطَ وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ وَقُلْ يُسْمَعْ لِقَوْلِكَ. وَهُوَ الْمَقَامُ الْمَحْمُودُ الَّذِي قَالَ اللَّهُ عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا» (١).

ولم تكن الشفاعة وحدها على أرض المحشر بل هناك المزيد؛ أعطاه الله نهرًا في الجنة يسقي منه أمته بيده الشريفة حتى لا يظمأوا في هذا اليوم ذي الهوائل النازلة والنوازل الهائلة الذي يُظْمِأُ الأمم جميعًا، فعَنْ أَنَسٍ قَالَ: «بَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ بَيْنَ أَظْهُرِنَا إِذْ أَغْفَى إِغْفَاءَةً ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ مُتَبَسِّمًا فَقُلْنَا مَا أَضْحَكَكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ أُنْزِلَتْ عَلَيَّ آنِفًا سُورَةٌ فَقَرَأَ ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ ۝١ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ۝٢ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ﴾ (الشرح)

---

(١) (صحيح): البخاري ٧٤٤٠، مسلم ١٨٢، الترمذي ٢٤٣٤، النسائي ١١٤٠.

ثُمَّ قَالَ أَتَدْرُونَ مَا الْكَوْثَرُ فَقُلْنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ قَالَ فَإِنَّهُ نَهْرٌ وَعَدَنِيهِ رَبِّي عَزَّ وَجَلَّ عَلَيْهِ خَيْرٌ كَثِيرٌ هُوَ حَوْضٌ تَرِدُ عَلَيْهِ أُمَّتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ آنِيَتُهُ عَدَدُ النُّجُومِ فَيُخْتَلَجُ الْعَبْدُ مِنْهُمْ فَأَقُولُ رَبِّ إِنَّهُ مِنْ أُمَّتِي فَيَقُولُ مَا تَدْرِي مَا أَحْدَثَتْ بَعْدَكَ»(١).

فكل هذه العطاءات والمنح وإن كانت لمحمد ﷺ ظاهرًا فهي للمسلمين من باب التبعية، وهي تصب في مصلحة المسلمين، ولكن هل المسلمون أهلٌ لهذه العطاءات؟!، وهل المسلمون يستحقون كل هذه التضحيات التي يسعى إليها سيدهم ونبيهم ورسولهم محمد ﷺ؟!، وهل هم أوفياء لشريعته ومنهاجه، يحكمونه فيما شجر بينهم ثم لا يجدون في أنفسهم حرجًا مما قضى به وحكم؟! أم إنهم معرضون عن شريعته ومنهاجه ويفضلون مناهج الغرب والشرق عليها؟!.

أسأل الله العظيم ربَّ العرش العظيم أن ينفعنا بما علمنا، وأن يعلمنا ما ينفعنا.

وآخر دعوانا أنِ الحمدُ للهِ ربِّ العَالَمِينَ.

***

(١) (صحيح): البخاري ٤٩٦٤، مسلم ٤٠٠، أبو داود ٧٨٤، الترمذي ٣٣٥٩، النسائي ٩٠٤.

وكالة الفضاء الأميركية
ومعجزة الإسراء والمعراج

قد تتذكر الإسراء والمعراج عندما نقرأ تصريح راندى فورلاند المهندس بوكالة الفضاء الأميركية (ناسا) الذي قال فيه: إنهم توصلوا إلى تصميم طائرة نفاثة استطاعت خلال تجربة طيران أن تطير بسرعة مقدارها: ٦/ ٩ أمثال سرعة الصوت [سرعة الصوت= ١١٢٥كيلو متر / ساعة] أي حوالي ١١ ألف كيلو متر / ساعة.

نعم لعلك ستقول لنفسك إذا كان مهندسو وكالة ناسا للفضاء أطلقوا طائرة بهذه السرعة فلماذا إذن كذب مشركو قريش النبي ﷺ عندما أخبرهم برحلة الإسراء والمعراج التي ذهب فيها من المسجد الحرام بمكة إلى بيت المقدس ومنه عرج إلى السماء ثم عاد الليلة ذاتها إلى حيث كان بمكة؟!.

قد تعجب من هذه العقول المكذبة خاصة عندما تتذكر السفن الفضائية التي من صنع الإنسان وهي تنطلق نحو كواكب في الفضاء الشاسع، ومكوك الفضاء ديسكفري ومحطة الفضاء المدارية.

وعندما تتذكر كل هذه المنجزات البشرية قد تبتسم وأنت تقول: إن وكالة (ناسا) أيدت وأقرت بغير قصد منها معجزة الإسراء والمعراج، وربما تجد من يقول: إن هؤلاء المكذبين كانوا يحتاجون وكالة ناسا كي يؤمنوا بها.

مصدقية الإسراء والمعراج لا تحتاج لوكالة ناسا.. فهل حقاً كانوا يحتاجون لوكالة ناسا..

الحقيقة أن الأمر لم يكن بحاجة لكل هذه المنجزات؛ كي يؤمن المرء

بصدق من وصفه المشركون أنفسهم بالصادق الأمين؛ لأنه كان أمامهم أكثر من طريق للإيمان والإقرار والتصديق.

كان أمامهم كتاب الكون المقروء ليتأملوا فيه، وكان أمامهم العقل والمنطق والبرهان، وصار لديهم إجابات صادقة عن تفاصيل أمود سألوا النبي عنها لكن لم يلتفتوا إلى من ذلك؛ لأنه لا تعمى الأبصار إنما تعمى القلوب التي في الصدور.. لكن دعنا نتأمل في المشهد عند لحظة وقوعه.

معجزة وتشكيك..

فلقد اعتبر المشركون قصة الإسراء هي الفرصة السائغة التي يجب أن يهتلوها؛ لأنهم تصروا أن فيها الدليل البين على كذب الرسول ﷺ؛ ومن ثم قال قائلهم:(١) (هذا والله الأمر البين أو الله إن العير(٢) لتطرد شهراً من مكة إلى الشام مدبرة، شهراً مقبلة، أفيذهب ذلك محمد في ليلة واحدة ويرجع إلى مكة)أ.هـ

إذن كانت مشكلة هؤلاء المكذبين تتمثل في عدم وجود وسيلة انتقال معروفة لديهم تجعل الإسراء بالنسبة لهم ممكناً ومن ثم مقبلاً، وشنعوا بذلك على النبي ﷺ وألقى تشنيعهم شبهاً في قلوب بعض المؤمنين فانقلبوا على أعقابهم مرتدين.

وهؤلاء وأولئك كان بوسعهم أن يؤمنوا ولا يكذبوا إذا ما صعدوا بصرهم إلى السماء وتأملوا الطير فوقهم صافات ويقبضن منطلقة في عنان السماء، قاطعة الصحارى والوديان في دقائق معدودة، لكنهم لم يفعلوا ولم يتأملوا.

(١) تهذيب سيرة ابن هشام بعبد السلام هارون، المؤسسة العربية الحديثة للطبع النشر، ط ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ صـ ٨٤.

(٢) العير: لأبل، لتطرد: أي تجري بسرعة.

كان بوسعهم أن يقولوا لأنفسهم: من خلق هذا العصفور الصغير وجعله بمثل هذه السرعة يطير؛ قادر على أن يخلق البراق التي حملت سيد الخلق النبي الأمين عليه أفضل الصلاة والتسليم في الإسراء، والتي وصفها عليه الصلاة والسلام بقوله: (أتيت البراق وهو دابة أبيض طويل فوق الحمار ودون البغل يضع حافره عند منتهي طرفه، فركبته حتى أتيت بيت المقدس)(١)، أ.هـ

وإذ لم يكن بوسعهم أن يتأملوا في محسوساتهم المادية، فلا أقل من أن يحتكم من ارقد منهم إلى العقل والمنطق، ولو فعلوا لردوا على شبهات المشركين كرد أبي بكر عليهم حين قالوا له: هل لك يا أبا بكر في صاحبك، يزعم أنه قد جاء هذه الليلة بيت المقدس وصلى فيه ورجع إلى مكة!، فقال لهم أبو بكر: (إنكم تكذبون عليه؟)، فقالوا: بلى، ها هو ذاك في المسجد يحدث به الناس فقال أبو بكر: (والله لئن كان قاله فقد صدق فما يجبكم من ذلك فوالله إنه يخبرني أن الخبر ليأتيه من الله من السماء إلى الأرض في ساعة من ليل أو نهار فأصدقه)(٢)، فهذا ابعد مما تعجبون منه فمن أمن بالوحي الذي ينزل على النبي من السماء لا يمثل له التصديق بالإسراء والمعراج أي مشكلة منطقية، لكن الأمر لا يتوقف في الحقيقة على مدلولات حسية أو براهين عقلية، إنما يحتاج لقلوب عامرة بالإيمان كقلب الصدّيق ﷺ.

وإذ لم يحتكموا للمشهودات الحسية أو البراهين العقلية، كان واجباً عليهم أن يسلموا بصدق النبي الكريم ﷺ عندما أجابهم عما سألوه عليه وبان صدقه لديهم دون أدنى شك، فقد قال له المشركون: إن كنت صادقاً فخبرنا

---

(١) رواه مسلم، وهو جزء من حديث انس بن مالك ﷺ في الإسراء.
(٢) تهذيب سيرة ابن هشام س. ذ صـ ٨٤.

عن عيرنا أين لقيتها، قال: (بمكان كذا وكذا مررت عليها)، ففزع فلان فقيل له: ما رأيت يا فلان، قال: ما رأيت شيئاً غير الإبل قد نفرت، قالوا: فأخبرنا متى تأتنا العير؟، قال: (تأتيكم يوم كذا وكذا)، قالوا: أية ساعة؟، قال: (ما أدري طلوع الشمس من ههنا أسرع أم طلوع العير من ههنا)، فقال رحل ذلك اليوم: هذه الشمس قد طلعت، وقال رجل: هذه عيركم قد طلعت، واستخبروا النبي ﷺ عن صفة بيت المقدس فوصفه لهم ولم يكن رآه قبل ذلك.

روى الصحيح عن أبي هريرة قال.. قال رسول الله ﷺ: (لقد رأيتني في الحجر وقريش تسألني عن مسرأي فسألتني عن أشياء من بيت المقدس لم أثبتها فكربت كرباً ما كربت مثله قط قال فرفعه الله لي أنظر إليه فما سألوني عن شيء إلا أنبأتهم به).

معجزة الإسراء والمعراج..

هكذا جاء تكذيب هؤلاء لعدل دلالة قاطعة على أن الإسراء والمعراج كانا بمثابة المعجزة التي لم تطقها عقولهم ولم تتسع لها قلوبهم؛ ولذلك فقد عنى العلماء بالتأكيد على أن الإسراء والمعراج كانا يقظة وبالجسد والروح، ولم يكنا مناماً حيث تنفي المعجزة إذا لم يكن كذلك وفي تقدير هذا الأمر يقول الإمام القرطبي في تفسيره: ذهب معظم السلف والمسلمين إلى أنه كان إسراء بالجسد وفي اليقظة(١) أ.هـ، واستدل هؤلاء الأئمة بأدلة عديدة من الكتاب والسنة والمعقول.. ومن هذه الأدلة(٢) قوله تعالى: ﴿ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ

---

(١) الجامع لأحكام القرآن للإمام القرطبي دار الحديث ط ١٤٢٣هـ ٢٠٠٢ م المجلد الخامس صـ ١٠، صـ٥٥٠، صـ٤٤٩.

(٢) راجع هذه الأدلة في الجامع لأحكام القرآن للإمام أبي عبد الله محمد بن احمد الأنصاري القرطبي، دار الحديث القاهرة، ط ١٤٢٣هـ ٢٠٠٢م، المجلد الخامس، الجزء العاشر صـ ==

بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١﴾ ﴾ (الإسراء:١)، فقوله: (بعبده) يشمل الجسد والروح، ولو كان بالروح لقال: (بروح عبده).

قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾ عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴾ (النجم:١٣/ ١٤)، فقد جعل رؤية النبي ﷺ لجبريل عند سدرة المنتهى مقابلاً لرؤيته إياه في الأبطم، وهي رؤيا عين حقيقة لا مناماً.

قوله تعالى: ﴿ مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ﴾ (النجم:١٧)، يدل على أن الأمر كان بالجسد والروح حيث البصر والأبصار.. ولو كان الإسراء والمعراج بروحه في المنام لم تكن معجزة، ولا كان هناك داع لتكذيب قريش بها، ولقولهم: إنا نضرب أكباد الإبل إلى بيت المقدس شهراً ذهاباً وإياباً، ومحمد يزعم أنه أسري به إليه وأصبح فينا، فلو كان ذلك رؤيا ومناماً لم يستبعدوه ولم يكن لرءهم عليه معنى، لأن الإنسان قد يرى في منامه ما هو أبعد من بيت المقدس ولا يكذبه أحد.

ولو كان مناماً ما قالت له أم هانئ: لا تحدّث الناس فيكذبوك، ولا كان لأبي بكر الصديق فضل عندما أعلن تصديقه لرسول الله ﷺ قبل أن يسمع منه.

ولو كان مناماً ما طلبت منه قريش وصف بيت المقدس ولا استخبروه عن قافلة لهم في طريقها إلى مكة، ولا كانت لهذه الشبهات أدنى تأثير في نفوس من ارتد من المؤمنين.

أما من ذهب إلى أنها كانت رؤيا رأى فيها الحقائق كمعاوية السيدة

==٤٤٩، مختصر معارج القبول للشيخ حافظ حاكي، واختصار د. هشام عبد القادر آل عقدة، ط دار الصفوة، الطبعة الشرعية التاسعة صـ٣٤٨.

عائشة رضى الله عنهما، فرد عليهم الأئمة بالأدلة السابقة، وبأن السيدة عائشة كانت صغيرة السن آنذاك لم تشاهد، ولا حدثت عن النبي ﷺ وأن معاوية كان كافراً في ذلك الوقت.

أما الاحتجاج بقوله تعالى: ﴿ وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّءْيَا ٱلَّتِىٓ أَرَيْنَٰكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ ﴾ (الإسراء:٦٠)، فسمي ذلك رؤيا، فهذا يرده قوله تعالى: سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً ولا يقال في النوم أسري وأيضا قد يقال لرؤيا العين: رؤيا، كما أن هذه الآية: ﴿ وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّءْيَا ٱلَّتِىٓ أَرَيْنَٰكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ ﴾ تدل على فساد الاستدلال بها لأن الرؤيا المنامية لا تكنْ فيها فتنة للناس وما كان احد لينكرها.

أما ما ورد في بعض الروايات في قوله ﷺ: (فبينا أنا نائم)، فإنه يدل على بداية الأمر لا على انه استمر نائماً.

أما ما ورد في رواية شريك: فاستيقظ وهو بالمسجد الحرام)، الحديث في صحيح البخاري، فإن راية شريك تخالف رواية الجمهور عند انس في أكثر من عشرة مواضع سردها ابن حجر في فتح الباري، وسياقه يدل على انه ذكرها بالمعنى، وصرح في مواضع كثيرة انه لم يثبتها.

الإسراء والمعراج معجزه باقية دائمة..

نعم لقد كانت الإسراء والمعراج معجزه عند وقوعها حيث ضاقت عقول وقلوب المشركين عن قبولها والإقرار بها، لأنها تخطت حاجز الزمان والمكان، وكانت عندهم في غير مقدور الإنسان، فازداد بها المؤمنون إيماناً، ومن لم يؤمن برب قوى عزيز لم تزده إلا خسراناً.

وتظل معجزة الإسراء والمعراج اليوم باقية، وتمثل شاهد صدق على

صدق الرسول ﷺ وسخافة من كذبوه، والذي كان يكفيهم أن يقولوا: نعلـم أن الله على كل شيء قدير، لكنها لا تعمي الأبصار وإنمـا تعمـي القلـوب التـي في الصدور.

***

وجهة نظر العلم الحديث

تناول كثير من الباحثين هذه الذكرى العظيمة وأفاضوا في الحديث عنها وكان حديثهم ينصب على أنها معجزة إلهية سلم بها المؤمنون دون أدنى ريب أو كما رد الصديق ﷺ بقوله: (إن كنت أصدق أن الوحي يهبط عليه من السماء فلماذا أنكر أن يصعد هو إلى السماء) وعليه فإن من كتب في هذه المعجزة كان يتبع منهجاً وصفياً لإظهار قوة إيمان المسلم وثباته في مجتمع أقرب إلى البداوة وهذا حق لا ينكره أحد ويسلم به كل من يعرف أن القُرآنُ الكَريم بني على جانبين واحد نظري وهو كلمة (الإيمان) وهو التسليم بكل ما هو من عند الله وبالماضي والحاضر والمستقبل والغيب والقضاء والقدر إلى آخره والآخر (العمل الصالح) وهو الجانب العملي السلوكي؛ ولهذا لا نقرأ كلمة آمن في القُرآنُ الكَريم إلا وتبعتها كلمة عمل صالحاً إن على الفعلية أو على الاسمية بيد أني لا أنوي الحديث عن هذه الذكرى الخالدة جرياً على تخليدها وتعظيمها فقد لا أضيف إلا القليل، وإنما أريد رأي العلم الحديث فيها مع يقيني بأن معجزات الخالق أكبر من أي علم وأن أي علم مهما بدا اليوم عظيماً ومفسراً ربما يبدو غداً قاصراً وعاجزاً ولكني أبغي من ذلك وجه الله سبحانه وتعالى وخدمة ديننا الحنيف وأن لا أحرم من أجر المجتهد إيماناً بقوله: ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَـٰٓؤُاْ ﴾ (فاطر:٢٨)، اعترافاً مني بضعف الإنسان وأنه لم يؤتَ من العلم إلا قليلاً.

لقد توصل العلم اليوم إلى ما يظنه الإنسان نهاية المطاف وهو ما اصطلح عليه بعلم الباراسيكولوجي وهو العلم الذي يتجاوز حدود الزمن ويحاول أن يصل إلى أبعد ما يريد دون المرور بالزمن، وقد لاحظ العلماء أن

الإنسان وهو المخلوق في أحسن تقويم يمتلك بعدين هما الماضي الذي عاشه وانتهى ولم يعد بمقدوره استحضار شيء منه والحاضر الذي يمثل اللحظة قبل انسحابه إلى الماضي بينما يغيب عنه المستقبل تماماً فلا يعرف عنه شيئاً إلا عن طريق الحدس والظن في حين يقال أن الأنبياء يمتلكون بعداً إضافياً يستطيعون من خلاله رؤية الملائكة والتخاطب معهم، وتختلف هذه الأبعاد عند المخلوقات غير البشرية من خلال المستويات العمودية والأفقية؛ كما يعتقد عند الجن الذين يتمتعون بأبعاد خاصة تجعلهم غير مرئيين وغير قادرين على دخول الأبعاد الإنسانية إلا في تفسيرات خاصة فالإنسان لا يراهم في حين هم يرونه. ويرى بعض العلماء أنه ليس بمقدوره الدخول إلى عالم الإنس لاختلاف الأبعاد بينهما وإنما هناك تأثير من الجن على المجال المغناطيسي للإنسان أو في استخدام الإنسان للجن بحكم أن الجن أضعف من الإنسان وهذه التفسيرات ليست ملموسة علمياً وليس بوسع أحد أن يضعها بين حدين واضحين، وعليه فإن نظام الكرة الأرضية نظام زمني خالص من خلال تعاقب الليل والنهار، فكيف يمكن للإنسان أن يتجاوز حدود الزمن.

وهنا أذكر محاضرة لأحد الأساتذة الأمريكيين في جامعة هارفاد وهو يؤكد أن هذا العلم سيصبح حقيقة وأن عالم الجن يختلف بأبعاده عن عالم الإنس وإذا بأحد المهتمين بدراسة الأديان ومقارنتها وكان "قساً" يقول له بشيء من الحزن والعجب: " إن كان صحيحاً ما تقول فإن القُرآنُ الكَريم قد سبقكم إلى هذا منذ ثلاثة آلاف سنة وأن الرسول محمد ﷺ قد سبقكم إليه قبل ألف وخمس مئة سنة " وكان هذا القس يعني ما أنا ذاكره بإذن الله؛ ففي قصة النبي سليمان عليه السلام مع ملكة سبأ بلقيس أنه أراد أن يأتي بعرشها من

اليمن إلى فلسطين فعرض الأمر على من كان عنده فكان الجواب: ﴿ قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ ﴾ (النمل:٣٩). ويبدو للقارئ أن هذا نهاية المطاف للطالب وأن الزمن هو ساعات لأن النبي سليمان عليه السلام كان يجلس لقضاء حوائج الناس. لكن الواقع أن هناك علماً يسبق هذه القدرة ويتفوق عليها إذ: ﴿ قَالَ ٱلَّذِى عِندَهُۥ عِلْمٌ مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ ۚ فَلَمَّا رَءَاهُ مُسْتَقِرًّا عِندَهُۥ قَالَ هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّى لِيَبْلُوَنِىٓ ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ ۖ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّى غَنِىٌّ كَرِيمٌ ﴾ (النمل:٤٠). فالزمن هنا صفر والقضية قضية علم في كتاب، وحذار أن يذهب أحد إلى أنه سحر فالسحر لا يرقى إلى الحقيقة لأنه إنما يسحر العيون فقط ولأجل هذا أذكره بسحرة فرعون الذين أدركوا الحقيقة في عصا موسى وأن حبالهم خدعة ليس إلا وظيفتها سحر العين.

وفي القُرآنِ الكَريم يرد انعدام الزمن الأرضي أو اختلاف الزمن الإلهي عنه كقوله تعالى: ﴿ تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ﴾ (المعارج:٤)، وقوله تعالى: ﴿ وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴾ (الحج:٤٧)، وفي قصة الإسراء والمعراج يبدو ذلك جلياً فالرسول ﷺ أسرى به إلى المسجد الأقصى وهذا يعد أول طيران في فضاء الكرة الأرضية ثم عرج به إلى السماء وهذه أول سفينة فضائية تخرج إلى الفضاء الخارجي أو خارج غلاف الكرة الأرضية وتفيدنا قصة الإسراء والمعراج أن جبريل عليه السلام قد هيأ الرسول ﷺ كي يكون قادراً جسدياً على تحمل أعباء هذه الرحلة..

وهذا أمر مهم جداً لأنه يتعلق بعلم الطيران ولا يمكن لأي إنسان أن

يفهم بعضاً من هذا العلم قبل اختراع الطائرة ولا سيما النفاثة منها، ووجود نظريات الطيران العلمية الحديثة، مما يذكرنا اليوم بأن الطيارين الحربيين يرتدون ملابس خاصة تسمى (بدلة الضغط) ومهمتها حماية الطيار من الضغط الجوي لا سيما حين يمارس ألعاباً جوية أو يدخل في جهد جوي على ارتفاعات عالية يصبح فيه وضع الطائرة عكس اتجاه الجاذبية الأرضية، أو ما يعرف بـ(ج سالب) فتقوم هذه (البدلة) بحماية شرايينه وقلبه ومناطق أخرى في جسمه وكلما تقدمت تقنية الطائرة وأصبح بإمكانها الطيران على ارتفاعات عالية فإن بدلة الضغط تزداد تقنيتها وتقنية حجرة الطيار، أما ملابس رواد الفضاء فهي عالم آخر قائم بذاته إنها أشبه بحُجرة معدة بدقة فائقة لحماية الإنسان من الضغط الجوي وانعدام الجاذبية الأرضية ولحظة اختراق الغلاف الجوي فضلاً عن العقاقير التي تعطى لهم وغير ذلك ويعرف الطيارون معنى دقة قوله تعالى: ﴿يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى ٱلسَّمَآءِ﴾ (الأنعام:١٢٥).

ألا يدعونا هذا إلى التفكير بمنطق سليم عن هذا العلم الذي أعطى أدق ما فيه في قصة الإسراء والمعراج وصوّر مركبة الرسول ﷺ بما يتلاءم وتفكير الناس في ذلك الوقت ومع ذلك فإنه لشيءٌ يدعو للإعجاب أن يصدق هذا البدوي على بساطة حياته قصة الإسراء والمعراج ولا يشكك بها وهو لم يسمع عن الطيران في حياته فهذا إن دلَّ على شيء فإنما يدل على قوة الإيمان عند المسلمين في ذلك الوقت مثلما يشير إلى أنهم كانوا يلمسون يقيناً نبوة الرسول ﷺ فيعدون ذلك من المعجزات الإلهية فإيمانهم بالغيب مطلق.

وبقي شيء آخر يصمت عنه علماء الفضاء الغربيون وهذا ما يسيء إلى حيادية العلم، وهو أن أية سفينة جوية تطلق إلى الفضاء الخارجي من أية نقطة

كانت على وجه الكرة الأرضية شرقاً أو غرباً جنوباً أو شمالاً ليس مهماً المكان الذي تنطلق منه، لكن المهم هو أنه لا يمكن لها أن تنفذ إلى الفضاء الخارجي إلا من نافذة واحدة تقع بشكل عمودي فوق قبة الصخرة المشرفة فـ: ﴿ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ (الإسراء:١).

***

من أوجه الإعجاز العلمي
في وصف القرآن الكريم لرحلة الإسراء والمعراج

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ أَفَتُمَـٰرُونَهُۥ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ ﴿١٢﴾ وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾ عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴿١٤﴾ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ ﴿١٥﴾ إِذْ يَغْشَى ٱلسِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ ﴿١٦﴾ مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ﴿١٧﴾ لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَـٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ ﴿١٨﴾ ﴾ (النجم:١٢/ ١٨).

هذه الآيات الكريمة جاءت في أوائل سورة النجم، وهي سورة مكية، وآياتها اثنتان وستون بعد البسملة، وقد سميت بهذا الاسم لاستهلالها بقسم من الله- تعالي- بالنجم إذا هوي، وهو تعالي غني عن القسم لعباده، ولكن إذا جاءت الآية القرآنية الكريمة بصيغة القسم كان ذلك من قبيل تنبيهنا إلي أهمية كل من القسم المقسوم به وجواب القسم. ويدور المحور الرئيس لسورة النجم حول عدد من ركائز العقيدة الإسلامية شأنها في ذلك شأن كل السور المكية.

بعد أن استهلت سورة الإسراء بالإشارة إلي معجزة الإسراء برسول الله- ﷺ- من المسجد الحرام بمكة المكرمة إلي المسجد الأقصى في بيت المقدس، جاءت الآيات في أول سورة النجم مؤكدة علي العروج به- صلوات ربي وسلامه عليه- من المسجد الأقصى إلي سدرة المنتهي عبر السماوات السبع العلي، حيث شاهد رسول الله جنة المأوي، وراح يصعد حتى سجد بين يدي رحمن الدنيا والآخرة ورحيمهما قائلا: التحيات المباركات والصلوات الطيبات لله فقال الحق- عز وجل- السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته

وسبحت الملائكة لهذه التحية الربانية قائلة: السلام علينا وعلي عباد الله الصالحين وقد جعلت هذه التحيات ليرددها المسلمون في ختام صلواتهم التي فرضها الله- تعالي- عليهم خمس مرات في كل ليلة ونهار. ولقد رأي رسول الله ﷺ في هذه الرحلة المباركة من آيات ربه الكبرى ما أجمله القرآن الكريم وفصلته السنة النبوية المطهرة. وكان من ذلك لقاء الأنبياء والمرسلين. ورؤية نعيم أهل الجنة ورؤية عذاب أهل النار. وبعد رحلة التكريم هذه عاد رسول الله- ﷺ- إلي بيت المقدس، حيث صلي إماما بأنبياء الله ورسله، ثم عاد إلي بيته في مكة المكرمة ليجد فراشه لا يزال دافئا. وفي صبيحة ليلة الإسراء والمعراج جاء جبريل يخبر النبي - ﷺ- بأداء الصلوات الخمس المفروضة وأوقاتها، بعد أن كان يصلي ركعتين صباحا ومثليهما مساء كما كان يفعل إبراهيم عليه السلام وذلك قبل مشروعية الصلوات الخمس في كل ليلة ونهار.

ثم خرج رسول الله - ﷺ- ليخبر أهل مكة بما حدث معه في هذه الرحلة المباركة، وطفق المشركون يتناولون الخبر في تعجب وسخرية. وفي أثناء ذلك تحدي بعضهم رسول الله- ﷺ- أن يصف لهم بيت المقدس، فجلاه الله- تعالي- له، وطفق- صلوات ربي وسلامه عليه- يصفه لهم بابا بابا، في وصف تفصيلي كما يسألون، فقالوا: أما النعت فوالله قد أصاب وعلي الرغم من ذلك فقد بقي غالبية المشركين من قريش عاجزين عن فهم إمكانية حدوث تلك المعجزات، وذلك لأنهم قاسوها بقدراتهم المحدودة، ناسين أو متناسين أن قدرة الله تعالي: ﴿ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئاً أَن يَقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴾ (يس:٨٢).

من أوجه الإعجاز العلمي في وصف القرآن الكريم لرحلة الإسراء والمعراج:

(١) الدقة الفائقة في التسمية لأن الإسراء هو السفر بالليل، والمعراج هو الصعود في السماء، والعلوم المكتسبة تثبت أن جميع صور المادة والطاقة لا يمكنها التحرك في السماء إلا في خطوط متعرجة وذلك لتباين جذب الأجرام السماوية المختلفة لها. ولذلك فإن القرآن الكريم باستمرار يصف الحركة في السماء بتعبير العروج.

(٢) الربط بين حرمة كل من المسجد الحرام بمكة المكرمة والمسجد الأقصى بالقدس الشريف الذي ندعو الله أن يعيننا علي سرعة تحريره من دنس المحتلين الصهاينة قريبا إن شاء الله. فعن أبي ذر ﷺ قال: سألت رسول الله- ﷺ- أي مسجد وضع في الأرض أول؟ قال: المسجد الحرام قلت: ثم أي؟ قال: المسجد الأقصى، قلت: كم كان بينهما؟ قال: أربعون سنة.

ومن الثابت إسلاميا أن الكعبة المشرفة بنتها الملائكة علي أول جزء من اليابسة قبل خلق أبينا آدم- عليه السلام- ببلايين السنين. وإذا كان المسجد الأقصى قد بني بعد بناء الكعبة بأربعين سنة، فلا بد وأن الملائكة قد بنته كذلك قبل خلق أبينا آدم عليه السلام بعشرات البلايين من السنين. وواضح أن الجمع بين هاتين البقعتين المباركتين في رحلة الإسراء والمعراج هو تأكيد علي حرمتهما، وعلي شدة الترابط بينهما، وشاءت إرادة الله أن ينبه المسلمين إلي أن حرمة المسجد الأقصى مستمدة من حرمة الكعبة المشرفة حتى يكون في ذلك استنهاض لهمم المسلمين بضرورة المحافظة علي هاتين البلدتين المحرمتين من دنس الكفار والمشركين عبر كل زمان ومكان، والعمل من

أجل حمايتهما من عدوان المعتدين إلي يوم الدين.

(٣) تعاظم المسافات التي قطعها رسول الله- ﷺ- بشكل يفوق كل تصورات العقل البشري مما يشير إلي أن الله تعالي قد طوي له المكان، وأوقف له الزمن، وهذا ما لا تستطيعه إلا قدرة رب العالمين وتعاظم القوة اللازمة للانفلات من جاذبية الأرض، والعروج برسول الله ﷺ دون أية واسطة مادية أو أية حماية من المخاطر الشديدة التي يتعرض لها رواد الفضاء في زماننا الراهن مما يؤكد ضخامة معجزة الإسراء والمعراج والتكريم الذي ناله المصطفي ﷺ بتحقيقها له.

(٤) إن في بعث كل من الأنبياء والمرسلين، وأصحاب المرائي التي شاهدها رسول الله لدليل آخر علي طلاقة القدرة الإلهية الحاكمة لهذا الكون.

******

التشكيك في ثبوت معجزة الإسراء والمعراج

مضمون الشبهة:

يشكك بعض المغالطين في ثبوت معجزة الإسراء والمعراج، والجزم بوقوعها بالكيفية التي يعتقدها المسلمون، ويرون أنها لا تخرج في مجملها - لما فيها من مجاوزة للعقل والواقع المألوف - عن أحد هذين الاحتمالين: إما أنها رؤيا منامية مستدلين على ذلك بقوله عزوجل: ﴿وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلاَّ فِتْنَةً لِّلنَّاسِ﴾ (الإسراء:٦٠). وإما أنها ضرب من الأفكار الفلسفية، مثل وحدة الوجود، وكشف الحجب، واتحاد الزمان والمكان. وهم في هذا وذاك يرمون صراحة إلى نفي معجزة الإسراء والمعراج، ضمن منظومة نفي معجزاته ﷺ؛ بغية تجريده من تأييد الله له بها، والخروج به عن مقتضى كونه نبيا.

وجوه إبطال الشبهة:

١) إن معجزة الإسراء والمعراج معجزة عجيبة مدهشة بالفعل، وليس كل عجيب منكرا، وليس كل مدهش خياليا غير واقعي!

٢) إن في الحوار الذي دار بين النبي - ﷺ- وقومه، ودقة وصفه للمسجد الأقصى؛ ما ينفي انتحاله هذه المعجزة من جهة، ويثبت وقوعها بالبدن والروح حال اليقظة من جهة أخرى.

٣) إن وحدة الوجود، وكشف الحجب، واتحاد الزمان والمكان جميعها محل نظر، ولا ينبغي تشبيه معجزة الإسراء والمعراج بمثل تلك الأفكار الفلسفية؛ للبون الشاسع بينهما.

التفصيل:

أولا. إن معجزة الإسراء والمعراج معجزة عجيبة مدهشة، لكن ليس كل عجيب منكرا، وليس كل مدهش غير واقع:

ليس من الصواب في شيء أن يعد أحد المشككين كل ما هو خارج عن علمه في دائرة العدم، فنراه يتحدث بما لا يعرف قائلا: إن الإسراء والمعراج حدوثهما غير ممكن؛ لأن الذهاب من مكة إلى بيت المقدس، ثم الصعود إلى السماوات العلا، ثم الرجوع من حيث أتى في جزء من الليل أمر مستحيل؟ ذلك لأن الطبقة الهوائية المحيطة بالكرة الأرضية محدودة بثلاثمائة كيلو مترا تقريبا، فمن جاوزها صار عرضة للموت المحقق لعدم وجود الهواء الذي لا بد منه للحياة.

ومثل هذا الكلام لا ينهض على قدمين - ولو للحظة واحدة - أمام البحث العلمي الصحيح، "فالإسراء والمعراج أمران ممكنان عقلا أخبر بهما - عزوجل - في القرآن الكريم المتواتر، كما أخبر بهما الصادق المصدوق - ﷺ - في الأحاديث الصحيحة المشهورة، فوجب التصديق بوقوعهما، ومن ادعى استحالتهما فعليه البيان وهيهات ذلك، وكونهما مستبعدين عادة لا ينهض دليلا ولا شبه دليل على الاستحالة، وهل المعجزات إلا أمور خارقة للعادة كما قال العلماء؟ ولو أن كل أمر لا يجري على سنن العادة كان مظنة للإنكار لما ثبتت معجزة نبي من الأنبياء.

ثم ما قول المنكرين لمثل هاتين المعجزتين فيما صنعه البشر من طائرات نفاثة، وصواريخ جبارة تقطع آلاف الأميال في زمن قليل؟ فإذا كانت قدرة البشر استطاعت ذلك، أفيستبعدون على مبدع البشر وخالق القوى

والقدر أن يسخر لنبيه "براقا" يقطع هذه المسافة في زمن أقل من القليل؟! لسنا نقصد بهذا أن الإسراء والمعراج من جنس ما يقدر عليه الناس - فحاشا لله - وإنما أردنا تقريبهما لعقول من ينكرونهما بما هو مشاهد ملموس، فمهما تقدمت العلوم ومهما تقدم غزو الفضاء فلا يزال الإسراء والمعراج آيتين ظاهرتين للنبي ﷺ.

وأما شبهة أن المعراج لم يذكر في القرآن كما ذكر الإسراء، فيدفعها - أن المعراج وإن لم يذكر في القرآن صراحة فقد أشير إليه فيه، ولو سلمنا بعدم ثبوته بالقرآن فلا ينبغي أن يكون ذلك سببا للإنكار، فما الأحاديث النبوية إلا مبينة للقرآن، وشارحة له، ومتممة له، وهي الأصل الثاني من أصول التشريع في الإسلام، ومعرفة الحلال والحرام، والحق من الباطل، والهدى من الضلال، وإثبات الآيات والمعجزات، ولو أننا قصرنا الدين ومسائله على القرآن الكريم فحسب؛ لفرطنا في كثير من الأحكام والآداب، والآيات، والمعجزات الدالة على نبوة محمد ﷺ.

وأما القول بأن المعراج يترتب عليه الخرق والالتئام وهو مستحيل - فمزعم قديم أكل الدهر عليه وشرب، وأبطلته النظريات العلمية الحديثة، فقد انتهى بحث العلماء إلى أن الكون في أصله كان قطعة واحدة، ثم تناثرت أجزاؤه، وانفصل بعضها عن بعض حتى غدا من ذلك العالم كله: علويه وسفليه"(١).

إن العلماء الكونيين قد خطوا خطوات واسعة في غزو الفضاء، والتنقل بين الأجواء، والدوران حول الأرض والقمر، ومعرفة كم هائل من

---

(١) السيرة النبوية في ضوء القرآن والسنة، محمد محمد أبو شهبة، دار القلم، دمشق، ط٨، ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م، ج١، ص٤١٩، ٤٢٠.

المعلومات عن المجموعة الشمسية، مما قد يعد من ضرب المعجزات والخيال في القرون الماضية، وما زال التقدم العلمي في هذا المجال يزداد يوما بعد آخر، مما يدحض زعم هؤلاء أن الإسراء والمعراج غير ممكن عقلا.

وأما قولهم بأن الهواء ينعدم على بعد خاص فهو لا يسوغ الإنكار، فنحن نجد الغواصين يمكثون الساعات الطوال تحت الماء مكتفين بما معهم من هواء، وأيضا نجد رواد الفضاء قد تغلبوا على هذه المشكلة - إن صح أن تسمي هذه مشكلة - بل وعلى ما هو أشكل منها، ويختزنون معهم من الهواء ما يحفظ عليهم حياتهم أياما لا ساعات.

فإذا ثبت هذا في حق المخلوق وكان في مقدرته ذاك - وقليلة ما هي مقارنة بمقدرة الله - أفيبعد على الخالق ما أدركه المخلوق إن أراد حدوثه لأحد من الأنبياء على طريق الإعجاز، وهو الذي يقول للشيء كن فيكون؟! إنه الله - سبحانه وتعالى - خلق السماوات، والأرضين معلقات في الفضاء بلا عمد، وأمسكهما أن تزولا وتسقطا على عظم أجرامهما، ودقة مساراتهما، وأبدعهما أيما إبداع، وربط الأسباب بالمسببات، وأوجد للكائنات نواميس خاصة بها، وعلم ما يحتاج إليه كل كائن حي من إنسان، أو حيوان، أو نبات، وقدر لكل ما يحفظ له حياته - وهو قادر على أن يسري بنبيه - ﷺ - من مكة إلى بيت المقدس، ثم يعرج به إلى سدرة المنتهى في جزء من الليل، وأن يحفظ عليه حياته في عروجه من الأرض إلى السماوات السبع وما فوقهن(١).

ويحسن بنا في هذا الصدد أن نذكر أنه في بعض المجامع في بلدة بالهند قال أحد المنصرين مشوشا على بعض المسلمين: كيف تعتقدون في الإسراء

(١) السيرة النبوية في ضوء القرآن والسنة، محمد محمد أبو شهبة، دار القلم، دمشق، ط٨، ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م، ج١، ص٤٢١.

والمعراج، وهو أمر مستبعد؟ فأجابه مجوسي من مجوس الهند قائلا: إن الإسراء والمعراج ليسا بأشد استبعادا من كون العذراء تحمل من غير زوج، فبهت المنصر!

والأمر كذلك ليس مستحيلا عقلا إذ إن خالق العالم قادر على أن يسري بمحمد - ﷺ- بهذه السرعة، وغاية ما في الأمر أن المعجزة تمت خلاف العادة، والمعجزات كلها تكون كذلك(١). ولم يكن النبي محمد - ﷺ- بدعا من أمره، بل شأنه في تأييد الله له بالمعجزات شأن سائر الأنبياء كإبراهيم وموسى وعيسى عليهم السلام.

ثانيا: إن في الحوار الذي دار بين النبي - ﷺ- وقومه، ودقة وصفه المسجد الأقصى، ما ينفي انتحالها من جهة، ويثبت أنها وقعت بالبدن والروح حال اليقظة من جهة أخرى:

إن معجزة الإسراء والمعراج ثابتة بالكتاب والسنة، والأدلة العقلية التي تلتقي مع نصوص القرآن الكريم، والسنة المطهرة، تقوم على تأكيد حدوث هذه المعجزة يقظة، ومن أظهر هذه الأدلة:

أن هذه الرحلة لو كانت مناما لما كان فيها آية ولا معجزة، ولما استبعدها الكفار ولا كذبوه فيها، ولما ارتد بها ضعفاء الإيمان ممن أسلموا وافتتنوا بها؛ إذ مثل هذا من المنامات لا ينكر، بل لم يكن ذلك منهم إلا بعد علمهم أن خبره إنما كان عن جسمه لا روحه، وحال يقظته لا حال منامه(٢).

---

(١) رد افتراءات المنصرين حول الإسلام العظيم، مركز التنوير الإسلامي، القاهرة، ٢٠٠٨م، ص١٨٩، ١٩٠ بتصرف يسير.

(٢) شمائل المصطفى ﷺ، د. وهبة الزحيلي، دار الفكر، دمشق، ط١، ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م، ص١٩٠ بتصرف.

فقد يقول قائل: إني رأيت أني ذهبت إلى أمريكا، ثم الهند، والصين، ثم عدت، وهو نائم على فراشه، وقد يرى أنه مات وانتقل إلى الدار الآخرة، ودخل الجنة أو النار بعد العرض على الملك الجبار، ولا يستطيع أحد أن يكذبه، فلو كان الإسراء والمعراج كذلك بالروح فقط لما كذبه المشركون؟

وما أدري كيف يقبل الذوق السليم أن يكون الإسراء بالروح، بعد قول الله سبحانه وتعالى: ﴿ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ۝١ ﴾ (الإسراء:١).

فها أنت ذا ترى الآية الكريمة قد افتتحت "بسبحان" وهو استفتاح مشعر باستعظام ما كان من الأمر، والتعجب منه لجلاله، وذلك اللفظ لا يصح موقعه، ولا يتناسب وبلاغة القرآن الحكيم، إلا إذا كان الأمر غير معهود، ولا مقدور لأحد من البشر.

ولو كان الإسراء بالروح فقط لم يكن ثمة ما يقتضي هذا الاستعظام، وذلك التعجب؛ إذ لا خطورة في إراءة النبي -ﷺ- آيات ربه في نومه، فإن هذا أمر يقع لكل أحد، وإنما يظهر وجه الاستعظام والتعجب إذا قلنا: إن ذلك الإسراء كان بالجسد والروح، كما هو ظاهر لكل ذي فطرة طاهرة وعقل سليم.

ثم تراه يقول (أسرى) وهو لا يقال في النوم، كما قال القاضي عياض؛ لأن ما يقع في النوم إنما هو تخييل وضرب مثل لا غير، ولا يحسن أن يعبر عن ذلك بأنه أسرى به، وإنما ذلك إذا أسرى به ليلا إسراء حسيا على ما هو معهود ومعروف.

ثم يقول: (بعبده) وهو نص قاطع في الموضوع؛ لأن العبد لا يطلق فيما تعرفه العرب إلا على الشخص المكون من الروح والجسد معا، ولم يعهد في لغة العرب إطلاقه على الروح فقط، فهم لا يعرفون من العبد إلا الشخص المحسوس المنظور، كما في قوله سبحانه وتعالى: ﴿ أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يَنْهَىٰ ۝٩ عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰٓ ﴾ (العلق:٩/ ١٠)، وقوله: ﴿ وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبْدُ ٱللَّهِ يَدْعُوهُ ﴾ (الجن:١٩). إلى غير ذلك، ثم يقول: ﴿ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ﴾ (الإسراء:١)، ويقول سبحانه وتعالى: ﴿ أَفَتُمَٰرُونَهُۥ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ ۝١٢ وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ۝١٣ عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ ۝١٤ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ ۝١٥ إِذْ يَغْشَى ٱلسِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ ۝١٦ مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ۝١٧ لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ ۝١٨ ﴾ (النجم:١٢-١٨).

ولا شك عند من له ذوق سليم، أن هذه الآيات الكريمة تدل على أن النبي - ﷺ- أسري به إلى بيت المقدس، وأنه عرج به إلى السماوات العلا بجسمه وروحه وأنه رأى جبريل عند سدرة المنتهى، وأنه رأى من آيات ربه الكبرى.

ونحن نستحلفك بعلمك وذوقك وإنصافك، أن تنظر معنا إلى قوله: ﴿ أَفَتُمَٰرُونَهُۥ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ ﴾ (النجم:١٢). ثم قل بعد ذلك ماذا ترى. أفيسهل عليك أن تسلم أن المراء والجدال كانا في رؤيا منامية؟ وهل يكون في رؤيا الروح وحدها في النوم جحود ومجادلة؟ وهل لذلك وقع عند القائل والسامع، حتى تذكر فيه تلك الآيات، وتحصل به تلك المجادلات، وينوه بشأنه في القرآن هذا التنويه العظيم؟ وهل عهدوا مثل ذلك في الرؤى المنامية؟ وهل ينكرون على أنفسهم ذلك، حتى ينكروه عليه ﷺ؟

لا شك أن مناكرتهم ومجادلتهم، ما كانت إلا لعلمهم أنه يقول إن ذلك

كان يقظة لا نوما، فهذا محل الاستبعاد والاستنكار؛ لأنه غير معهود لديهم، ولا في متناول قدرتهم" (١).

وأبعد من القول بأن الإسراء والمعراج كانا بروحه، قول من ذهب إلى أنهما كانا في المنام، مستدلين لذلك بقوله سبحانه وتعالى: ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِالنَّاسِ ۚ وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ ۚ وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَانًا كَبِيرًا ﴾ (الإسراء: ٦٠)، وقالوا: إن الآية تشير إلى الإسراء والمعراج، والرؤيا إنما تطلق على المنامية لا البصرية.

وليس أدل على رد استدلالهم بهذه الآية من قول ابن عباس في تفسيرها: «هي رؤيا عين أريها رسول الله - ﷺ- ليلة أسري به، والشجرة المعلونة: شجرة الزقوم»(٢). ومراد ابن عباس - برؤيا العين - جميع ما عاينه - ﷺ- ليلة أسري به من العجائب السماوية والأرضية.

وابن عباس هو حبر الأمة، وترجمان القرآن، ومن أعلم الناس بالعربية، وكان إذا سئل عن لفظ من القرآن ذكر له شاهدا من كلام العرب، فكلامه حجة في هذا، والرؤيا كما تطلق على المنامية تطلق على البصرية أيضا. ومن شواهد ذلك من كلام العرب الذين يحتج بكلامهم قول الراعي يصف صائدا:

وكبر للرؤيا وهش فؤاده　　　وبشر قلبا كان جما(٣) بلابله(٤)

(١) محمد المثل الكامل، أحمد جاد المولى، دار المحبة، دمشق، ط١، ١٤١٢هـ/ ١٩٩١م، ص١٣٦، ١٣٧.
(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب فضائل الصحابة، باب المعراج (٣٦٧٥).
(٣) الجم: الكثير.
(٤) البلابل: أي الهموم والوساوس.

على أن بعض المفسرين يري أن الآية نزلت عام الحديبية بسبب رؤيا رسول الله - ﷺ- أنه دخل المسجد الحرام، وعلى هذا فلا تكون الآية دليلا لهم قط، ولكن الصحيح هو الأول(١).

على أنه جاء في القصة ما هو قاطع في الموضوع، فإن النبي -ﷺ- لما أخبرهم بذلك هاج هائجهم، وقامت قيامتهم، فمنهم الواضع يده على رأسه تعجبا، ومنهم المصفق، ومنهم القائل له: لقد كان أمرك أمما(٢) قبل هذا. حتى ورد أنه ارتد بعض من كان قد دخل في الإسلام. فهل ترى أن ذلك كله كان من أجل رؤيا منامية؟

بل في القصة ما هو أكثر من هذا، وهو أنهم سألوا النبي - ﷺ- عن عيرهم التي كانت فيها تجارتهم، فأجابهم - ﷺ- بأنه مر بها وقد ند(٣) منها بعير فانكسر، وأنه مر بعير أخرى قد ضلوا ناقة لهم، وكان معهم قدح من الماء، فشربه - ﷺ- وقد سألوهم عندما قدموا مكة، فصدقوا ذلك كله، وفي القصة أكثر من هذا.

فهل ترى أن الروح شربت الماء من القدح؟ وهل يمكننا أن نقبل أنهم يسألونه عن عيرهم، وعن بيت المقدس وأبوابه، وكل ما يتعلق به، إذا كانت الرؤيا منامية؟ وأي علاقة بين رؤيا المنام وبين عيرهم التي تجيء من الشام(٤).

---

(١) السيرة النبوية في ضوء القرآن والسنة، د. محمد محمد أبو شهبة، دار القلم، دمشق، ط٨، ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م، ج١، ص٤١١، ٤١٢.

(٢) الأمم: القريب.

(٣) ند: نفر وبعد.

(٤) محمد المثل الكامل، أحمد جاد المولى، دار المحبة، دمشق، ط١، ١٤١٢هـ/ ١٩٩١م، ص١٣٨، ١٣٩.

على أن ثمة فرقا بين القول بإسرائه روحا والقول بإسرائه مناما، هذا الفرق يوضحه د. محمد أبو شهبة في قوله: "ومما ينبغي أن يعلم أن بعض الكاتبين - في معجزتي الإسراء والمعراج - يخلط بين قول من يقول: كانا مناما، وقول من يقول: كانا بالروح فقط، وبينهما فرق، فمن قال: كانا بالروح أراد أن الروح بما لها من قدرة على التصرف والانتقال هي التي انتقلت وجالت في هذه المعاني المقدسة في الأرض والسماء، وأما من قال في المنام، إنما أراد حدوث صور وانكشافات للروح فيما وراء الحس من عالم الغيب من غير انتقال، ومفارقة للبدن" (١).

وفي كون الإسراء والمعراج بالروح والجسد يقول الإمام النووي: "والحق الذي عليه أكثر الناس ومعظم السلف وعامة المتأخرين من الفقهاء، والمحدثين والمتكلمين أنه أسري بجسده - ﷺ- والآثار تدل عليه لمن طالعها وبحث عنها، ولا يعدل عن ظاهرها، إلا بدليل، ولا استحالة في حملها عليه فيحتاج إلى تأويل"، ويقول ابن حجر في شرحه على صحيح البخاري: إن الإسراء والمعراج وقعا في ليلة واحدة في اليقظة بجسده وروحه، وإلى هذا ذهب الجمهور من علماء المحدثين والفقهاء والمتكلمين، وتواردت عليه ظواهر الأخبار الصحيحة، ولا ينبغي العدول عن ذلك إذ ليس في العقل ما يحيله حتى يحتاج إلى تأويل" (٢).

وليس في الأمر غرابة، لا من حيث قطع المسافة من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، ولا من حيث صعود النبي - ﷺ- إلى السماء، فأما من

---

(١) السيرة النبوية في ضوء القرآن والسنة، د. محمد محمد أبو شهبة، دار القلم، دمشق، ط٨، ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م، ج١، ص٤١٣.

(٢) فقه السيرة، د. محمد سعيد رمضان البوطي، مكتبة الدعوة الإسلامية، مصر، ط٧، ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م، ص١٢١.

حيث قطع المسافة من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى في تلك المدة الوجيزة فقد يتوفر للجن، وهو الذي حدث مع سليمان - عليه السلام - وحكاه القرآن في قوله عزوجل: ﴿ قَالَ ٱلَّذِى عِندَهُۥ عِلْمٌ مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ ﴾ (النمل:٤٠). وحمل العرش من القصر إلى الشام أبلغ من إسراء النبي ﷺ، فهذا أبلغ من قطع المسافة بين المسجدين في جزء من ليلة.

ومحمد - ﷺ- أفضل من الذي عنده علم من الكتاب، ومن سليمان عليه السلام، فكان الذي خصه الله به أفضل من ذلك، وهو أنه أسري به، ثم عرج في ليلة واحدة، ليريه من آياته الكبرى.

فهذا ما لم يحصل مثله لا لسليمان ولا لغيره، والجن إن قدروا على حمل بعض الناس في الهواء فلن يقدروا على إصعاده إلى السماء، وإراءته آيات ربه الكبرى، فكان ما آتاه الله لمحمد خارجا عن قدرة الإنس والجن(١).

ومما سبق نخلص إلى أن معجزة الإسراء والمعراج ثابتة بالكتاب والسنة، وكان أهل مكة جميعا شهودا على هذه المعجزة، فعندما حدثهم النبي - ﷺ- عن هذه المعجزة، شككوا فيها واستنكروها وكذبوه، ولكنه - ﷺ- استطاع أن يثبت لهم صحة ما أخبرهم به بأدلة واضحة لا يرقى إليها الشك؛ من ذلك:

إخباره - ﷺ- عن القافلة التي يتقدمها جمل أورق(٢):

فحدثهم عن أشياء حدثت في الطريق، وتبينوا بعد ذلك صدق ما قاله؛

(١) النبوات، تقي الدين أحمد بن تيمية، تحقيق: الشحات الطحان، مكتبة فياض، القاهرة، ٢٠٠٥م، ص١٦٦.
(٢) الجمل الأورق: ما في لونه بياض إلى سواد، أو الرمادي.

فقد سألوه عن قافلة لهم قادمة من الشام، سألوه عن مكانها، ومتى تقدم عليهم، فأخبرهم عنها وعن وقت وصولها، وقدم لهم دليلا، حيث أخبرهم أن هذه القافلة يتقدمها جمل أورق، وبعد أن تحقق أمام أعينهم كل ما أخبرهم به خرست ألسنتهم وثبتت شهادتهم على هذا الحدث العظيم الذي كان اختبارا ليقين المسلمين وتمحيصا لإيمانهم.

وصفه - ﷺ- الدقيق للمسجد الأقصى:

وكان النبي - ﷺ- قد صلى بالأنبياء في بيت المقدس كما ثبت في الروايات الصحيحة، وعندما عاد من رحلته طلب منه أهل مكة أن يصف لهم المسجد الأقصى ليتأكدوا من صدقه، فوصفه لهم بتفاصيله كاملة، ولم يكن النبي - ﷺ- قد رآه قبل ذلك، ولكن أهل مكة كانوا قد رأوه مرات عديدة أثناء رحلاتهم إلى بلاد الشام، فكان وصفه الدقيق للمسجد الأقصى دليلا آخر على صدقه ﷺ، لم يعترض أحد من أهل مكة على ما قدمه لهم رسول الله - ﷺ- من وصف دقيق ومفصل لهذا المكان المقدس، قال ﷺ: «لما كذبتني قريش، قمت في الحجر، فجلى الله لي بيت المقدس، فطفقت أخبرهم عن آياته وأنا أنظر إليه»(١).

ثالثا: إن وحدة الوجود، وكشف الحجب، واتحاد الزمان والمكان جميعها محل نظر، ولا يصح تشبيه معجزة الإسراء والمعراج بمثل تلك الأفكار الفلسفية:

إن النصوص الصريحة القائمة على إثبات معجزة الإسراء والمعراج تجعل من نافلة القول أن نثبت بطلان تلك الأفكار الفلسفية، أما وقد شبهت

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب فضائل الصحابة، باب حديث الإسراء (٣٦٧٣)، ومسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب في ذكر المسيح ابن مريم والمسيح الدجال (٤٤٦).

هذه المعجزة النبوية بتلك الأفكار الفلسفية؛ فقد لزم الأمر أن نقر أن الإسراء والمعراج ليستا فكرة مثلا كوحدة الوجود من الصحة في شيء، كي نبني عليها معتقداتنا الدينية ونثبت على أساسها ونفي، ولو كان الأمر كذلك لكان عبدة الأصنام على حق، وعبدة البقر على حق، ومن عبد أي معبود بمقتضى تلك الفكرة على حق.

وغني عن الذكر - أيضا - أن نقول إن فكرة وحدة الوجود فكرة خاطئة وافدة إلى الإسلام فيما وفد إليه من آراء فاسدة لا يشهد لها عقل ولا نقل، وهي من مخلفات الفلسفات القديمة، وفيها ما فيها من أخطاء وأباطيل، وقد انتصر لها وتشيع بعض الغلاة الذين ينتسبون إلى الإسلام، وكتبوا فيها فكانت عاقبتهم الإلحاد في الله وصفاته.

وقد أبان بطلانها كثير من علماء الأمة الراسخين في العلم، المتثبتين في العقيدة، والقول بها يؤدي إلى القول بالطبيعة، وقدم العالم، وإنكار الألوهية وهدم الشرائع السماوية التي قامت على أساس التفرقة بين الخالق والمخلوق، وبين وجود الرب، ووجود العبد، وتكليف الخالق للخلق بما يحقق لهم السعادة، ومقتضى هذا المذهب أن الوجود واحد، فليس هناك خالق ولا مخلوق، ولا عابد ومعبود، ولا قديم وحادث، وعابدو الأصنام والكواكب والحيوانات حين عبدوها إنما عبدوا الحق؛ لأن وجودها الحق، إلى آخر خرافاتهم التي ضلوا بسببها وأضلوا غيرهم، والتي أضرت بالمسلمين، وجعلتهم شيعا وأحزابا، ولقد بلغ من بعضهم أنه قال: إن النصارى ضلوا؛ لأنهم اقتصروا على عبادة ثلاثة، ولو أنهم عبدوا الوجود كله لكانوا راشدين، وقال بعض معتنقي الفكرة:

العبد حق، والرب حق

يا ليت شعري من المكلف؟

إن قلت: عبد فذاك رب

أو قلت: رب أنى يكلف؟

قال الإمام تقي الدين أحمد بن تيمية الحراني في بعض كتبه بعد أن ذكر الفناء المحمود، والفناء المذموم: "ولهذا لما سلك ابن عربي وابن سبعين وغيرهما هذه الطرق الفاسدة أورثهم ذلك الفناء عن وجود السوى فجعلوا الموجود واحدا، ووجود كل مخلوق هو عين وجود الحق، وحقيقة الفناء عندهم ألا يرى إلا الحق، وهو الرائي والمرئي، والعابد والمعبود، والذاكر والمذكور، والناكح والمنكوح، والآمر الخالق هو المأمور المخلوق وهو المتصف بكل ما يوصف به الوجود من مدح وذم، وعباد الأصنام ما عبدوا غيره، وما ثم موجود مغاير له ألبتة عندهم، وهذا منتهى سلوك هؤلاء الملحدين!

وأكثر هؤلاء الملاحدة القائلين بوحدة الوجود يقولون: إن فرعون أكمل من موسى، وإن فرعون صادق في قوله: "أنا ربكم الأعلى"؛ لأن الوجود: فاضل ومفضول، والفاضل يستحق أن يكون رب المفضول، ومنهم من يقول: إنه مات مؤمنا، وإن إغراقه كان ليغتسل غسل الإسلام".

فالحق أن فكرة وحدة الوجود فكرة زائفة، تصادم نصوص الدين القطعية، ولا يدل عليها شيء من قرآن أو سنة، وأن العقيدة الإسلامية السمحة براء من مذهب "وحدة الوجود".

تفسير الإسراء والمعراج بهذا يلزم إنكار النصوص أو تحريفها:

ثم إن تفسير الإسراء والمعراج بهذه الفكرة أو غيرها، وتصويرهما هذا

التصوير الذي ارتضاه المدعي يقتضي إنكارها على حسب ما جاء به القرآن القطعي، والسنة الصحيحة المشهورة، فليس ثمة إسراء حقيقة من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى بذات النبي - ﷺ- وليس هناك عروج بالنبي - ﷺ- من بيت المقدس إلى السماوات السبع وما فوقهن، ولا صلاة بالأنبياء، ولا لقاء ولا تسليم، ولا تكليم من الله لنبيه، وإنما كل ذلك تمثيل وتقريب على حد زعمهم.

وما الداعي إلى ذلك ما دام الكون كله قد اجتمع في روح النبيﷺ، كما قال صاحب الرأي: فالمسجد الحرام في روحه، والأقصى في روحه، والسماوات وما فيهن في روحه، ووجودها في وجوده!

إغراب وتشويش:

ثم ما الداعي إلى كل هذا التكلف والإغراب المدعى في فهم نصوص صريحة جاءت بلسان عربي مبين؟! وما الذي حدا بهؤلاء الأدعياء إلى أن "يشطحوا" هذه "الشطحات" التي لا داعي إليها؟!

إن الإسراء والمعراج كما جاء بهما القرآن والأحاديث الصحاح أقرب منالا، وأشد استساغة لعقول الناس مما ذهب إليه المدعون، ولو جلست زمانا لتفهم رجلا أميا أو متعلما، بالإسراء والمعراج على ما رأى هؤلاء ما أنت بمستطيع إفهامه هذه الألغاز والطلاسم التي حاول المدعون بها إحداث رأي جديد.

وهل تصوير الإسراء والمعراج بهذا التصوير إلا إشكال على عقول الكثرة من الناس، ومخاطبة لهم بما لا تبلغه عقولهم ومداركهم، وقد أمرنا أن نحدث الناس بما يعقلون وأن ندع ما ينكرون، وفي الحكم الذهبية عن

الصحابي الجليل عبد الله بن مسعود ﷺ: «ما أنت بمحدث قوما حديثا لا تبلغه عقولهم إلا كان فتنة لبعضهم» (١).

والحق أن الإغراب على القراء بمثل هذه الأفكار المسمومة، والآراء الشاذة الغريبة تشكيك لهم في عقائدهم الصحيحة، وتسميم لعقولهم، وانحراف بهم عن فطرتهم السليمة، والحق أبلج لا يحتاج إلى تكلف، وتفلسف من غير داع وقد حكى القرآن الكريم عن النبي ﷺ: ﴿ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُتَكَلِّفِينَ ﴾ (ص: ٨٦) (٢).

الخلاصة:

إن الإسراء والمعراج من الأمور العجيبة والمدهشة حقا، ولكن العجب والدهشة شيء وإنكارها شيء آخر، وقد تكون محيرة للعقل ولكنها ليست مستحيلة في منطق الوحي، وإلا فكيف نفسر عقلا إحياء عيسى للموتى، وانبجاس الحجر ماء لموسى، وكيف تفسر عقلا ما فعلته عصا موسى مع فرعون، ومعلوم أن الرسول جاء بما يحير العقول وليس بما تتخيله العقول، فالإسراء والمعراج من الأمور التي لا يرفضهما العقل والبحث العلمي، فقد استطاع الإنسان في العصر الحديث أن يغزو الفضاء بعلمه وقدرته المحدودتين، فكيف يستبعد عن الخالق أن يسري بنبيه - ﷺ - وأن يعرج به إلى السماء وهو القادر على كل شيء وهو الذي يقول للشيء كن فيكون.

ليست معجزة الإسراء والمعراج رؤيا منامية كما يدعي المشككون؛

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، المقدمة، باب النهي عن الحديث بكل ما سمع (١٤).
(٢) السيرة النبوية في ضوء الكتاب والسنة، د. محمد أبو شهبة، دار القلم، دمشق، ط٨، ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م، ج١، ص٤١٤: ٤١٧.

لأن رؤيا المنام من الأمور المعتادة التي لا تستنكر، ولو كانت كذلك لما وجد كل هذا الاعتراض من كفار قريش على النبي - ﷺ- ولما ارتد بعض من دخل في الإسلام، ترى هل كل هذا يحدث بسبب رؤيا منامية؟!

إن القول بأن معجزة الإسراء والمعراج ضرب من الأفكار الفلسفية مثل وحدة الوجود، قول باطل وتزييف للحق؛ لأن هذه الأفكار الفلسفية لا أصل لها في الإسلام، ولا دليل عليها من عقل أو نقل، وأكثر من يقول بهذه الأفكار هم الملحدون الذين ينكرون الألوهية، فلا يمكن تشبيه معجزة من أعظم المعجزات التي حدثت للنبي - ﷺ- بمثل هذه الأفكار.

إن معجزة الإسراء والمعراج حقيقة ثابتة بالكتاب والسنة، وقد أثبت النبي - ﷺ- صدق حديثه عن هذه المعجزة بأدلة واضحة أخرست ألسنة أهل مكة، وأفحمتهم، ومن ذلك: وصفه - ﷺ- المسجد الأقصى وصفا دقيقا، فكان هذا الوصف دليلا آخر على صدقه، يجزم بكونها حال اليقظة لا المنام، وبالبدن والروح لا بالروح فحسب.

(*) اضمحلال الإمبراطورية الرومانية وسقوطها، إدوارد جيبون، ترجمة: محمد سليم سالم، دار الكتب المصرية، القاهرة، د. ت. قصة الحضارة، ول ديورانت، ترجمة: محمد بدران، دار الجيل، بيروت، ١٩٩٨م. القدس مدينة واحدة وعقائد ثلاث، كارين أمسترونج، ترجمة: فاطمة نصر ومحمد العناني، دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٩٨م.

***

معجزة الإسراء والمعراج من منظور علمي

أ.د/ كارم السيد غنيم

أستاذ بكلية العلوم جامعة الأزهر

أمين جمعية الإعجاز العلمي للقرآن والسنة

أدمج إينشتين المكان والزمان في نظرية النسبية الخاصة عام ١٩٠٥م، وأعلن أنه (ليس لنا أن نتحدث عن الزمان دون المكان، ولا عن المكان دون الزمان، ومادام كل شيء يتحرك فلابد أن يحمل زمنه معه، وكلما تحرك الشيء أسرع فإن زمنه سينكمش بالنسبة لما حوله من أزمنة مرتبطة بحركات أخرى أبطأ منه). ولقد تحققت ظاهرة انكماش الزمن علميا في معامل الفيزياء، حيث لوحظ أن الجسيمات الذرية atomic particles تطول أعمارها في نظر راصدها إذا ما تحركت بسرعة قريبة من سرعة الضوء. وعلى سبيل المثال، يزداد نصف العمر لجسيم البيون (نصف العمر هو الزمن اللازم لينحل هذا الجسيم إشعاعيا حتى يصل إلى نصف كميته) في الساعة المعملية الأرضية إلى سبعة أمثال قيمته المعروفة إذا تحرك بسرعة قدرها ٩٩٪ من سرعة الضوء.

وطبقا لنظرية أينشتين، فإننا إذا تخيلنا أن صاروخا اقتربت سرعته من سرعة الضوء اقترابا شديدا، فإنه يقطع رحلة تستغرق خمسين ألف سنة (حسب الساعة الأرضية) في يوم واحد فقط (بالنسبة لطاقم الصاروخ) !! وإذا فكرت في زيارة أطراف الكون فإنك ستعود إلى الكرة الأرضية لتجد أجيالا أخرى وتغيرات كبيرة حدثت على هذا الكوكب الذي سيكون قد مر عليه حينئذ آلاف أو ملايين أو بلايين السنين بحساب أهل الأرض الذين لم

يخوضوا معك هذه الرحلة المذهلة، وذلك إذا كنت قد تحركت في رحلتك بسرعة قريبة من سرعة الضوء...!! وخلاصة القول: إن الزمن ينكمش مع ازدياد السرعة، وتزداد السرعة مع ازدياد القدرة على ذلك.

هكذا أصبح من المقنع للماديين أن السرعة والزمن والقدرة أشياء مترابطة، ولكن إذا كان هناك مخلوق أقوى من الإنسان (ينتمي إلى غير الجنس البشري، كأن يكون من الجن أو من الملائكة) فإنه يتحرك بقوانين أخرى غير قوانين الإنسان، فيقطع المسافات ويعبر

الحواجز، وأشياء أخرى كثيرة لا يتخيلها الإنسان الذي يسكن كوكبه الأرضي. وطبقا للنظرية النسبية أيضا، فإنه إذا وجد كائن يسير بسرعة أكبر من سرعة الضوء، فإن المسافات تنطوي أمامه وينمحي الزمن في قطعه هذه المسافات

وبالرغم من أن سرعة الضوء في الفراغ (أو الهواء) هي أعلى سرعة معروفة حتى الآن، فإن العلم الحديث لا ينكر وجود سرعة أكبر من سرعة الضوء في الفراغ، وإن لم يصل إليها حتى الآن، رغم سريان دقائق بيتا (B-particles) في الماء بسرعة أكبر من سرعة الضوء فيه، لأن هذه الدقائق اخترقت حاجز الضوء في الماء فقط وليس في الهواء أو الفراغ، فتسببت في صدور إشعاع يدعى إشعاع كيرنكوف..!!

لماذا نتدارس معجزة الإسراء والمعراج؟

لقد أوردنا هذا العرض العلمي لكي نقرب للناس فهم إحدى المعجزات الحسية التي جرت لرسول الله محمد بن عبد الله ﷺ، إنها " معجزة الإسراء والمعراج ". ولسنا نسعى من وراء هذا العرض وما يليه من

إيضاحات أن نثبت صدق هذه المعجزة، وإنما نريد فقط أن نقرب فهمها للذين يستبعدون حدوثها من غير المسلمين. وهذه المعجزة من الصنف الذي لم يجره الله بقصد التحدي (أي: تحدي البشر)، وأعجب ما في هذه المعجزة (بشقيها) أنها غيب من جملة الغيوب التي يجب على المسلم أن يصدق بها ويثق فيها مطلقا.

وهذه المعجزة إذا ناقشناها، فإنما نناقشها لإثبات استحالة وقوعها لبشر عادي، بكل المقاييس العلمية، أو حتى بتطبيق الفروض أو النظريات... وإلا لانتفت صفتها كمعجزة، ولأمكن للإنسان العادي أن يحققها عن طريق استخدامه لأية طاقات أو سبل يخترعها العلم بمرور الزمن.

والكلام في المعجزات الحسية لرسول الله ﷺ لا يجب أن نسرف فيه، بل لا يجب أن نعول على هذه المعجزات كثيرا في الإقناع برسالة الرسول ﷺ، لأنها معجزات وقعت وانقضت، وقد نهى رسول الله ذاته عن التعلق بهذه المعجزات المادية، وأمرنا بالانتباه إلى معجزة واحدة باقية على مر الزمان، هى القرآن الكريم، الذي تنكشف وجوه الإعجاز فيه كلما تقادم الزمن وتوالت الأجيال، وكل جيل يكشف عن وجه أو وجوه فيه لم يكن قد كشفها الجيل السابق...فقد حدث في زمن الرسول ﷺ أن انكسفت الشمس عندما مات إبراهيم بن رسول الله، فقال الناس: لقد انكسفت الشمس لموت إبراهيم، فقال لهم الرسول: (إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله، لا ينكسفان لموت أحد ولا لحياته).

تشتمل " معجزة الإسراء والمعراج " ضمن ما تشتمل السرعة الخارقة والقدرة المذهلة التي انتقل بها رسول الله ﷺ في الشق الأول من المعجزة، وهو " الرحلة الأرضية "، من المسجد الحرام بمكة (في الجزيرة العربية) إلى

المسجد الأقصى بالقدس (في فلسطين)، ثم السرعة والقدرة اللتان لا يستطيع الإنسان - مهما أوتى من علوم وتكنولوجيا - أن يحددهما، وذلك في الشق الثاني من المعجزة وهو " الرحلة العلوية "، أي: الصعود من حيث انتهت الرحلة الأرضية إلى الأعلى في رحلة سماوية اخترق الرسول بها طبقات الجو كلها وعبر أرجاء الكون إلى سماء لا ولن يستطيع الإنسان أن يصل إلى تحديد أي شيء فيها، ولن يعرف عنها أي شيء سوى ما أخبره به القرآن الكريم...

رحلة الإسراء (الرحلة الأرضية في عالم الملك):

يقول الله سبحانه: ﴿ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١﴾ ﴾ (الإسراء:١). "سبحان"، أي: تنزه الله في قوله عن كل قول، وتنزه الله في فعله عن كل فعل، وتنزه الله في صفاته عن كل صفات. "الذي أسرى"، أي: الذي أكرم رسوله بالمسير والانتقال ليلا. "بعبده"، أي: بمخلوقه الإنسان الذي اختاره لهذه المهمة العظمى، وهي مهمة هداية البشر جميعا. ولم يقل الله سبحانه: "بخليله" أو "بحبيبه" أو "بنبيه"، وإنما قال: "بعبده"، وفي هذا ملحظ هام هو أن الرسول ﷺ حقق مقام العبودية الخالصة لله سبحانه، فكان حقا " العبد الكامل " أو "الإنسان الكامل"، ولأن المطلب الأول للإسلام هو تحقيق العبودية الخالصة لله سبحانه... "ليلا"، وفي هذا دلالة على أن الإسراء كان في جزء من الليل ولم يستغرق الليل كله، وكان الليل هو وقت الرحلتين لأنه أحب أوقات الخلوة، وكان وقت الصلاة المفضل لدى رسول الله ﷺ، بل كان هو وقت الصلاة قبل أن تفرض الصلاة بالهيئة والأوقات المعروفة عليها، وكان الإسراء ليلا ليكون أيضا أبلغ للمؤمن في الإيمان بالغيب...

وأما قوله تعالى: ﴿ مِّنَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ إِلَى ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡأَقۡصَا ﴾ فتفسيره: أن انتقال الرسول في رحلته الأرضية كان بين مسجدين، أولهما: المسجد الحرام بمكة في أرض الجزيرة العربية، وهو أحب بيوت الله في الأرض، والصلاة فيه تعدل مائة ألف صلاة في غيره من المساجد، وثانيهما: هو المسجد الأقصى بأرض فلسطين، مهد الأنبياء والرسل، وقد كان القبلة الأولى للمسلمين قبل أن يأتيهم الأمر بالتحول شطر المسجد الحرام الذي هو قبلتهم منذ ذلك الوقت إلى آخر الزمان... والمسجد الأقصى من أفضل مساجد الأرض جميعا، والصلاة فيه تعدل خمسمائة صلاة في غيره من المساجد... ﴿ ٱلَّذِي بَٰرَكۡنَا حَوۡلَهُۥ ﴾ أي: الذي أفضنا عليه وعلى ما حوله بالبركات، دنيوية ومعنوية... ﴿ لِنُرِيَهُۥ مِنۡ ءَايَٰتِنَآ ﴾ أي: بعض الآيات الدالة على قدرة الله وعظمته، وليس كل الآيات...

هل حدثت المعجزة بالروح أو بالجسد أو بهما معا؟

قد يقول قائل: إن رحلة الإسراء (ومن باب أولى: رحلة المعراج) حدثت لرسول الله مناما، أي: رؤيا منامية، يعني بروحه دون جسده. ونحن نقول لهذا القائل: إن الرحلة الأرضية، وكذلك الرحلة العلوية، حدثتا معا بالروح والجسد معا، والأدلة الدامغة على ذلك كثيرة، وأقربها إلينا كلمات القرآن التي أوردناها سابقا، فلم يقل الله: (سبحان الذي أسرى بروح عبده)، وإنما قال: " سبحان الذي أسرى بعبده "، أي: روحا وجسدا... وهكذا يكون الإنسان (العبد) بشقيه الروح والجسد. وهنا أيضا دليل دامغ آخر يكمن في لفظة " سبحان " التي افتتحت بها الآية، بل السورة كلها، وهي تعني: يتنزه الله عن الشبيه والند والنصير، ويتنزه الله عن العجز والضعف، إذن تأتي هذه اللفظة للأمور العظيمة، وتأتي في مقدمة آية أو سورة لكي تهيئ القارئ، أو

السامع، إلى أنه سيقرأ أو سيسمع أمرا عجيبا وغريبا وعظيما في نفس الوقت، وذلك إذا قاسه بمقاييسه البشرية، ولكنه هين وعادى وميسور بالنسبة لإله الكون وخالقه ومدبره وخالق نواميسه وقوانينه وقادر على خرق أي ناموس في أي وقت، وتنفيذ ما تشاء إرادته، جلت قدرته وتعالت عظمته.

وبدراسة الجو العام لحال المسلمين، والدعوة الإسلامية عموما، في ذلك الوقت، نعرف أن هذه المعجزة حدثت لغرض مهم – بالإضافة إلى أغراض أخرى – هو تمحيص قلوب المؤمنين بالرسول ﷺ، ليثبت قوى الإيمان ويظهر ضعيف الإيمان، وينكشف أمره، وخصوصا أن الله سبحانه يعد المسلمين لحدث عظيم بعد عام واحد هو الهجرة الكبرى من مكة إلى المدينة لتأسيس أعظم مجتمع إسلامي عرفته البشرية على الكرة الأرضية.

فالماديون (قديما وحديثا) يقيسون كل شيء بالطول والعرض والعمق، بما لديهم من مقاييس معروفة، ويزنون كل شيء بأثقال متفق عليها فيما بينهم، فإذا صادفوا غير ذلك في حياتهم، حجما أو وزنا، أنكروه ورفضوه. وهكذا أنكر الماديون " معجزة الإسراء والمعراج " جملة وتفصيلا، لأنها لا تخضع لقوانينهم وموازينهم.

هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى، فإن الذين أفرطوا في الجانب الروحي وترهبنوا، اختلفوا فيما بينهم حول كون المعجزة تمت بالروح فقط، أو بالجسد فقط، أو بهما معا؟ وقد رددنا على هؤلاء وأولئك، وأثبتنا أن المعجزة تمت للرسول ﷺ بالروح والجسد معا، لأنهما إن حدثتا له بالروح فقط ما استحقت أن تكون معجزة، فالرؤيا الصادقة تحدث للصالحين من غير الأنبياء والرسل، والإنسان العادي يرى في منامه كل شيء لا يستطيع أن يبلغه في صحوه، فهو في منامه يطير ويتجول في أماكن بعيدة ومناطق فسيحة،

ويحصل على آمال وينال مطالب في أحلامه فقط...

ما هو البـراق؟

بعد أن تمت الرحلتان وعاد رسول الله ﷺ إلى موطنه وبيته بمكـة، حكـى للناس ما حدث، وكان ضمن ما قاله: إن "براقا" جاءه وأمـر أن يركبـه. وهـذا البراق هو الوسيلة التي نقلته في رحلته الأرضية من مكة إلى القـدس. فمـا هـو البراق يا ترى؟ أفاد أهل الاختصاص في اللغة العربية بأن البراق دابة أصغر من البغل وأكبر من الحمار، وقال بعض شـراح أحاديـث الرسـول ﷺ: إن البـراق مشتق من البريق، ولونه أبيض، أو هـو مـن "البـراق"، وسـمي كـذلك لـشدة لمعانه وصفائه وتلألؤه أو توهجه. فلا ضير، إذن، أن نقترح بأن يكـون البـراق هو البرق الذي حمل الرسول ﷺ وسار بسرعة الـضوء مـن مكـة إلى القـدس في الذهاب والإياب. وتبقى المعجزة في استعمال هذه الظاهرة الطبيعية كامنـة في حماية الرسول ﷺ من آثارها المدمرة والوقاية من أضرارها...

وقبل أن نغادر الرحلة الأرضية (وهي الشق الأول من معجـزة الإسـراء والمعـراج) وننتقـل إلى الرحلـة العلويـة الـسماوية، نـود القـول بـأن الـذين يـستبعدون حـدوث الإسـراء (ناهيـك عـن المعـراج) علـيهم أن يبحثـوا في الأحداث السابقة لتاريخ هذه المعجزة، ليقرأوا من مصادر موثوقـة (وأقواهـا بالطبع هـو كتـاب الله المجيـد " القـرآن الكـريم ") عـددا مـن الأحـداث أو الحوادث كانتقال عرش بلقـيس مـن مملكـة سـبأ بـاليمن (جنـوب الجزيـرة العربية) إلى حيث كان يقيم رسول الله سليمان (عليه السلام) في الشام (شـرق البحر المتوسط). ومـوجز هـذه الحادثـة هـو أن سـليمان أرسـل إلى بلقـيس (مملكة سبأ) رسالة يعرض فيها عليهـا الإيمـان بـالله وحـده لا شـريك لـه في الخلق والملك والتدبير، وبعد مداولات بينها وبين وزرائها (أو شعبها) استقر

رأيها أن تسلم لله رب العالمين. فاتجهت إلى بلاد الشام قاصدة سليمان، وقبل أن تقترب من هذه البلاد أعد سليمان صرحا عظيما لاستقبالها، ثم أراد أن يريها شيئا من دلائل عظمة قدرة الله، فقرر أن يأتي بعرشها (من اليمن) لتجلس هى على هذا الصرح الذي أعده لها. فتفقد سليمان قدرات من حضر مجلسه (جنا وإنسا) وإمكاناتهم في إتمام هذه المهمة، فقال له عفريت من الجن: أنا آتيك به – من اليمن إلى الشام – قبل أن تقوم من مقامك. وقال آخر – آتاه الله العلم والقدرة من لدنه –: أنا آتيك به قبل أن يرتد إليك طرفك !! وبالفعل، جاء هذا الذي آتاه الله العلم والقدرة بعرش بلقيس في زمن لم يتعد طرفة عين، ولا يعرف لأحد حتى الآن كيف تم تنفيذ هذه المعجزة الخارقة. ومن نافلة القول: إن سليمان بن داود كان هو وأبوه نبيين أنعم الله عليهما بإنعامات كثيرة، وكان سليمان يأتي الخوارق كثيرا، ويحمد الله في كل مرة أن سخر له الكون وأخضع له الظواهر الطبيعية وخرق النواميس الكونية...

المعراج (الرحلة العلوية السماوية في عالم الملكوت):

إن الكون الذي يستطيع الإنسان أن يبصر بعض أطرافه كون فسيح ضخم، بالرغم من أنه بكل ما يحتوي لا يمثل سوى السماء الأولى فقط، فلا نعلم ولا يعلم أحد مهما أوتى من العلم – إلا أن يكونه نبي أو رسول يتلقى الوحي – عن غير هذه السماء شيء، سواء كانت السماء الثانية أو الثالثة أو الرابعة أو... إلخ.

هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى، فإن فكرة الإله الذي يحتل مكانا محددا من الكون فكرة لا تتفق مع العقل الصحيح أو المنطق القويم، بل ربما نعتبر – نحن أهل الكوكب الأرضي – أناسا في سماء أخرى بالنسبة لمخلوقات غيرنا تعيش في كوكب أو مكان لا نعلمه نحن في مجرتنا أو في

مجرة أخرى من مجرات الكون الفسيح...!! إذن فالخالق العظيم، أي: الله الواحد المالك المدبر، له قوة مطلقة ولا يستطيع أحد أن يحدد له سبحانه مكانا أو زمانا، بل هو سبحانه موجود قبل أن يكون هنالك زمان أو مكان...

وقديما ذهب الناس إلى أن ما يرونه فوق رؤوسهم عبارة عن سماوات تسكنها الملائكة، ولكن العلم الحديث توصل إلى أن هذا ما هو إلا ظاهرة ضوئية تحدث في جو الأرض نتيجة لتشتت وتناثر ضوء الشمس الأزرق بوفرة فيه... وتوصل العلم الحديث بعد الخروج من الغلاف الجوي والتجول في الفضاء الكوني، أن الأرض ما هي إلا كوكب موجود في مجموعة تابعة للشمس، ولا يزيد سمك غلاف هذا الكوكب ١٠٠٠ كيلومتر، بما فيه تلك " القبة الزرقاء " التي ظنها الناس قديما مسكن الملائكة، ولكنها ظاهرة ضوئية تحدث في طبقة من الغلاف الجوي للأرض لا يزيد سمكها عن ٢٠٠ كيلومتر...

والأمر الثالث هو أن تحول المادة إلى طاقة، ثم عودة الطاقة إلى المادة، هو أمر معلوم الآن بالكشوف العلمية الحديثة، وهو وإن كان أمرا نظريا، فإنه مستحيل التنفيذ عمليا. إذن: فإذا قلنا بتحول جسد الرسول ﷺ – وهو مادة – إلى ضوء – وهو طاقة – أو ما هو أعلى من الضوء، حتى يخترق آفاق الكون وما بعد الكون في ساعات قليلة بحسابنا البشري، فإننا بذلك نكون قد قدمنا اقتراحا لتقريب مفهوم الحدث، وإن كنا لا نجزم بما نقترحه. ولعل مما يدل على قصر مدة الرحلة بجانبيها – الإسراء والمعراج – هو ما رواه الرسول بعد عودته لأم هانيء – ابنة عمه – وما رواه لكل الناس بعد ذلك، ومن هذه الرواية أنه صلى العشاء مع أصحابه، ثم عاد وظهر وقت الفجر فصلى الفجر معهم... !!

هذا مدخل ندخل منه إلى موضوع " المعراج "، وهو الصعود (أو آلة الصعود) من سطح الأرض إلى طبقات الجو العليا، إلى حيث الاختراق والنفاذ من أقطار الأرض وغيرها من الكواكب والنجوم، إلى حيث لا يعلم الإنسان حتى الآن. ولكننا نرى من الأفضل أن نعجل بقراءة آيات المعراج الواردة في القرآن الكريم، وهى الآيات التي لم تذكر " المعراج " صراحة، بل يفهم منها: ﴿ وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ۝١ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ۝٢ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ۝٤ عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ ۝٥ ذُو مِرَّةٍ فَٱسْتَوَىٰ ۝٦ وَهُوَ بِٱلْأُفُقِ ٱلْأَعْلَىٰ ۝٧ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ۝٨ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ۝٩ فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ ۝١٠ مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ ۝١١ أَفَتُمَٰرُونَهُۥ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ ۝١٢ وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ۝١٣ عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ ۝١٤ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ ۝١٥ إِذْ يَغْشَى ٱلسِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ ۝١٦ مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ۝١٧ لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ ۝١٨ ﴾ (النجم:١/ ١٨).

هكذا بدأت سورة " النجم " بالحديث عن معراج النبي ﷺ، أي المعجزة العظيمة التي حدثت لرسول الله تكريما له، وقد رأى فيها عجائب صنع الله وغرائب خلقه في ملكوته العظيم الذي لا يحده حد. ولقد اقتضت حكمة الله أن يكون أول ألفاظ السورة جرم سماوي، أي: " النجم "، وهو إحدى الآيات الكونية التي خلقها الله، والله سبحانه يقسم بسقوط النجم أو أفوله أو انفجاره أو احتراقه، وهو قسم بشيء عظيم إذا فكر فيه الناس. وجاءت الآية الثانية لتؤكد لأهل مكة وقت تنزل القرآن بين ظهرانيهم أن رسول الله (أي: المبعوث فيهم) لم يضل ولم يختل ولم يزل، لأنه رسول مختار من قبل الله سبحانه، فلابد وأن ينطق الصدق ويقول الحق ويخبر بما رأى

ويحكى ما سمع ويبلغ ما أمر أن يبلغه...

كيف يضل وكيف يزل وهو الأمين على القرآن – كتاب الله – إلى الناس جميعا؟ إنه الوحي الذي يوحيه الله إلى رسوله ﷺ، حيث كان يأتيه جبريل – عظيم الملائكة – به، ويقرئه إياه. وجبريل هذا هو ذو قوة شديدة، وذو حسن ونضارة، وقد " استوى "، أي: ظهر على صورته الحقيقية لرسول الله محمد بن عبد الله ﷺ في "الأفق الأعلى"، فاقتربا وكادا أن يتلامسا، ولكن جبريل فارق الرسول عند موضع لا تتعداه الملائكة، وقال له: إذا تقدمتَ – أي: يا محمد – اخترقت، وإذا تقدمتُ – أي: أنا – احترقت. وبعد عبور هذا الموضع تجلىٰ الله لرسوله محمد بالإنعامات والتجليات والفيوضات، وأوحى إليه وحيا مباشرا، وكانت الصلاة المعروفة لنا هى ما أوحى الله به..

ولقد أقسم الله على أن ما يحدث به رسوله بعد عودته من هذه الرحلة هو الحق والصدق وليس بالكذب، لأنه لم يكذب قط طوال حياته... ولقد رأى رسول الله ﷺ الآيات الكبرى لعظمة الله وقدرته المطلقة...

وعلى الرغم من أن " الإسراء " و " المعراج " حدثا في نفس الليلة (ليلة السابع والعشرين من شهر رجب قبل الهجرة بعام واحد)، فإن موضعي ورودهما في القرآن الكريم لم يترادفا، بل ذكر الإسراء أولا (في سورة الإسراء)، وتأخر الحديث عن المعراج إلى سورة النجم التي وضعت بعد سورة الإسراء (في ترتيب سور القرآن). وقد تكون الحكمة في هذا هى جعل الإسراء (وهو الرحلة الأرضية) مقدمة للإخبار بالمعراج، وهى الرحلة العلوية التي ذهل الناس عندما أخبروا بها، فارتد عن الإسلام وقتها ضعاف الإيمان، بينما ظل على الإيمان أقوياءه.

والمكذبون بهذا الحدث – قديما وحديثا – لا عقل مدركا واعيا لهم، لأنهم لو قرأوا التاريخ لعرفوا أن أحداثا قبل هذه الحادثة وقعت، منها مثلا حادثة نقل عرش بلقيس من اليمن إلى الشام في ملمح البصر، التي أشرنا إليها سابقا. فكيف بهم يكذبون رحلة الإسراء..؟! ولو أنهم قرأوا التاريخ لعرفوا أن أحداثا قبل هذه الحادثة وقعت، منها مثلا: رفع إدريس إلى السماء، ورفع إلياس إلى السماء، ورفع عيسى بن مريم إلى السماء... وكلها أحداث قبل رفع رسول الله محمد بن عبد الله إلى السموات العلى، ولكنه عاد بعد الرفع ولم يمكث كما حدث لهؤلاء الأنبياء والرسل... عاد ليكمل رسالته وينشر الهدى والحق والعدل في ربوع الكرة الأرضية.

هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى، فإن هؤلاء المكذبين بـ " الإسراء والمعراج " لو أنهم قراوا التاريخ لعلموا أن الأنبياء والرسل جرت على أيديهم المعجزات وخوارق العادات، وأوقف الله لهم القوانين الطبيعية والسنن الكونية، ليكون هذا وذاك أدلة على صدق دعواهم للناس. والأمثلة في هذا الشأن كثيرة، منها النار التي ألقى فيها إبراهيم (عليه السلام) توقفت فيها خاصية الإحراق، وكانت بردا، بل وكانت أيضا " سلاما "، أي: أمانا... وانفلاق البحر لموسى (عليه السلام) حتى ظهرت اليابسة، وعبر موسى وقومه فرارا من بطش فرعون مصر الجبار الآثم... وانقلاب (تحول) عصى موسى إلى ثعبان ضخم ابتلع حبال وعصى السحرة فأخزاهم الله، وعلى التو ثابوا إلى رشدهم وتحولوا إلى الإيمان واتباع موسى (عليه السلام)... وتسخير الظواهر الطبيعية لسليمان (عليه السلام) وكذلك الجن والدواب والحيوانات والطيور... وإحياء الموتى على يدي عيسى (عليه السلام)، وإخراج الطير من الطين على يديه أيضا... كل هذه وتلك معجزات وخوارق

أجراها الله لأنبيائه ورسله ليصدقهم الناس ويتبعوا الهدى الذي جاءوا به...

أغراض وأهداف " الإسراء والمعراج ":

ونحن إذ نتحدث في " المعراج "، فإننا لم نجد فيما توصل إليه الإنسان في زماننا الحالي اكتشافا أو اختراعا يستدل به على تقريب فهم هذا الحدث الجلل لغير المسلمين، اللهم إلا تحول المادة إلى طاقة وبالعكس، ولكننا نكرر القول بأنه إذا كان كل من الإسراء والمعراج معجزة، فهي ليست للتحدي، ولكنها وقعت لأهداف وأغراض، نوجز أبرزها فيما يلي:

١) توالت على رسول الله ﷺ قبيل حادثة الإسراء والمعراج النكبات، فإلى جانب ما كان يلاقيه من عنت وعذاب الكفار له وتصديهم لدعوته وإنزال الأذى والضرر به وبمن تبعوه من أهل مكة بالجزيرة العربية، فقد نصيرا وظهيرا له هو عمه أبو طالب، وكذلك فقد إنسانة عزيزة جدا عليه هي زوجته خديجة التي كانت له السند والعون على تحمل الصعاب والمشقات في سبيل تبليغ دعوته السامية، فكلاهما مات في غضون أيام قبيل حادثة الإسراء والمعراج، ولذا سمى هذا العام " عام الحزن ". ومن هنا كان إنعام الله على عبده ورسوله محمد بهذه المعجزة العظيمة تطييبا لخاطره وتسرية له عن أحزانه وآلامه... ثم ليشهد فيها من عجائب المخلوقات وغرائب المشاهد ما تدق خفاياها عن القلوب والأفهام...

٢) ولما كان الإسراء – وكذلك المعراج – خرقا لأمور طبيعية ألفها الناس، فقد كانوا يذهبون من مكة إلى الشام في شهر ويعودون في شهر، لكنه – أي: رسول الله – ذهب وعاد وعرج به إلى السماوات العلى، وكل هذا وذاك في أقل من ثلثي ليلة واحدة... فكان هذا شيئا مذهل، أي أنه كان امتحانا واختبارا

للناس جميعا، وخاصة الذين آمنوا بالرسالة الجديدة، فصدق أقوياء الإيمان وكذب ضعاف الإيمان وارتد بعضهم عن إسلامهم. وهكذا تكون صفوف المسلمين نظيفة، ويكون المسلمون الذين يعدهم الله للهجرة أشخاصا أتقياء أنقياء أقوياء، لهم عزائم متينة وإرادة صلبة، لأن الهجرة تحتاج أن تتوفر لديهم هذه الصفات...

٣) كان ضمن ما ورد على لسان رسول الله ﷺ أنه حينما وصل إلى بيت المقدس التف حوله جميع الأنبياء والرسل، واصطفوا وقدموه للإمامة، وصلى بهم... وإن هذا ليعد احتفالا بميراث النبوة الذي انتقل إلى خاتم الأنبياء والرسل، وهو محمد بن عبد الله، وانتقل بذلك من ذرية إسحاق إلى ذرية إسماعيل أبي العرب. ويعد هذا أيضا دليلا واضحا على عالمية الرسالة الإسلامية، وأن الإسلام هو الدين الشامل المحتوي لكل الشرائع والعقائد السماوية السابقة، ولذا فهو خاتم الرسالات التي أنزلها الله إلى البشر لهدايتهم. وإضافة إلى هذا وذاك، فإن اجتماع الرسول بكل الأنبياء والرسل وصلاته بهم دليل على أن كافة الشرائع السماوية جاءت من أجل تحقيق هدف واحد، هو عبادة الله وحده لا شريك له، إلها واحدا أحدا...

٤) لقد كان الصعود من بيت المقدس ولم يكن من مكة، ذا دلالات، إحداها الأمر بنشر الإسلام وتوسعة إطاره، وذلك لأنه الدين الخاتم الشامل الجامع الذي ارتضاه الله للناس كافة على اختلاف أجناسهم وألوانهم وشعوبهم ولغاتهم... وفيه أيضا أمر ضمني بنبذ الخلاف فيما بين المسلمين، بل الأمر بتوحدهم واجتماع مصالحهم.

٥) يعتبر فرض الصلاة – بهيئتها المعروفة وعددها وأوقاتها اليومية المعروفة – على المسلمين في رحلة المعراج دليلا على أن الصلاة صلة بين

العبد وربه، وهى معراجه الذي يعرج عليه إلى اله سبحانه وتعالى بروحه، وأنها الوقت الذي يناجي العبد فيه ربه ويبث إليه ما يرنو إليه. فالصلاة إذن عماد الدين، ومن تركها وأهملها فكأنه هدم دينه وأضاعه... وهذه الصلاة بهيئتها الحركية أفضل الحركات لمصالح الجسد الصحية، إضافة إلى معطياتها النفسية والروحية.

وختاما: فإننا لا نستطيع إحصاء ما للإسراء والمعراج من فضائل وفوائد، وإنما سقنا ما أفاء الله به علينا وعرضناه بإيجاز، ولابد من التأكيد مرة أخرى على أن معجزة " الإسراء والمعراج " معجزة لم يتحد الله بها البشر، لأن البشر لن يفكروا مطلقا في الإتيان بمثلها، أو بما يشابهها، مهما بلغت قواهم وارتقت عقولهم وتطورت مخترعاتهم... وإنما هي معجزة لاختبار قوة العقيدة وتمحيص قلوب المؤمنين، فمن كان إيمانه قويما صدق ومن كان غير ذلك كذب أو استكثر حدوث ما حدث.



ثبوت الإسراء والمعراج بالجسد والروح

يقول المصنف: [إن ما يدل عَلَى أن الإسراء كَانَ بجسده ﷺ في حال اليقظة لا المنام: أن الله تَعَالَى قَالَ: ﴿ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ (الإسراء:١). والعبد عبارة عن مجموع الجسد والروح].

فإذا أُطلق فإنَّه يطلق عَلَى الروح والجسد معاً كقوله تعالى: ﴿ وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ ﴾ [الجن:١٩]. أي: أنه ﷺ لما قام بروحه وجسده [كما أن الإنسَان اسمه مجموع الروح والجسد [فلا نفهم أنه روح فقط، فإذا قلنا: جَاءَ إنسان، فلا يمكن أن يفهم أحد أنه جاءت روح إنسان، وإنما المقصود أنه جَاءَ بذاته، أي: بجسده وروحه]، هذا هو المعروف عند الإطلاق، وهو الصحيح.

فيكون الإسراء بهذا المجموع -وهذا ما تقدمت الأدلة عليه بالتفصيل- ولا يمتنع ذلك عقلاً] بل لا نأبه أن يكون هناك من يقول: إن العقل يثبت هذا الشي أو ينفيه مادام أنه قد صح عن رَسُول الله ﷺ، فعقولنا: إنما هي آلات أعطانا الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- إياها لنستعين بها عَلَى فهم ما ينزله علينا، فإذا جعلناها معارضة لما أنزل فقد خرجنا بها عن طورها، وظلمنا أنفسنا كما قال تَعَالَى عن الشرك: ﴿ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾ [لقمان:١٣] والبدعة: ظلم؛ بل المعصية أيضا ظلم؛ لأنها وضع للشيء في غير موضعه، ومن أكبر الظلم: أن يظلم هذا العقل -الذي جعله الله أداة لنفهم طريقنا إليه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- كما بين وشرع- فنجعله أداة معارضة ومضادة للوحي الذي أنزله

الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- فإنه أعطانا إياه لنفهم به هذا الوحي لا لنرد به الوحي.

لكن المُصنِّفُ ذكر ذلك عرضاً من باب التنزل والجدل واستدراج الخصم، وإلا فإننا -أَهْل السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ- كما أننا في المأثور والمنقول نستطيع أن نتكلم ونبين الحق، فكذلك أيضاً في المعقول والنظر نَحْنُ أصدق النَّاس وأنصحهم في النظر والعقليات يقول المُصنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ: [ولا يمتنع ذلك عقلاً] أي: ما المانع العقلي أن يكون الإسراء بالروح والجسد، وأن يتحقق في هذه السرعة، وفي هذا الوقت، وبهذه الكيفية الَّتي ثبتت عنه ﷺ

يقول المُصنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ: [ولو جاز استبعاد صعود البشر لجاز استبعاد نزول الملائكة، وذلك يؤدي إِلَى إنكار النبوة وهو كفر] يريد أن يُلزم الذين ينكرون الإسراء والمعراج عامة، والذين ينكرون كون ذلك بالجسد والروح بلازم وهو: أن كل مؤمن بالإسلام وبنبوة مُحَمَّد ﷺ يقر بأن جبريل عَلَيْهِ السَّلام ينزل إِلَى النبي ﷺ بالوحي، بل قد نزل إِلَى من قبله، وهناك ملائكة آخرون ينزلون إِلَى الأرض، ثُمَّ يصعدون إِلَى السماء؛ فإذا كَانَ الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- قد بين ذلك، وكلنا مقرين بأن الملائكة تنزل من السماء إِلَى الأرض، ثُمَّ تصعد وتعرج، كما ذكر الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وعلى تفاوت في أحوالها ووظائفها وأعمالها بهذه القدرة العظيمة، وكل الذين يؤمنون بالرسل وبالأنبياء حتى من غير الْمُسْلِمِينَ مقرون بهذا الأمر، فما المانع من الإقرار بصعود البشر ثُمَّ نزولهم، كما حدث ذلك لنبينا مُحَمَّد ﷺ، ولا سيما وهو أفضل الخلق وسيد ولد آدم وهو أفضل الأَنْبِيَاء والرسل صلوات الله عليهم وسلامه عليهم أجمعين.

فإنكار نزول الملائكة يؤدي إِلَى إنكار النبوة، وقد سبق في مبحث النبوة أن كل الدين مركب عَلَى قضية أساسية، وهي إثبات نبوة مُحَمَّد ﷺ؛ لأن من

ينكرها معناه أنه لا يؤمن بالسنة، ولا يؤمن بالملائكة، ولا بالله ولا باليوم الآخر فهذا كافر، كحال من أنكر نبوته ﷺ من اليهود والنَّصارَى وغيرهم، ومن أقر بنبوته، فإنه تلقائياً يجب عليه أن يقر بكل ما صح عن النبي ﷺ من الأخبار، وكذلك يجب عليه أن يعمل بكل ما صح من الأوامر والنواهي.

الحكمة من الاسراء إلى بيت المقدس:

قَالَ المُصنِّفُ رحمه الله تعالى:

[فإن قيل: فما الحكمة في الإسراء إِلَى بيت المقدس أولاً؟

فالجواب والله أعلم: أن ذلك كَانَ إظهاراً لصدق دعوى الرَّسُول ﷺ المعراج حين سألته قريش عن نعت بيت المقدس، فنعته لهم وأخبرهم عن عيرهم التي مر عليها في طريقه، ولو كَانَ عروجه إِلَى السماء من مكة لما حصل ذلك، إذ لا يمكن إطِّلاعهم عَلَى ما في السماء لو أخبرهم عنه، وقد اطلعوا على بيت المقدس فأخبرهم بنعته. وفي حديث المعراج دليل عَلَى ثبوت صفة العلو لله تَعَالَى من وجوه لمن تدبره وبالله التوفيق] اهـ.

الشرح:

يقول المُصنِّف رَحِمَهُ اللَّهُ: [فإن قيل: فما الحكمة في الإسراء إِلَى بيت المقدس أولاً؟ فالجواب -والله أعلم-] نسب العلم إِلَى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، ونسبة العلم إليه أسلم وهو أدب من الآداب التي ينبغي أن يتحلى بها العالم والمتكلم في هذه الأمور التي لا يستطيع الجزم فيها، ولاسيما ما يتعلق بالحكمة، فنحن لا نعرف ولا ندرك هذه الحكمة، فمنها ما هو ظاهر يدرك بالفهم وبالنظر السليم الصحيح، ومنها أمور خفية ودقيقة لا يمكن أن ندركها بنفس القوة في القطع والجزم، ومنها ما لا يدرك أصلاً.

فعلى الإنسَان أن يرد العلم إِلَى الحكيم العليم سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فَيَقُولُ: والله أعلم، هذا خير وأفضل وأسلم في أمثال هذه الأمور، فهو من الآداب التي ينبغي علينا أن نتحلى بها، فلا نجزم في شيء لا نملك عليه دليلاً نستطيع معه أن نجزم.

فَيَقُولُ: [أن ذلك كَانَ إظهاراً لصدق دعوى الرَّسُول ﷺ المعراج]، فالله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- عَلَى كل شيء قدير ويستطيع أن يعرج به إِلَى السماء، وأن يأتي بأي دليل آخر عَلَى إثبات هذه الواقعة غير الإسراء، قبله أو بعده، أو بأي أمر من الأمور، فلا نستطيع أن نحد قدرته ومشيئته وإرادته، لكن هذا جانب من جوانب الحكمة التي تظهر لنا، أن الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- يريد إظهار صدق دعوى المعراج، فكان الإسراء مهلاً له

فلذلك حين سألته قريش عن نعت بيت المقدس نعته لهم وأخبرهم عن عيرهم التي مر عليها في طريقه، وهذا بعض الحكمة، لأن قريشاً تعرف بيت المقدس وتسافر وترتحل إليه وهذا أمر مشهود معروف عندهم، كما في حديث أبي سفيان مع هرقل، حين قبض عليه أعوان هرقل كان في أرض الشام، وهم يعرفون ذلك المسجد، فحينما يخبرهم النبي ﷺ بأنه أسري به إِلَى بيت المقدس ثُمَّ يخبرهم أنه عرج به إِلَى السماء، نجد أن هناك نوعاً من النقلة النفسية، وهو خارق بلا شك، فلذلك قالوا: نَحْنُ نضرب إليها أكباد الإبل الشهر والشهرين، ويذهب مُحَمَّد إليها في ليلة، لكن أعظم منه وأدهى وأشد أن يعرج به من ذلك المسجد إِلَى السماء، فهذا شيء بعيد جداً؛ لأنهم يجادلون ويمارون في هذا الأقل.

لكن عندما يكون لديك أمران: أحدهما مستحيل في نظرك، ثُمَّ يأتي بعده ما هو أكثر استحالة منه، فإن هذا يدفعك إِلَى أنك تكاد أن توافق بالأمر

البسيط، وتقول: ما دام أن فيها كذا نسلم بهذا الأقل والأهون، وهذا أمر يمكن أن يجادل فيه، فلهذا جاءوا يجادلون كيف ذهبت؟ فلما طلبوا منه وصف المسجد أظهره الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- أمامه المسجد، فأخذ يراه رأي العين ويصفه لهم حتى أيقنوا وصدقوا أنه ﷺ قد أسري به، وكان ذلك تصديقاً قلبياً وليس تصديقاً إيمانياً، ووقر ذلك في قلوبهم، كما قال الله تعالى: ﴿ قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُۥ لَيَحْزُنُكَ ٱلَّذِى يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴾ [الأنعام:٣٣]. فجحدوه بعد أن وقر في قلوبهم.

ومن الحِكَمِ الأخرى أن بيت المقدس هو مهبط النبوة قبل نبوته ﷺ، فأنبياء بني إسرائيل بعثوا في تلك الأرض المقدسة، وهناك القبلة الأولى التي كَانَ النبي ﷺ وأصحابه يستقبلونها، إذاً فهناك ربط بين هذا النبي الجديد وبيئته وبلدته الجديدة -النبوة الخاتمة- وبين مهبط النبوة السابقة لها أيضاً، وفيه إشعار بأن هذا النبي ﷺ مكمِّل ومتمِّمٌ لرسالات الأَنْبِيَاء قبله، فهو خاتمهم، ولم يأتِ في باب التوحيد والإيمان بجديد عما جاءوا به في أصَلِ القضية، وإنما دعا إِلَى ما دعوا إليه.

فعلى كل من يقر بنبوة الأَنْبِيَاء ويثبتها من أهل الكتاب بالأخص أن يؤمنوا بهذا النبي ﷺ، وكذلك ما حصل فيه من صلاته بجميع الأَنْبِيَاء صلَى الله عليم وسلم في ذلك المكان، وهذا أيضاً تحصل به الحكمة، إذا كَانَ الإسراء أولاً، ثُمَّ بعد ذلك المعراج، وأن العبادة موضعها هي هذه الأرض في هذه الدنيا، لا سيما في مثل هذا المقام الذي يراد منه أن يظهر فضل النبي ﷺ في العبودية عَلَى بقية الأنبياء، ولهذا صلَّى بهم إماماً فجمعهم الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- له، وأمهم النبي ﷺ في مهبط الدعوة، فكان بذلك إيذاناً بأنه أكملهم في العبودية.

فالنبوة حصرت في ذرية إبراهيم عَلَيْهِ السَّلام، ثُـمَّ كانـت النبـوة في فـرع إسحاق فنقلها الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- للنبي ﷺ إِلَـى فـرع إسـماعيل، وكلاهمـا أبناء إبراهيم الخليل عليه وعليهم أفضل الصلاة والتسليم، ويمكن أن نـستنبط حِكَماً كثيرة غير التي ذكرها المُصنِّف وإن كانت هـذه التـي ذكرهـا المُـصنِّف رَحِمَهُ اللَّهُ من أظهر وأجلى الحكم.

***

دروس في ظلال الإسراء والمعراج

هناك الكثير من النتائج التي تستخلص من مقدمات وأحداث رحلتي الإسراء والمعراج وأهمها ما يلي:

الدرس الأول-

الفرج آت لكل مسلم مع الصبر الجميل والدعاء الذليل:

لقد رأينا كيف كان الإغواء والإيذاء شديدًا؛ كي يتراجع النبي عن شيء من ثوابت دعوته، فأبى النبي إلا التمسك بالحق والإصرار على مواصلة الطريق، وتركهم إلى أرض أخرى؛ لعلها أن تكون أكثر خصبًا وقبولاً للدعوة الإسلامية، فذهب إلى الطائف، فكان قومها أشد بأسًا في مواجهة النبي، فلم يعاملوه لا كإنسان في الضيافة عند العرب، ولا كرسول له الحق أن يبلغ كلمة الله ولهم الحق في قبولها أم لا!! رفضوا السماع، ورفضوا عرض الفكرة بأسلوب سلميّ محض، وسلطوا عليه الصغار والكبار من اللئام الذين أخرجوه طريدًا..!

ولا يملك شيئًا إلا إيمانه بربه وعزمه على مواصلة دعوته، لا يتنازل عن جزئية منها، ولم يستطع أن يدخل مكة بلده الأصلي وموطن أهله وعشيرته ومقام زوجته وأولاده فاضطر إلى الدخول في جوار المطعم بن عدي، ثم رفع رأسه إلى السماء ودعا ربه بخير دعاء فقال مبتهلاً متبتلاً خاشعًا متذللاً: "اللهم إني أشكو إليك ضعف قوتي، وقلة حيلتي، وهواني على الناس، أنت رب المستضعفين وأنت ربي، إلى من تكلني، إلى بعيد يتجهمني أم إلى قريب ملكته أمري؟ إن لم يمكن بك غضب عليَّ فلا أبالي، ولكن عافيتك هي أوسع لي، أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات، وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة

من أن تنزل عليَّ غضبك أو يحل عليَّ سخطك، لك العتبى حتى ترضى، ولا حول ولا قوة إلا بك".

فكافأه الله تعالى بما يلي:

١- استجابة عبدٍ يسمى عداس إلى الإسلام بعد رفض الكثير له، وهداية واحد خير من الدنيا وما عليها.

٢- ساق الله إليه نفرًا من الجن يستمعون القرآن وأحسنوا الاستماع والإنصات، ثم فهموا واجبهم فولّوا إلى قومه منذرين.

٣- استجابة ستة من أهل يثرب هم طلائع الدعوة في المدينة المنورة والتمكين للإسلام في الأرض، ومنهم أسعد بن زرارة، وعوف بن الحارث، ورافع بن مالك، وقطبة بن عامر، وعقبة بن عامر، وجابر بن عبد الله، هذا بعد أن رفضت كل القبائل الأخرى منهم بنو كلب وبنو حنيفة، وبنو عامر بن صعصعة وفزارة وغسان دمرة وسليم وعيس وبنو نضر وكندة وعذرة والحضارمة.

وهؤلاء كانوا نواة الدعوة التي نشرت الإسلام في يثرب، وتحولت بهم الجماعة الإسلامية المطاردة في مكة إلى دولةٍ ذات عز وتمكين في المدينة المنورة.

٤- عدد من أشراف قبائلهم وقومهم منهم سويد بن الصامت الشاعر، وإياس بن معاذ، وأبو ذر الغفاري، والطفيل بن عمرو الدوسي سيِّد قبيلة دوس.

٥- الإسراء إلى بيت المقدس والمعراج إلى الملأ الأعلى، فدنا فتدلى فكان قاب قوسين أو أدنى.

لم يكن الفرج فقط في رحلة الإسراء والمعراج، بل كانت بعض الفرج الرباني بعد هذا الصبر الجميل، والدعاء الذليل، مكافأة الله تعالى على هذا الخير الجزيل.

وهذا ما يجب أن يوقن به كل مسلم ومسلمة أن مع العسر يسرًا، والفرج مع الصبر، والاستجابة مع الدعاء، والظفر مع الثبات على الحق، وأن تعالى وعد ولا مخلف لوعده، حيث قال سبحانه: ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَـٰنَكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ (البقرة:١٤٣).

الدرس الثاني-

الرفق بالمدعوين نهج المرسلين وأدب الدعاة الربانيين:

نحن في مسيس الحاجة إلى أن نغترف من معين النبوة الصافي في الرفق بالناس، وعدم الرغبة في الانتقام منهم، وقد صار نهجًا مستمرًّا في هدي النبي؛ حيث روى الطبراني في معجمه الأوسط عن عائشة أن النبي قال: "ما دخل الرفق في شيء إلا زانه، ولا نزع من شيء إلا شانه".

ولعل ما سبق الإسراء والمعراج من غاية الرفق بالمدعوين، رغم صلفهم وعنادهم وبغيهم يظهره الحديث الذي رواه البخاري بسنده عن عروة بن الزبير أن عائشة حدثته أنها قالت للنبي: هل أتى عليكَ يومٌ كان أشدَّ من يوم أحد؟ قال: "لقد لَقِيتُ من قومك ما لقيت، وكان أشدَّ ما لقيتُ منهم يومَ العقبةِ إذ عرَضتُ نفسي على ابنِ عبد ياليل بن عبد كُلال، فلم يُجِبني إلى ما أردت، فانطلقتُ وأنا مَهمومٌ على وَجهي، فلم أستَفق إلا وأنا بقرنِ الثَّعالب، فَرَفَعتُ رأسي، فإذا أنا بَسحابةٍ قد أظلَّتْني، فنظرتُ فإذا فيها جِبريل، فناداني فقال: إن الله قد سمعَ قولَ قومكَ لك وما رَدوا عليك، وقد بعث اللهُ إليكَ

مَلَكَ الجبالِ لتأمرَهُ بما شِئتَ فيهم. فناداني ملكُ الجبال، فسلم عليَّ، ثم قال: يا محمد. فقال: ذلكَ فيما شئتَ، إن شِئتَ أن أطبِقَ عليهم الأخْشَبَينِ". فقال النبيُّ: "بل أرجو أن يُخرجَ الله من أصلابهم من يَعبُدُ اللهَ وحدَهُ لا يُشركُ بهِ شيئًا".

هكذا كان الحبيب ! بكلمة واحدة إلى ملك الجبال يستطيع أن يدمر كل شيء في مكة، ولا يُبقي فيها واحدًا من المشركين، دون أن يكلفه شيئًا إلا كلمة واحدة. لكنه أبى؛ لأنه رحمة للعالمين، لأنه ذا قلبَ ينبض بالحب لكل الناس أن يهتدوا، أو أن يخرج من أصلابهم من يعبد الله من الأطفال.

وهكذا الدعاة يحبون للناس الخير، لا يدفعون السيئة بالسيئة بل يدفعونها بالحسنة وبالتي هي أحسن، يقابلون الشر بالخير، والقطيعة بالوصل، والقتل والاضطهاد بالحب والإرشاد.

ولذا كافأه الله بأعظم رحلة في الوجود إلى المسجد الأقصى الشريف وإلى السموات العُلا، وقربه إليه ربه وهدى الله به خلقًا كثيرًا، وحقق أمله، فكان من أولاد المشركين خيرة الدعاة والمصلحين منهم:

١- خالد بن الوليد ابن الوليد بن المغيرة الذي نزلت فيه آيات سورة المدثر.

٢- عكرمة بن أبي جهل ابن عمرو بن هشام كبير المشركين.

٣- أم حبيبة بنت أبي سفيان زوجة النبي، وكان أبوها آنئذٍ كافرًا.

٤- عبد الله بن عباس وقد أسلم مع أمّه أم الفضل قبل العباس بن عبد المطلب حين كان كافرًا.

وهكذا يكون الصبر مع الرفق والرحمة مع الشفقة بالمدعوين سببًا في هدايتهم، أو هداية أولادهم، ويفوز الدعاة بالقربى إلى الله، ورفع الدرجات والفوز بالجنات إن شاء الله تعالى.

الدرس الثالث-

أمة الإسلام هي صاحبة الميراث لرسالة الرسل والأقصى الشريف:

لقد كانت محطة الإسراء النهائية إلى بيت المقدس، وأول المعراج من بيت المقدس، وصلى النبي بالأنبياء جميعًا إمامًا؛ كي يؤسس على هذا التوافق بين الأديان السماوية، وتبعية الرسالات السماوية لرسالة واحدة هي رسالة الإسلام، وبخاصة ما جاء به سيدنا عيسى وموسى وغيرهم عليهم الصلاة والسلام. وصار المسجد الأقصى بهذا أولى القبلتين، وميراث المسلمين، وظل سيدنا عمر حافظًا لدرس الإسراء والمعراج، وللعهد بالصلاة ستة عشر شهرًا أو سبعة عشر شهرًا، كما جاء في حديث البخاري بسنده عن البراء بن عازب، حتى أرسل خالد بن الوليد وأبا عبيدة بن الجراح وفتحت فلسطين والشام، وذهب بنفسه لاستلام مفاتيح القدس، ولم يذهب إلى بلد خارج الجزيرة غيرها، وأعطى من صور السماحة مع الأديان الأخرى ما بقي موضع ذكر من كل منصف..

وعاش غير المسلمين في ظل حكم الإسلام يمارسون شعائرهم، وتحترم دور عبادتهم، ويشاركون المسلمين في إدارة البلاد، دون أية حساسية حتى جاء الصليبيون يحملون حقدًا وغلاً، وتحركهم أهواء سياسية وشائعات كاذبة أن المسلمين هدموا قبر المسيح، وهي أكذوبة روَّجها البابا أوربان الثاني والساسة والقساوسة؛ لتحريك الجموع العمياء عن الحقيقة، وقتلوا

وسفكوا وهتكوا وخاضوا في الدماء، وأمعنوا في الخراب بحقدٍ لا مثيل له، لكن صلاح الدين لما واجههم لظلمهم، وقاومهم لفسادهم، وقاتلهم لبغيهم قابلهم بسماحة الإسلام في التعامل مع الأسرى.

وندع الأستاذة زيجريد هونكه المؤرخة الألمانية تروي في كتابها (الله ليس كذلك) ص٢٥ على لسان أحد الألمان الذين شاركوا في الحروب الصليبية وهو "أوليفروس" حيث كتب عن معاملة صلاح الدين لهم فقال: "منذ تقادم العهود، لم يسمع المرء بمثل هذا الترفق والجود، خاصة إزاء أسرى العدو اللدود، ولما شاء الله أن نكون أسراك، لم نعرفك مستبدًّا طاغية، ولا سيدًا داهية، وإنما عرفناك أبًا رحيمًا شملنا بالإحسان والطيبات، وعونًا منقذًا في كل النوائب والملمات. ومن ذا الذي يمكن أن يشك لحظة في أن مثل هذا الجود والتسامح والرحمة من عند الله.. إن الرجال الذين قتلنا آباءهم وأبناءهم وبناتهم وإخوانهم وأخواتهم وأذقناهم من العذاب، لما غدونا أسراهم وكدنا نموت جوعًا، راحوا يؤثروننا على أنفسهم على ما بهم من خصاصة، وأسدوا إلينا ما استطاعوا من إحسان، بينما كنا تحت رحمتهم لا حول لنا ولا سلطان"!!

واليوم دنَّس الصهاينة الأقصى أرض القدس وفلسطين، وشردوا خمسة ملايين فلسطيني، وقتلوا الأطفال والنساء والشيوخ، واقتلعوا أشجار الزيتون، وهدموا البيوت وعاثوا في القدس فسادًا. ولا بد لكل مسلم أن يستشعر مسئوليته أمام الله -تعالى- عن رد البغاة، وطرد المعتدين، ولا سبيل لهذا إلا الجهاد المقدس لتحرير الأقصى الذي نتلو ذكره في آيات القرآن، ونعيش هموم الشعب الفلسطيني الذي يضحي كل عام بما يزيد عن ألف شهيد وأربعين ألف جريح، وهم عزل ماديًّا الأقوى روحيًّا، أمام طغمة من بني

صهيون بدباباتهم ورشاشاتهم وطائراتهم وجرافاتهم لكنهم الأضعف قلبًا، والأبعد عن الله تعالى وعن أي دين.

تلك مسئوليتنا أمام رب الأرض والسماء، وأمام التاريخ والأجيال، أمام القيم الإنسانية. والحق أن النصوص تؤكد أنه لا يمكن أن يتم ذلك إلا على أيدي المسلمين الصادقين، الذين يبذلون كل غالٍ ورخيص لحماية العرض، وتحرير الأرض من الغزاة المحتلين.

الدرس الرابع-

الإسراء والمعراج مثال لأحدث وأرقى صور السرعة في الاتصالات والمواصلات والفضائيات:

في عصر الجمل سفينة الصحراء كانت رحلة الإسراء والمعراج في سرعة فائقة في الزمان والمكان، حتى عاد الحبيب منها دون أن يبرد فراشه، كما روى البخاري بسنده عن أم هانئ رضي الله عنها. في هذا العصر قطعت المسافة من المدينة إلى المسجد الأقصى في ثوانٍ، ومن الأقصى إلى السموات العُلا في ثوان، وكانت العودة الحميدة، وإذاعة أنباء الرحلة في الصباح، ولم يكن أحدٌ يصدق إلا من آمن بالمعجزة الإلهية، والوحي الرباني، والقدرة التي لا يحدها شيء.

لكن أراد الله -تعالى- في هذا الزمن البدائي أن تكون معجزة النبي أبد الدهر أسبق من كل تكنولوجيا الاتصالات والفضائيات، فسألوه عن صفات المسجد الأقصى، وهم يعلمون أنه ما ذهب إليه في تاريخه قبل البعثة، فتجلى الأقصى مكانًا وشمالاً وجنوبًا وشرقًا وغربًا في شاشة لا يراها إلا النبي، وبُهِت الجميع لهذا الوصف الدقيق.

أليس هذا درسًا للذين ارتموا على أرجل الرجل الأبيض الذي أنشأ الفضائيات وطور الاتصالات؟ نحن -يا قومي- أصحاب سبق، لا تبهرنا الصور والأشكال، نحن ذوو عمق في النظر إلى الجوهر إلى الروح، إلى القيم والأخلاق، سواء كان الإنسان يركب حمارًا أو جملاً أو صاروخًا فضائيًّا، سواء كان فقيرًا أو غنيًّا.

هكذا المؤمن لا يبهر إلا بالحقائق، وهي وحدها في مكنون القرآن وصحيح السنن، وصريح العقول الراشدة، والحضارة المقترنة بالقيم الإنسانية، والأخلاق الإسلامية. ومن الضروري أن نراجع أنفسنا في تخلفنا عن السبق العلمي في المواصلات والاتصالات والفضائيات؛ فحيث كان يجب أن نكون الأسبق في العالم لهذه الاختراعات العلمية من فيض الآيات والأحاديث النبوية والوقائع التاريخية مثل الإسراء والمعراج، بل ومساهمات الحضارة الإسلامية في عصور الازدهار.. لكننا تأخرنا، فإذا توفرت إرادة إسلامية، وعزيمة إيمانية تستطيع أن نستوعب آخر الاكتشافات العلمية، وأن نضيف عليها إضافات جادَّة وفعليَّة، ونعطي للعالم مثالاً جديدًا على توافق الإسلام مع الحقائق العلمية التي تفيد كل الإنسانية.

الدرس الخامس-

هدية الإسراء والمعراج إلى الأمة الصلاة كمنهاج حياة:

لقد دنا النبي من ربه واقترب، ورأى من آيات ربه الكبرى، وقد علم الله حب نبيه لأمته، فأراد ألا يحرم كل مؤمن ومؤمنة من إسراء ومعراج، ففرضت الصلاة قبلتها الأولى إلى بيت المقدس حيث صلى بالأنبياء والرسل أجمعين، ثم معراج الروح لكل مصلٍّ إلى رب الأرض والسماء في كل سجدة،

كما قال سبحانه: ﴿ وَٱسْجُدْ وَٱقْتَرِب ﴾ (العلق:١٩). ولما رواه مسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ الله قَالَ: "أَقْرَبُ مَا يَكُونُ الْعَبْدُ مِنْ رَبِّهِ وَهُوَ سَاجِدٌ".

وصارت الصلاة منهاج حياة تصنع المسلمين في أحسن صياغة، فيبادرون الطفل في أول لحظة من حياته بالأذان والإقامة ريثما يميز فيُعلَّم الصلاة ثم يؤمر بها، ثم يكلف بأدائها عند البلوغ، وتبقى عبادة يومية خمس مرات، وعشرات المرات لمن تطوع، فهي أول ما يبدأ به يومه في صلاة الفجر المشهودة، وآخر ما يختم به يومه في صلاة الوتر المحبوبة، وبينهما صلوات بين الفرض والنافلة، فإذا حزبه أمر صلى، وإذا تحيَّر في أمرٍ صلى صلاة الاستخارة، وإذا أذنب صلى ركعتين تغسلان ذنبه وترفعان وزره، وإذا خسفت الشمس أو كسف القمر صلى، وإذا أجدبت السماء صلى، وإذا بُشِّر بالخير سجد شكرًا وذكرًا لله تعالى، وإذا وافته المنية وقدم على ربه كان آخر عهده بالدنيا صلاة الجنازة.

فهي منهج حياة من الميلاد إلى ما بعد الممات، وهي النور في القبر والحشر، وأول ما يُحاسب عنه العبد يوم القيامة، وأول مفاتيح الجنة بعد رحمة الله.

هكذا رحلة الإسراء والمعراج لم تكن نزهة بل معجزة، ولم تكن خاصة بالنبي بل ترسم منهاج حياة لمن أراد النجاة، ووهب حياته كلها لدعوة الله.

***

نظرة مغايرة لرحلة الإسراء والمعراج

تعد رحلة الإسراء والمعراج التي خص الله بها نبيه محمد ﷺ من أهم معجزاته عليه الصلاة والسلام بعد القرآن الكريم لكننا وفي زمان العلم الحديث الذي قفز قفزاته الهائلة خصوصا في القرن العشرين أجد أن من المهم أن نقرأ هذه الرحلة المباركة قراءة أخرى من منظور العلم ليس لتطويع النص المقدس لصالح الحقيقة العلمية إنما لاستخدام مفاهيم العلم الحديثة في تقريب آيات هذه الرحلة المباركة إلى الأذهان.

..دعونا نستعرض أهم مفردات الرحلة المباركة جاء في الحديث أتيت بالبراق ـ وهو دابة أبيض طويل فوق الحمال دون البغل، يضع حافره عند منتهى طرفه ـ قال: فركبته حتى أتيت بيت المقدس، فربطته بالحلقة التي يربط بها الأنبياء ثم دخلت المسجد فصليت فيه ركعتين، ثم خرجت فجاءني جبريل(عليه السلام) بإناء من خمر وإناء من لبن فاخترت اللبن، فقال جبريل: اخترت الفطرة. ثم عرج بنا إلى السماء الدنيا ثم ذكر الحديث وأحاديث أخرى تفصيل الانتقال بين السماوات السبع ومن لقي النبي ﷺ فيهن من الأنبياء حتى وصل إلى سدرة المنتهى ومن ثم فرض الصلاة وغيرها من الأحداث...

وفي حديث آخر عن أم هانئ بنت أبي طالب قالت: ما أسري برسول الله ﷺ إلا وهو في بيتي نائم عندي تلك الليلة، فصلى العشاء، ثم نام ونمنا، فلما كان قبيل الفجر أهبنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فلما صلى الصبح وصلينا معه قال: يا أم هانئ لقد صليت معك العشاء الآخرة كما رأيت بهذا الوادي، ثم جئت بيت المقدس فصليت فيه، ثم صليت صلاة الغداة معكم الآن كما ترين.

النسبية تقول:

.. من خلال ما سبق نجد ان الرحلة تمت في زمن ضئيل جدا (او لنقل لا زمن) ويدلل على ذلك:-

حديث ام هانئ ان الرسول عاد في نفس الليلة و أيقظ من كان في البيت لصلاة الصبح..

الآية في سورة الإسراء قوله تعالى: ﴿ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ (الإسراء:١).

وأسرى تعني في اللغة العربية الخروج ليلا فإن قلت: الإسراء لا يكون إلا بالليل، فما معنى ذكر الليل؟ قلت: أراد بقوله ﴿ لَيْلًا ﴾ بلفظ التنكير: تقليل مدّة الإسراء، وأنه أسرى به في بعض الليل من مكة إلى الشام مسيرة أربعين ليلة، وذلك أنّ التنكير فيه قد دلّ على معنى البعضية.

نعلم من النظرية النسبية لاينشتاين ان الجسم اذا سار بسرعة كبيرة يتناقص زمنه أي يقل فإذا ما وصل إلى سرعة الضوء يصبح الزمن صفر (أي لا زمن) لكن هل سرعة البراق هي سرعة الضوء؟

لا يمكننا إثبات ذلك لكن الظاهر من لفظ الحديث الشريف (يضع حافره عند منتهى طرفه) ان له سرعة كبيرة جدا، وذلك أقول ما المانع أن تكون هي سرعة الضوء فعلا؟!

يعلّق الباحث أسامة علي الخضر في كتابه القرآن والكون على ذلك فيقول«ولا أميل إلى القول – كما يفسر البعض – ان سرعة البراق قد بلغت سرعة الضوء – (على اعتبار ان كلمة البراق مشتقة من البرق وهو الضوء) او

تجاوزتها ذلك لأن الكتلة اذا سارت بسرعة الضوء فإنها تكون ما لانهاية في الكبر وهذا يجافي المنطق العلمي" أقول معلقا صحيح هذا يجافي المنطق العلمي لكننا أمام معجزة والمعجزة من شروطها ان تكون خارقة للعادة، مخالفة للسنن الكونية، خارجة عن حدود الأسباب المعروفة مما لا يقدر عليه البشر فكونها تخرق قانون النسبية لا بأس في ذلك..

لكن قد يأتني شخص ما ويقول لك: مادام ليس هناك زمن فلماذا اخذ ليلة؟ نقول له: هناك فرق بين حديث الإسراء في ذاته نقلة وبين مراءٍ تعرض لها الرسول (ص) فالرسول عليه الصلاة والسلام حينما تعرض لمراءٍ رآها هو ببشريته و بقانونه فالمرائي التي تعرض لها هي التي احتاجت للزمن، أما النقلة في ذاتها فلم تحتج إلى زمن لأنها محمولة على قانون خالق الزمن.

حديث الأرواح

جاء في رحلة المعراج أن الرسول ﷺ التقى الأنبياء السابقين وحاورهم (كما في مراجعة النبي موسى عليه السلام في موضوع الصلاة) وغير ذلك..

وقد يتبادر سؤال إلى الذهن وهوك كيف التقى بهم الرسول وهم في نظرنا – وفي نظر الرسول أيضا – قد ماتوا والمفترض أنهم في قبورهم؟ لو استعملنا قانون النسبية في التفسير اذ ان سرعة البراق ربما تفوق سرعة الضوء فهذا يؤدي إلى ان الرسول – جدلا – قد يرجع إلى الزمن الماضي بما يعرف بالسفر عبر الزمن خصوصا والعلماء يتحدثون اليوم عن إمكانية السفر إلى الماضي! فالنظرية النسبية التي وضعها آينشتاين في مطلع القرن العشرين تؤكد بأن الزمن لا يسير بلمح البصر إنما يسير بسرعة كونية هي سرعة الضوء، وهي ٣٠٠ ألف كيلو متر في الثانية، وهذه أقصى سرعة حقيقية يمكن الوصول

إليها.عندما تصل سرعة أي جسم إلى هذه السرعة الكونية سوف يتوقف عندها الزمن، أي أننا نعيش اللحظة الحاضرة فقط، فلا نرى الماضي ولا المستقبل. ولكن عندما نسير بسرعة أكبر من سرعة الضوء فإننا نستطيع رؤية الماضي، وهذا ما يؤكده العلماء اليوم.وهذا يقودنا إلى انه عليه السلام سيلتقي بنبي واحد في زمان ذلك النبي لأن أزمنة الأنبياء متباينة فلم يظهروا في زمن واحد ولو فرضنا- جدلا - انه التقى مع كل نبي في زمنه فكيف نفسّر انه صلى بهم جميعا في زمان واحد ومكان واحد وهو المسجد الأقصى؟! وكذلك في رحلة المعراج انه التقى مع كل نبي في سماء بذاتها؟

أما الذين يفسرون ان الرحلة كانت بالروح فقط للتوفيق مع حضور الأنبياء بأرواحهم فقط أو أن الرحلة كانت حلما فيرد عليهم الشيخ الشعراوي قائلا "لو قال محمد لقومه: أنا رأيتُ في الرؤيا بيت المقدس،هل كانوا يُكذِّبونه؟ ولو قال لهم: لقد سبحتْ روحي الليلة حتى أتتْ بيت المقدس، أكانوا يُكذِّبونه؟ أتُكذَّب الرّؤى او حركة الأرواح؟!

إذن: في إنكار الكفار على رسول الله وتكذيبهم له دليل على أن الإسراء كان حقيقة تمت لرسول الله ﷺ برُوحه وجسده، وكأن الحق سبحانه ادَّخر الموقف التكذيبي لمكذبي الأمس، ليردّ به على مُكذّبي اليوم.وقوله سبحانه: ﴿ بِعَبْدِهِۦ.. ﴾ (الإسراء:١). العبد كلمة تُطلق على الروح والجسد معاً، هذا مدلولها، لا يمكن أن تُطلَق على الروح فقط، لكن لماذا اختار الحق سبحانه لرسوله ﷺ هذه الصفة بالذات؟

نقول: لأن الله تعالى جعل في الكون قانوناً عاماً للناس، وقد يُخرَق هذا القانون او الناموس العام ليكون معجزةً للخاصة الذين ميَّزهم الله عن سائر الخَلْق، فكأن كلمة (عبده) هي حيثية الإسراء.

أي: أُسْرِي به؛ لأنه صادق العبودية لله، وما دام هو عبده فقد أخلص في عبوديته لربه، فاستحق أنْ يكون له مَيْزة وخصوصية عن غيره، فالإسراء والمعراج عطاء من الله استحقَّه رسوله بما حقّق من عبودية لله فالموضوع واقعة حقيقية للنبي (ﷺ) بروحه وجسده بما يفوق كل قوانين العلم وتصورات البشر."

وفي المعراج آية :

قضية المعراج أيضا لها ملمحها العلمي ولنبدأ من اللفظة (المعراج) المأخوذ من عرج و العروج لغةً هو: سير الجسم في خط منعطف منحن، وقد ثبت علميا أن حركة الأجسام في الكون لا يمكن أن تكون في خطوط مستقيمة، بل لابد لها من الانحناء نظرا لانتشار المادة والطاقة في كل الكون فنجد في القرآن ان كل حركة خارجة من الارض متجهة إلى السماء يعبّر عنها القرآن بلفظ يعرج او مشتقاتها واقرأ معي:-

- ﴿ وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَظَلُّواْ فِيهِ يَعْرُجُونَ ﴾ (الحجر:١٤).

- ﴿ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥٓ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴾ (السجدة:٥).

- ﴿ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ ٱلرَّحِيمُ ٱلْغَفُورُ ﴾ (سبأ:٢).

- ﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ

وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ (الحديد: ٤).

مع ان لدينا لفظة أخرى مناسبة للحركة إلى أعلى هي (صعد) لكن لم يستعملها إلا في موضع في قوله تعالى: ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ جَمِيعًا إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ ۚ وَٱلَّذِينَ يَمْكُرُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ۖ وَمَكْرُ أُو۟لَٰٓئِكَ هُوَ يَبُورُ ﴾ (فاطر: ١٠).

لأن العروج للأجسام ذات الكتل أو الطاقات(لأن الكتلة والطاقة وجهان لعملة واحدة كما تقول النسبية التي تتأثر بالجاذبية الكونية بينما ما ليس له كتله أو طاقة عبّر بلفظة (صعد).

ثم إن الرسول في قصة المعراج عبر السماوات السبع حتى بلغ سدرة المنتهى وهذا لم يبلغه ولن يبلغه العلم بأي حال من الأحوال لماذا؟

يجيب الدكتور زغلول النجار قائلا: تبلغ أبعاد الجزء المدرك من السماء الدنيا من الضخامة ما لا يمكن أن تطويها قدرات كل من الإنس والجن، مما يشعر كلا منهما بضآلته أمام أبعاد الكون، وبعجزه التام عن مجرد التفكير في الهروب منه... او النفاذ إلى المجهول من بعده...! فمجرتنا (درب التبانة) يقدر قطرها الأكبر بمائة ألف سنة ضوئية (السنة الضوئية مقدار ما يقطعه الضوء في السنة ويقدر ٩٤٦ مليون مليون كم) ويقدر قطرها الأصغر بعشرة آلاف سنة ضوئية ، ومعنى ذلك أن الإنسان لكي يتمكن من الخروج من مجرتنا عبر قطرها الأصغر يحتاج إلى وسيلة تحركه بسرعة الضوء (وهذا مستحيل) ليستخدمها في حركة مستمرة لمدة تصل إلي عشرة آلاف سنة من سنيننا، وبطاقة انفلات خيالية لتخرجه من نطاق جاذبية الأجرام التي يمر بها

من مكونات تلك المجرة، وهذه كلها من المستحيلات بالنسبة للإنسان الذي لا يتجاوز عمره في المتوسط خمسين سنة، ولم تتجاوز حركته في السماء ثانية ضوئية واحدة وربع الثانية فقط، وهي المسافة بين الأرض والقمر، على الرغم من التقدم التقني المذهل الذي حققه في ريادة السماء. ومجموعتنا الشمسية تقع من مجرتنا علي بعد ثلاثين ألفا من السنين الضوئية من مركزها، وعشرين ألفا من السنين الضوئية من أقرب أطرافها، فإذا حاول الإنسان الخروج من أقرب الأقطار إلى الأرض فإنه يحتاج إلى عشرين ألف سنة وهو يتحرك بسرعة الضوء لكي يخرج من أقطار مجرتنا، ومجرتنا جزء من مجموعة من المجرات تعرف باسم المجموعة المحلية يقدر قطرها بنحو ثلاثة ملايين وربع المليون من السنين الضوئية ، وهذه بدورها تشكل جزءا من حشد مجري يقدر قطره بأكثر من ستة ملايين ونصف المليون من السنين الضوئية ، وهذا الحشد المجري يكون جزءا من الحشد المجري الأعظم ويقدر قطره الأكبر بمائة مليون من السنين الضوئية وسمكه بعشرة ملايين من السنين الضوئية. وتبدو الحشود المجرية العظمى على هيئة كروية تدرس في شرائح مقطعية ، وأكبر تلك الشرائح ويسميها الفلكيون مجازا باسم الحائط العظيم يزيد طولها على مائتين وخمسين مليونا من السنين الضوئية. وقد تم أخيرا اكتشاف نحو مائة من الحشود المجرية العظمى تكون تجمعا أعظم على هيئة قرص يبلغ قطره الأكبر بليونين من السنين الضوئية. والجزء المدرك من الكون وهو يمثل جزءا يسيرا من السماء الدنيا التي زينها ربنا ـ تبارك وتعالى ـ بالنجوم وقال (عز من قائل): ﴿ وَلَقَدْ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَجَعَلْنَٰهَا رُجُومًا لِّلشَّيَٰطِينِ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ ٱلسَّعِيرِ﴾ (الملك:٥). هذا الجزء المدرك من السماء الدنيا يزيد قطره على العشرين بليون سنة

ضوئية، وهي حقائق تجعل الإنسان بكل إنجازاته العلمية يتضاءل تضاؤلا شديدا أمام أبعاد الكون المذهلة.

فكيف تم لنبينا الكريم ذلك في جزء من ليلة؟ قوانين العلم عاجزة عن الإجابة عن ذلك وهذا طبيعي لأننا أمام معجزة سماوية بكل مقاييس البشر وقدراتهم العلمية في زمان الانفجار المعرفي والتقدم العلمي المذهل. وكلمة أخيره أسوقها إلى المتحمسين لدينهم الذين يرون ان النبي (ﷺ) هو أول رائد فضاء أقول: اشكر حماسكم وحبكم - وأنا معكم - لنبينا الكريم عليه أفضل الصلاة والسلام لكن هذا لا يمنعنا من قول المعقول بدون شطحات فالنبي ﷺ كان خاتم الأنبياء والمرسلين وليس أول رائد فضاء للاعتبارات التالية:-

- ليست قدرته هي التي أوصلته لذلك بل هي قدرة المولى عزوجل.

- لم يكن القصد من الرحلة السياحة في الفضاء بل هي الإعجاز ليس لقريش فقط بل للناس أجمعين في كل زمان ومكان فمن الخطأ اختصار ذلك في ريادة فضاء؟!

- أي فضاء تتحدثون عنه؟ لقد بلغ النبي ﷺ فوق أي تصور يدركه أي بشر؟!

وأخيرا الرحلة المباركة هي تكريم للمصطفى عليه الصلاة والسلام في اعز مكان في الوجود. والله اعلم.

******

الفهرس